القدس العربي
AL-QUDS AL-ARABI
www.alquds.co.uk
الأسبوعي
Weekly
السنة الثالثة والثلاثون العدد 10390 الأحد 19 أيلول (سبتمبر) 2021 – 12 صفر 1443 هـ
Volume 33 - Issue 10390 Sunday 19 September 2021

حوار: الخبير الاقتصادي اللبناني سامي نادر

سوق أهراس الجزائرية: شريان ثورة التحرير

الراحل برهان علوية في عيون معارفه

ماكرون: «طعنة» واشنطن و«سهام» المعارضة 07

فحص دم خارق يكشف 50 نوعاً سرطانياً 32

رونالدو: ماذا يعيق استعادة نسخته مع زيدان؟ 40

اليمن: المأساة تتفاقم والجنوب يتحرك

لا يلوح أن ثمانية أشهر أعقبت وعود الرئيس الأمريكي جو بايدن حول اليمن قد أسفرت عن نتائج ملموسة، ولا يبدو أن 20 شهراً على اتفاق الرياض قد جسدت أي تطبيق ملموس بصدد توحيد الجيش والمؤسسات والحدّ من سيطرة «المجلس الانتقالي» في المحافظات الجنوبية. تتأكد في المقابل مظاهر انحطاط الأحوال المعيشية وانهيار الاقتصاد وشيوع الغلاء والبطالة والهبوط الحاد في قيمة الريال، في ظروف استفحال جائحة كورونا وأوبئة الكوليرا وأمراض نقص التغذية واستمرار المواجهات العسكرية. ومن الواضح أن الاحتجاجات الشعبية التي عمت مختلف المحافظات الجنوبية لا تعبر عن السخط إزاء شروط العيش اليومية فقط، بل تعكس موقفاً شعبياً في وجه مختلف أطراف الصراع، وكذلك الرعاة الإقليميين والمجتمع الدولي بأسره.

(حدث الأسبوع، ص 8 ـ 15)

Price List
■ الأردن 500 فلس ■ الامارات 5 دراهم ■ البحرين 300 فلس ■ تونس 1.50 مليم ■ الجزائر 90 دينارا ■ السعودية 3 ريالات ■ السودان10 دنانير ■ سورية 12ليرة ■ عمان200 بيزة ■ العراق 500فلس ■ قطر 4.5 ريالات ■ الكويت 150 فلسا ■ لبنان 1500 ليرة ■ ليبيا 500 درهم ■ مصر 1 جنيه ■ المغرب 6 دراهم ■ اليمن 50 ريالا
Australia 1.50 A.Dr • Austria € 2 • Belgium € 2.50 • Cyprus € 1.71 • Denmark 12DKK • France € 2.50 • Germany € 2.50 • Greece € 2 • Italy € 2 • Netherlands € 2.50 • Spain € 2.20 • Sweden SK 17 • Malta € 1.89 • Switzerland 3.50 SF • Turkey 1.60 YTL • UK £1 • USA $ 3.00 (New York $2.50) • Can $2.50

تقارير اخبارية

تضاعف هجمات تنظيم «الدولة الإسلامية»: ماذا لو حصل انسحاب أمريكي من سوريا والعراق؟

مخيم الهول لعوائل داعش في سوريا

تشير إحصائيات التنظيم والمتابعة الميدانية في سوريا إلى تطور نشاط التنظيم بشكل كبير، واختلاف نوعيات هجماته، حيث أصبح يركز على استهداف القوافل العسكرية الكبرى وتدميرها على طريق تدمر– دير الزور.

منهل باريش

في حصيلة لعام 1442 الهجري المنتهي، نشرت صحيفة «النبأ» وهي أحد الأذرع الإعلامية لتنظيم «الدولة الإسلامية في العراق والشام» في آب (أغسطس) إحصائية لعدد هجمات التنظيم في مختلف مناطق نشاطها في آسيا وأفريقيا وأوروبا.

ويوضح الانفوغرافيك الذي عنونته بـ«حصاد الأجناد 1442» ان عدد هجمات التنظيم بلغ نحو ثلاثة آلاف هجوم، نتج عنها مقتل وجرح أكثر من ثمانية آلاف شخص، وتدمير أكثر من 1260عربة، وتدمير 137 كاميرا حرارية، يبدو أن أغلبها كان في العراق. إضافة إلى استهداف أبراج الطاقة الكهربائية وإيقاف 153 برجا عن العمل. كما دمر التنظيم وحرق 247 بيتا ومزرعة. فيما هاجم مقاتلوه 93 مقرا وثكنة عسكرية أو تابعة للميليشيات في مختلف المناطق.

وتتوزع الهجمات بين العراق وسوريا وصولا إلى الهند وخراسان والفلبين في شرق آسيا وسواحل غرب أفريقيا وليبيا وتونس وصحراء سيناء المصرية. وتركز أكثر من نصف الهجمات في سوريا والعراق وحدهما. حيث بلغ عدد أعمال التنظيم في العراق وحده 1304عملية، نتج عنها مقتل وجرح 2286 من قوات الجيش العراقي والحشد الشعبي والميليشيات التابعة له بمختلف تنوعاتها.

أما في سوريا فبلغ عدد أعمال التنظيم الحربية أقل من 500 عملية بقليل. قتل فيها ما يزيد عن ألف عسكري من قوات النظام والميليشيات الإيرانية والدفاع الوطني السوري وعناصر من قوات سوريا الديمقراطية «قسد» ومدنيين عاملين في مجالس الإدارة الذاتية المدنية وقلة من رجال الدين والسحرة ووجهاء العشائر.

ويشير رصد «القدس العربي» لإحصائيات حصاد «نبأ» الذي تنشره كل أسبوعين إلى تزايد واضح في هجمات التنظيم في العراق، خصوصا في كركوك وديالى، حيث بلغ عدد الهجمات في المحافظتين 30 هجوما مسلحا، متنوع الوسائط والأدوات، قتل وجرح فيهما نحو 65 عسكريا ومدنيا. في حين قتل في كامل الهجمات في العراق خلال أسبوعين (بين 24 محرم و 8 صفر) 108مستهدفين. ودمر التنظيم خلاله 30 آلية بين مدرعة ورباعية الدفع وآليات خفيفة ودراجة نارية.

وتشير إحصائيات التنظيم والمتابعة الميدانية في سوريا إلى تطور نشاط التنظيم بشكل كبير، واختلاف نوعيات هجماته، حيث أصبح يركز أكثر على استهداف القوافل العسكرية الكبرى وتدميرها على طريق تدمر– دير الزور. كما نشط التنظيم بشكل ملحوظ في محافظات حمص وحماة والرقة بعد انسحابه من جنوب البوكمال نسبيا.

في مقارنة لأرقام هجمات التنظيم، نشر المشروع البحثي «زمن الحرب وما بعد الصراع في سوريا» في برنامج مسارات الشرق الأوسط، ورقة بحثية في نيسان (ابريل) 2021 بعنوان «سقطت الدولة وبقي التنظيم: الحل العسكري غير كاف لهزيمة داعش في سوريا» رصدت الورقة توزع الهجمات التي شنها مقاتلو التنظيم منذ سقوط «الخلافة» في مخيم الباغوز شرق سوريا، في اذار (مارس) 2019 ولغاية اذار (مارس) 2021 والتي بلغت 1500 هجوم فقط خلال عامين.

وعزت الدراسة التي كتبها الباحثون جورج فهمي وراشد العثمان وكاتب هذا التقرير، ونشرت في مركز روبرت شومان بجامعة الاتحاد الأوروبي في فلورنسا نشاط التنظيم إلى عاملين، هما «غياب الحوكمة، كما هو الحال في مناطق البادية التي يندر فيها السكان وتضعف السيطرة العسكرية لقوات النظام، وثانياً التوتر المجتمعي الناتج عن تردي الخدمات وغياب الشرعية السياسية، كما هو الحال في مناطق سيطرة قسد».

وتعتبر البادية السورية مركز التجمع الفعلي والمركزي ل لولاية الشام الأمنية، رغم ان هجمات التنظيم كانت متركزة في مناطق النفوذ الأمريكي وسيطرة قسد على ضفاف الفرات الشرقية. فقد اتخذ المقاتلون الأجانب من البادية السورية معقلا لهم، وتحديدا قيادة التنظيم في سوريا الذي تولاه أبو أيوب العراقي حتى مقتله في 2018 وخلفه السعودي علقمة التميمي والذي قتل في 2020.

كذلك، استفاد التنظيم من خبرته السابقة في «الدولة الإسلامية في العراق» وقتاله الصحوات، فتمرس في التعامل مع الطبيعة الجغرافية للصحراء خلال 15 عاما من القتال. فأعد في البادية السورية والعراقية أيضا، مستودعات ومقار عسكرية متنوعة الشكل والحجم، حفر بعضها في باطن الأرض بأعماق متنوعة، تقيه القصف الروسي خلال الشهور الخمسة الماضية، وتمكن مقاتلوه من التمويه والتخفي مع آلياتهم. وتسهل البادية وطبيعتها من قدرة التنظيم على التنقل باعتبار النظام والميليشيات الرديفة والعراقية لا تسيطر إلا على طريق حمص– دير الزور ومناطق صحراوية قرب آبار النفط والغاز التي استولت عليها روسيا ولم تتمكن من ترميمها وتشغيلها، حتى اليوم، بسبب عدم الاستقرار الأمني في المناطق وتعرض آبار النفط إلى هجمات دورية متفرقة وقطع الطرق إليها واستهداف قوافل العاملين وعسكريي الحماية من فاغنر والشركات الأمنية السورية الأخرى.

يساعد التنظيم على نشاطه في شرق سوريا أيضا، السياسات التمييزية بحق العرب من قبل قسد، فلا تقوم بتعيينات كافية وضرورية للمدنيين في الوظائف رغم الحاجة الماسة لها، إضافة إلى الشعور بعدم التوزيع العادل للثروة، فيشعر أهالي دير الزور انهم يقيمون على بحر من نفط تعود عوائده إلى غيرهم، وهو ما أوجد مناخا ملائما لعودة التنظيم للعمل وخلق مناصرين جدد له، وهو ما يعقد مهمة «التحالف الدولي ضد داعش» مجددا في سوريا، فالقضاء على التنظيم عسكريا لا يكفي دون تنمية اقتصادية وخلق فرص لإعادة الاستقرار، كما ان توجيه المشاريع التشغيلية في شرق الفرات قليل واقتصار العمل على ترميم البنية التحتية فقط لا يحفز الناس على المشاركة السياسية الفاعلة.

ويضاف توقع الانسحاب الأمريكي من العراق أولا، وسوريا لاحقاً إلى العوامل المسهلة لعودة «دولة الخلافة» إلى حيز جغرافي غير صغير، يمتد على عدة محافظات سورية وعراقية. وتشير قراءة توزع هجمات التنظيم إلى أن العراق سيكون قاعدة انطلاقها هذه المرة بعكس ما حصل سابقا من إعلان عمل التنظيم في سوريا والتمدد إلى العراق. ولا شك ان انسحاب القوات الأمريكية من المناطق العربية في العراق وانكفائها إلى إقليم كردستان العراق سيترك الجيش العراقي والحشد الشعبي في مواجهة التنظيم مجدداً، وهو أمر غير مستبعد في ظل التوجه الأمريكي الجديد في مغادرة المناطق عديمة الفائدة. على العكس من ذلك، فاحتفاظ واشنطن بمناطق صغيرة في سوريا والعراق وترك القوى المتصارعة تصفي حساباتها سيستنزف إيران وروسيا بشكل أساسي ويضغط على نظام الأسد ويمنع إعادة تأهيله سياسياً كما تشتهي موسكو.

إلى حين توضح السياسة الأمريكية في سوريا والعراق وبانتظار إعادة انتشارها، يبدو أن الشيء الوحيد المؤكد هو ان شعار «دولة الإسلام باقية وستمدد» سيسمع مجددا في المنطقة وسيخلط الحسابات ويهدد الأمن القومي لعدة دول.

ليبيا: مخاوف من سيناريو أفغاني في دول الساحل والصحراء

عطلت أمريكا مبادرة الأمين العام للأمم المتحدة الرامية إلى تشكيل قوة أفريقية قادرة على مجابهة التنظيمات الإرهابية، بينما تحمست لها فرنسا.

رشيد خشانة

تزداد اللعبة الاستراتيجية في ليبيا وفي جوارها تشعُّبا واتساعا، مع تخطيط روسيا للتمدُّد في منطقة الساحل والصحراء، عن طريق مرتزقة «فاغنر». ويتزامن ذلك مع مطالبة الأمين العام للأمم المتحدة أنطونيو غوتيريش بتشكيل قوة أفريقية قادرة على استعمال السلاح، لمجابهة التنظيمات الإرهابية المنتشرة في المنطقة. وفيما عطلت أمريكا هذه المبادرة، فإن فرنسا بدأت تُراجع قرار ترحيل نصف قواتها من المنطقة، في أعقاب مقتل قائد تنظيم «الدولة الإسلامية» في منطقة الصحراء الكبرى عدنان أبو وليد الصحراوي.

وقد نبعت مبادرة غوتيريش من خشيته تكرار السيناريو الأفغاني في دول الساحل الفقيرة، التي لا تملك جيوشا نظامية على الطراز الحديث. وهو يعتقد أن سقوط كابول في أيدي قوات طالبان، الهب حماسة الجماعات الإرهابية في الساحل لتحقيق أهداف لم تتصورها من قبل. وحذر غوتيريش، من أن هذه المنطقة هي الخاصرة الرخوة التي تحتاج إلى علاج سريع، لأن الخطر لم يعد يقتصر على مالي وبوركينا فاسو والنيجر، وإنما لوحظت أيضا تسرُّبات إلى غانا وكوت ديفوار المجاورتين.

لكن أمريكا، التي اكتوت بنار الحروب في أفغانستان والعراق ولبنان والصومال وغيرها، مُصرة على رفض تشكيل قوة عسكرية تعمل تحت البند السابع من ميثاق الأمم المتحدة، على عكس فرنسا التي سعت علنا إلى إشراك بلدان أوروبية أخرى، في إطار عملية «برخان» وقوامها أكثر من 5000 عسكري فرنسي.

ويجوز القول إن تلك الجماعات عرفت تطورات لافتة منذ العام 2001 إذ أن مصادر تمويلها تحسنت بشكل كبير، كما أن قدرتها على التأقلم مع اختلاف الأوضاع زادت عما قبل، بحسب الباحث العراقي الفرنسي عادل بكوان، مدير المركز الفرنسي للبحث حول العراق في باريس.

ويميل غالبية الباحثين في الشؤون الاستراتيجية إلى القول إن أمن البلدان ذات البنية العسكرية الهشة لا يمكن تفويضه إلى القوى الخارجية بشكل دائم، وإنما ينبغي أن تضع تلك البلدان في مقدم أولوياتها بناء جيش عصري وقوات درك وشرطة بالمفهوم الحديث، وهو مسار يستغرق وقتا طويلا وكثيرا من الامكانات غير المتوافرة لبلدان ما زال المستعمر السابق ينعم بإدارة ثرواتها الطبيعية، بلا رقيب ولا حسيب.

خارج دائرة الجوار الجنوبي، الذي يشكل مصدر قلق بالغ لليبيين، حققت الحكومة المؤقتة في طرابلس خطوات مهمة إلى الأمام مع الجيران غربا وشرقا، على نحو عزز صورة ليبيا بوصفها بلدا يتعافى من الحروب، ويبني علاقات جديدة مع جواره المباشر. فمع مصر طوى اجتماع اللجنة المشتركة الليبية المصرية، أخيرا في القاهرة، برئاسة الدبيبة ونظيره المصري مصطفى مدبولي، صفحة التباعد والتوتر في العلاقات الثنائية مع الحكومات الليبية السابقة. وانعكست الانعطافة في مذكرات التفاهم التي توصل لها الجانبان (13 مذكرة تشمل قطاعات مختلفة) والتي تُعتبر صفحة جديدة مع مصر، التي طالما دعمت الجنرال المتمرد خليفة حفتر.

واستطرادا ستحوز مصر على قسم من مشاريع المقاولات وإعادة الإعمار في ليبيا، بحسب تصريحات الدبيبة، الذي وعد بتسهيل إجراءات دخول العمال والمعدات المصرية إلى ليبيا «بسرعة قياسية». ونقل عن الرئيس المصري عبد الفتاح السيسي، الذي استقبله في اليوم نفسه، أنه عبر عن «دعمه الراسخ لتحقيق السلم والاستقرار في ربوع ليبيا» كما أكّد دعمه الكامل لحكومة الوحدة الوطنية.

وقبل القاهرة كان الدبيبة في تونس لمسح الضباب الذي لف العلاقات الثنائية في أعقاب غلق معبر راس جدير في الجانب التونسي من الحدود المشتركة. واستطاع الدبيبة الحصول من الرئيس التونسي قيس سعيد على وعد بمعاودة فتح المعبر، وهو ما تم لاحقا. أما الجزائر فأوفد لها الليبيون نائب رئيس المجلس الرئاسي موسى الكوني على رأس وفد رسمي، اجتمع مع الرئيس عبد المجيد تبون وخلال الاجتماع أبلغ تبون ضيوفه الليبيين أنه قرر إعادة فتح سفارة الجزائر في طرابلس وقنصليتها في سبها (جنوب) إلى جانب استئناف الرحلات على الخط الجوي الجزائر– طرابلس، وكذلك فتح معبري غات وغدامس الحدوديين.

في مقابل هذا النزوع العام لدعم مسار السلام والاستقرار في ليبيا، ما زال الجنوب مصدرا لمخاطر مستمرة على أمن ليبيا القومي. ومن تجليات ذلك الخطر الاشتباكات التي جرت الثلاثاء الماضي بين قوات تابعة للجنرال حفتر وعناصر من المعارضة التشادية في منطقة تربو جنوب ليبيا. وأفادت أوساط حفتر أن مقاتلاته استهدفت مواقع المعارضين التشاديين المنتمين إلى «جبهة الوفاق من أجل التغيير».

الدبيبة ونظيره المصري مصطفى مدبولي

قواعد روسية؟

ويُرجح خبراء روس أن موسكو تسعى لإنشاء قواعد عسكرية دائمة في ليبيا، لاسيما حيث يوجد مرتزقة روس. وفي هذا الإطار يمكن إنشاء قاعدة بحرية في سرت، أو منشأة جوية في الجفرة. غير أن مسار المصالحة وعودة الاستقرار يقضي بأن تكون مدينة سرت مقرا للسلطات الجديدة، وهي حكومة الوحدة الوطنية والمجلس الرئاسي، وبالتالي ينبغي أن تكون منزوعة السلاح، باعتبار ذلك المرحلة الأولى من المسار السلمي.

وتُشارك الأمم المتحدة دول المنطقة مخاوفها من تنامي الجماعات المسلحة وعصابات التهريب في جنوب ليبيا. وفي السياق ركز تقرير أممي جديد على القلق من التحديات الأمنية التي تمثلها سهولة اختراق الحدود بين إقليم دارفور من جهة وليبيا ودول مجاورة، من جهة ثانية. وحمل التقرير توصيات تم تقْديمها لمجلس الأمن ليستأنس بها في عملية رفع «عقوبات دارفور» المفروضة على السودان.

وقبيل انعقاد جلسة الثلاثاء الماضي لمجلس الأمن حول السودان، قدمت الحكومة السودانية خلال اجتماع طارئ لمجلس الأمن والدفاع السوداني، برئاسة رئيس مجلس السيادة عبد الفتاح البرهان، تحفظاتها على التوصيات الواردة في تقرير الأمين العام للأمم المتحدة غوتيريش، مشددة على رفضها أي «وصاية على البلد». ولم يستبعد الخبير الروسي كيريل سيميونوف أن تتوصل تركيا وروسيا، على الرغم من خلافاتهما، إلى «تفاهم متبادل» في مواجهة المصالح الأمريكية، التي تسعى للإبقاء على جميع القوات الأجنبية خارج ليبيا.

وسيعتمد نجاح المسار السلمي في ليبيا، على مدى قبول تلك القوى الخارجية، التي دعمت هذا الفريق أو ذاك، بالعملية التي توسطت فيها الأمم المتحدة، بما في ذلك تركيا وروسيا. ففي تشرين الأول/أكتوبر 2020 توسطت ستيفاني ويليامز، الممثلة الخاصة السابقة للأمين العام للأمم المتحدة بالإنابة ورئيسة بعثة الأمم المتحدة للدعم في ليبيا، بإقرار وقف لإطلاق النار، بعدما استعصى ذلك على أسلافها.

والتزمت أمريكا في البدء بموقف محايد، يقتصر على دعم الخطة الأممية، وإن كان الرئيس السابق ترامب أجرى مكالمة هاتفية مع الجنرال حفتر، لدى إطلاق الأخير هجومه على العاصمة طرابلس. إلا أن واشنطن غيرت موقفها مع توغل المرتزقة الروس في الأراضي الليبية، دعما لقوات حفتر. ولوحظ أن القائم بأعمال المندوب الدائم للولايات المتحدة لدى الأمم المتحدة، ريتشارد ميلز حض أخيرا كلا من روسيا وتركيا والإمارات، على «احترام السيادة الليبية والوقف الفوري لجميع التداخلات العسكرية في ليبيا». وخص بالذكر تركيا، مع أنها حليفة أمريكا في الحلف الأطلسي.

في خط مُواز تابع المغرب مساعيه لجمع رئيسي مجلسي النواب والدولة، عقيلة صالح وخالد المشري، في محاولة من الرباط لتقريب وجهات النظر بين المجلسين. ويُعارض المشري استفراد البرلمان بإصدار قانون الانتخابات. ورجح الأكاديمي الليبي مصطفى الفيتوري أن ترفض تركيا أية سلطة تنفيذية جديدة في ليبيا، إذا ما شعرت أن مثل تلك الحكومة قد تلغي مذكرتها الأمنية وصفقاتها البحرية التي سبق أن وقع عليها رئيس حكومة الوفاق الوطني فائز السراج والرئيس التركي اردوغان، أواخر العام 2019.

لكن من غير المستبعد أيضا أن يتوقف كلا الجانبين عن الضغط من أجل سحب القوات الأجنبية، خلافا لما ينص عليه اتفاق وقف إطلاق النار، الموقع في 2020 والذي ينص في بنده الثاني على «إخلاء جميع خطوط التماس من الوحدات العسكرية والمجموعات المسلحة، بإعادتها إلى معسكراتها، بالتزامن مع خروج جميع المرتزقة والمقاتلين الأجانب من الأراضي الليبية برا وبحرا وجوا في مدة أقصاها 3 أشهر من تاريخ التوقيع على وقف إطلاق النار، وتجميد العمل بالاتفاقات العسكرية الخاصة بالتدريب».

معركة لي أذرع

ويوجد في خلفية المواقف المتباعدة بين الفرقاء الليبيين من الحل السياسي، صراع على النفط يهدد عملية الانتقال السياسي الهشة. وتجلى ذلك بوضوح خلال معركة لي الأذرع بين الرجل القوي في القطاع مصطفى صنع الله ووزير النفط والغاز الجديد محمد عون. واتهم المهندس صنع الله، الذي يرأس «المؤسسة الوطنية للنفط» الوزير عون بالعمل على زعزعة مؤسسة النفط بدوافع شخصية. وتردد أن عون، الذي سُمي في هذا المنصب الوزاري لدى تشكيل حكومة الدبيبة في آذار/مارس الماضي، جيء به إلى الحكومة من أجل إضعاف صنع الله واسترضاء أصحاب النفوذ في المنطقة الشرقية، أي الجنرال حفتر، الذي سعى منذ زمن غير قصير للتخلص من صنع الله.

وكان محمد عون، قبل سنوات، ضالعا في مخطط «شركة نفط الشمال الشرقي» الانفصالية، التي رمى أصحابها إلى إضعاف صنع الله والمؤسسة الوطنية للنفط بأكملها، كمؤسسة تكنوقراطية مركزها طرابلس. وحاول عون عزل صنع الله أثناء سفر الأخير إلى الخارج، متهمًا إياه بارتكاب جريمة «انتهاك أنظمة السفر». غير أن رئيس الحكومة الدبيبة أبطل قرارات الوزير عون.

ويعتقد الخبير جايسون باك أن إيرادات القطاع النفطي ساهمت في نمو نخبة ثرية، غالبًا من مشاريع القطاع العام الفاسدة، الممولة من مداخيل النفط، ما جعل السيطرة على هذا القطاع الحيوي، قضية سياسية رئيسة.

ويذهب باك إلى القول إن النجاح الوحيد للانتقال الليبي بعد معمر القذافي هو أن احتكار «المؤسسة الوطنية للنفط» لإنتاج وتصدير واستيراد الهيدروكربونات تم الحفاظ عليه بشكل لا لبس فيه. وحتى عندما كانت الإدارة الليبية منقسمة إلى حكومتين متنافستين، فإن المؤسسة الوطنية للنفط «الحقيقية» فقط هي التي سيطرت على قطاع النفط. وأكد أن التشكيك في ذلك من خلال تعيين حكومة الوحدة الوطنية وزيرًا للنفط والغاز من دون الاستناد على معايير موضوعية، يؤدي إلى دراما من هذا النوع.

السنة الثالثة والثلاثون العدد 10390 الأحد 19 أيلول (سبتمبر) 2021 – 12 صفر 1443 هـ

لبنان ومقاربة ميقاتي الاستثنائية: صفاء الجو السياسي

تبدو الحكومة في سباق مع الوقت لوقف الانهيار وترك إنطباع إيجابي لدى الناس من خلال الوتيرة السريعة لإنجاز البيان الوزاري وإنهاء عملية التسليم والتسلم في الوزارات.

بيروت – «القدس العربي»: سعد الياس

تنطلق حكومة الرئيس نجيب ميقاتي التي تحمل شعار «معاً للإنقاذ» إلى العمل ومواجهة التحديات بعد نيلها الثقة المضمونة من مجلس النواب يوم غد الاثنين. وتبدو هذه الحكومة في سباق مع الوقت لوقف الانهيار وترك إنطباع إيجابي لدى الناس من خلال الوتيرة السريعة لإنجاز البيان الوزاري وإنهاء عملية التسليم والتسلم في الوزارات، لإظهار جديتها في تحمّل المسؤولية وتعويض مرحلة الفراغ التي نتجت عن أطول فترة حكومية في تصريف الأعمال لحكومة حسات دياب.

ويسعى الرئيس ميقاتي للحفاظ على وتيرة العمل السريع وتوفير المناخات الملائمة لتحقيق إنتاجية حكومته، ومن هنا جاءت دعوته للوزراء للتركيز على العمل والإقلال من التصريحات والاطلالات الإعلامية التي قد تتسبّب في كثير من الأحيان بردود فعل سياسية أو باستهزاء من الناشطين كما حصل مع العديد من الوزراء على خلفية تحوّلهم إلى حكواتيين للقصص والروايات. وفي اعتقاد الرئيس ميقاتي أن لا فائدة من السجالات والدخول في أي مواجهات سياسية تنعكس سلباً على عمل الحكومة والتضامن الوزاري في ظل وجود فرصة للخروج من الأزمة المالية التي يمكن أن تنعكس إيجاباً على الأوضاع الاقتصادية والمعيشية والحياتية. وقد جاء تصريح رئيس التيار الوطني الحر النائب جبران باسيل من رئيس مجلس النواب نبيه بري في توقيت غير ملائم ليعيد نبش الخلافات السياسية التي لا طائل منها، عندما أعاد التركيز على مقولة «ما خلّونا» من خلال اتهامه بري بعرقلة حكم رئيس الجمهورية ميشال عون، ورد أوساط كتلة التنمية والتحرير بوصف باسيل بأنه «فاسق يتنبأ».

وهكذا، يرغب رئيس الحكومة في البدء بورشة عمل يتضافر فيها الجميع بدل أن يتم وضع العصي في الدواليب، مستفيداً من المواقف الدولية ومن المبادرة الفرنسية التي تبدي الاستعداد لتقديم كل مساعدة ممكنة في حال تطبيق الاصلاحات. ويسابق ميقاتي الوقت قبل حلول موعد الانتخابات النيابية حيث ستبدأ الحملات وشد العصب الانتخابي وما يتركه من تشنجات سياسية وطائفية. وعلى أجندة ميقاتي القيام بجولة عربية يبدأها من المملكة العربية السعودية. وإذا تمت هذه الزيارة إلى الرياض فهي تؤشر إلى احتمال فتح ثغرة في العلاقة اللبنانية السعودية في ظل إنزعاج سعودي من سقوط لبنان في الحضن الإيراني والصمت الرسمي بدءاً من رئاسة الجمهورية عن كيفية تجاهل حزب الله للدولة اللبنانية وسيادتها بدءاً من حمل السلاح داخل الأراضي اللبنانية مروراً بالقتال خارج الحدود وصولاً إلى إستقدام صهاريج النفط الإيراني علناً من خلال معابر غير شرعية من دون العبور على أي نقاط جمركية ومن دون أخذ أي إذن من السلطات الرسمية، ضارباً بعرض الحائط هيبة الدولة ومؤسساتها ليقول «أنا الدولة والدولة أنا».

وهذه الخطوة من قبل حزب الله ومن خلفه إيران، تعتبر التحدّي الأكبر لحكومة ميقاتي قبل نيلها الثقة بناء على بيان وزاري ملتبس حمل الكثير من الأفخاخ التي يمكن أن تنفجر في مرحلة لاحقة ومن بينها كيفية التعاطي مع خطة التعافي المالي والاقتصادي التي وضعتها حكومة حسان دياب التي يؤيدها الرئيس عون ويتحفّظ عليها الرئيس ميقاتي، وموضوع التفاوض مع صندوق النقد الدولي وإصلاح القطاع المصرفي أو إعادة هيكلته ومسألة إقالة حاكم مصرف لبنان رياض سلامة والتدقيق الجنائي وموضوع إنشاء معامل الكهرباء ووضع معمل سلعاتا وتطورات ملف تفجير مرفأ بيروت في ضوء صدور مذكرات توقيف وإحضار بحق وزراء ورئيس حكومة سابق وما يرمز إليه موقع رئاسة الحكومة وشيطنة الطبقة السياسية من إستنفار سياسي وطائفي.

انطلاقاً من هذه النقاط الخلافية، يبرز التحدّي أمام رئيس حكومة «معاً للانقاذ» الذي يجيد تدوير الزوايا وتخطي الألغام ويريد الإفادة من الظروف الدولية والإقليمية المؤاتية لتحقيق ما يصبو إليه في البيان الوزاري من وقف للانهيار وتصحيح لعلاقات لبنان العربية، معوّلاً على انفتاحه على كل الأطراف وعلى علاقته الجيدة خارجياً لاستقطاب الدعم ونقل الوضع الحالي المتأزم من مكان إلى آخر، بعيداً عن أسلوب الكيد والنكايات الذي عطّل الدولة ومشاريعها في أكثر من محطة.

فهل سيسود التجانس بين أعضاء الحكومة لتحقيق الإنتاجية المرجوة في ظل وجود ثلاثة أثلاث داخل الحكومة؟ وهل يستطيع ميقاتي أن يوفّر البيئة الحاضنة لوقف الانهيار والصعود من الهاوية وسط ظروف سياسية ملائمة بدل سياسة تصفية الحسابات؟

الرئيس عون في اجتماع وزاري في قصر بعبدا

يدرك الرئيس ميقاتي أن الألم عميق والأمل كبير والحِمل ثقيل، وهو من أجل نجاح برنامج الحكومة يدعو إلى تضافر جهود كل القوى لضمان صفاء الجو السياسي وسيادة الإيجابية والأمل بما يحفّز الاستثمارات الجديدة وتوفير إمكانيات النهوض الاقتصادي والتعافي كي يعود لبنان بلداً تحلو الحياة فيه. وعندما يعتلي ميقاتي منبر المجلس النيابي ليتلو البيان الوزاري لحكومته أمام مجلس النواب، سيشدّد على «أن الظرف يحتّم مقاربات استثنائية للمعالجة المطلوبة، فلبنان في خضم أزمة اقتصادية واجتماعية ومالية ومعيشية خانقة بلغ الوطن فيها مشارف الانهيار الكامل، ولم يشهد لها مثيلاً في تاريخه الحديث. وإزاء الأزمة الحادة التي يعيشها لبنان وما رافقها من انهيار العملة الوطنية وارتفاع كبير في أسعار السلع، يجد غالبية اللبنانيين أنفسهم في حال غربة عن المواقف والسجالات السياسية ولا يعنيهم سوى معالجة مشكلاتهم الطارئة وتأمين قوتهم اليومي».

Volume 33 - Issue 10390 Sunday 19 September 2021

لتوفير إمكانيات التعافي المالي والنهوض الاقتصادي

سر العلاقة الغريبة بين حكومات بغداد وطهران

رئيس وزراء العراق مع نظيره الإيراني

أحيت زيارة الكاظمي إلى إيران تساؤلات لدى العراقيين عن مغزى ان تقدم حكومات بغداد ما بعد 2003 كل الخدمات لإيران لدرجة تفضيل مصالحها على المصلحة العراقية أحيانا.

بغداد – «القدس العربي»: مصطفى العبيدي

حظيت زيارة رئيس الوزراء العراقي مصطفى الكاظمي إلى إيران باهتمام كبير من العراقيين والمراقبين، وأعادت تقييم العلاقة الغريبة بين الحكومات العراقية ما بعد 2003 وبين النظام الإيراني وتحديد الرابح والخاسر فيها، وآفاقها المستقبلية. وكانت العديد من القرارات والإشارات المنبثقة عن الزيارة، قد حظيت بالرصد والمتابعة، منها قرار إلغاء تأشيرة دخول الإيرانيين إلى العراق، بما فيه من خسائر اقتصادية كبيرة للعراق إضافة إلى التبعات الصحية، علما بأن الكاظمي قام قبل يوم من الزيارة، بمضاعفة عدد الزائرين الإيرانيين بمناسبة أربعينية الحسين هذه الأيام، رغم التحذيرات من كون إيران بؤرة لجائحة كورونا ما يزيد من تدهور الوضع الصحي للعراق الذي يعد في مقدمة الدول العربية بعدد الإصابات والوفيات بهذا المرض. فيما تم الاتفاق على تفعيل اتفاقيات أبرزها مشروع مد خطوط السكك الحديدية بين البلدين، التي يرى خبراء انه سيلحق الضرر بموانئ واقتصاد العراق ولكنه يخدم تقوية روابط إيران بحلفائها في سوريا ولبنان، كما تم الاتفاق على تسهيلات مالية وتسديد ديون العراق إلى إيران والالتفاف على العقوبات الأمريكية التي تعيقها.

وجاءت هذه القرارات السريعة إضافة إلى أخرى غير معلنة، لتؤكد ان الحكومة الإيرانية الجديدة عازمة على استثمار نفوذها في العراق إلى أقصى مدى، لفك ضائقتها الاقتصادية وتحقيق إنجازات تخدمها. وهو ما أكده رئيسها إبراهيم رئيسي، في مؤتمر صحافي مشترك مع الكاظمي، عندما شدد على «تعزيز العلاقات في كل المجالات والتنسيق في القضايا الإقليمية ورفض أي تدخل أجنبي في المنطقة» بما يسهم في فك طوق العزلة الدولية عن إيران.

وبعيدا عن البروتوكولات الرسمية لزيارة الوفد العراقي، فقد كشف مسؤولون إيرانيون، بعض الجوانب من أسرار تلك الزيارة، حيث أكد رئيس مفوضية الأمن القومي والسياسة الخارجية الإيرانية وحيد جلال زاده ان الكاظمي صرح بأن حكومته تسعى لتنفيذ جميع المشاريع السياسية والاقتصادية والأمنية بين إيران والعراق، وانه يسعى لـ «كسب ثقة ورضا إيران».

ولأن الكاظمي يدرك جيدا ان إيران وعبر حلفاءها الأقوياء في العراق، هي المحرك الرئيسي والفاعل والأساسي في الانتخابات وتشكيل الحكومة المقبلة، فإن التسريبات انتشرت بين العراقيين، بان الكاظمي سعى خلال الزيارة، لاستحصال دعم إيراني لمنحه ولاية ثانية، مقابل تنازلات كبيرة قدمها أو تعهد بها.

وللتعبير من مخاوف العراقيين من خفايا زيارة الكاظمي لطهران، وجه العديد من السياسيين، رسائل لحث الكاظمي على طرح المشاكل المزمنة بين البلدين وعدم الاكتفاء بالمجاملات وتقديم المزيد من التنازلات لإيران. فقد وجه النائب السابق مثال الالوسي، رسالة إلى الكاظمي، دعاه فيها «أن يطلب بشكل شجاع ومباشر من إيران إيقاف دعمها للميليشيات المسلحة، التي تهدد الدولة العراقية، خصوصاً ان هذه الميليشيات سوف تعمل على التلاعب في نتائج الانتخابات القريبة من خلال قوة السلاح المنفلت في غالبية المدن العراقية». كما طالبه «بإبلاغ إيران إيقاف اعتداءاتها المستمرة على الأراضي العراقية (إقليم كردستان)».

أما الناشئة الكردية أرزوو محمود، فقد طالبت في رسالتها للكاظمي، بجعل ملف المياه بين العراق وإيران ضمن أولوياته، قائلة : «رئيس الوزراء أكتب لك هذه الكلمات وهي ليست أسطرا عادية، بل يجب مراعاة هموم آلاف العوائل ومخاوف عدم وجود مصادر العيش في تلك المناطق والتي ستؤدي إلى كارثة إذا لم يكن هناك عمل جاد لحلحلة هذا الأمر مع الجانب الإيراني».

كما حفلت مواقع التواصل الاجتماعي ولقاءات القنوات الفضائية المحلية، بمطالبات للكاظمي ألا يستمر في سياسة المجاملة والتغاضي عن مشاكل مصيرية تسببها إيران للعراق، مثل تغول الميليشيات الولائية وقطع مياه الأنهار، والاستحواذ على أراضي ومياه عراقية، وقصف مدن كردستان، ونشر المخدرات، وسياسة قطع الكهرباء والغاز لخلق الأزمات في العراق، وغيرها من المشاكل.

وليس خافيا أن حكومة الكاظمي، خدمت المصالح الإيرانية بشكل كبير، من خلال استمرار اعتمادها على الطاقة الإيرانية وعدم توفير بديل لها، وزيادة استيراد السلع وتحويل الأموال الطائلة إلى إيران رغم العقوبات الأمريكية. فيما سكتت حكومة الكاظمي عن تنامي نفوذ الفصائل الولائية واستمرت في دعمها ماديا رغم تحديها للدولة. وتغاضت بغداد عن قطع إيران 36 نهرا عن العراق ولم تطرح الملف دوليا رغم الضغوط الداخلية عليها والآثار الكارثية على البلاد.

وسياسيا قدم الكاظمي خدمات كبيرة لإيران عبر لعب دور الوسيط مع السعودية وأمريكا وإيران، ضمن محاولات فك عزلتها، وتقديم الدعم والمساعدات لحلفائها في سوريا ولبنان، وغيرها من الخدمات.

ولعل هذا الواقع هو الذي دفع مديرة الاستخبارات الوطنية الأمريكية افريل هاينز، لتعلن في مؤتمر للأمن القومي بواشنطن ان التهديد الأكبر لبلادها يأتي من «العراق واليمن والصومال وسوريا، وليس من أفغانستان».

وعموما فقد أحيت زيارة الكاظمي إلى إيران، تساؤلات لدى العراقيين عن مغزى ان تقدم حكومات بغداد ما بعد 2003 كل الخدمات لإيران ومصالحها، لدرجة تفضيل المصلحة الإيرانية على المصلحة العراقية أحيانا، إلا ان إيران ترد دائما بمواقف وإجراءات تلحق أفدح الأضرار بالعراق وشعبه وسيادته ومصالحه.

وحتى دعوات استخدام حكومة بغداد، أوراق قوة، منها حجم الواردات الإيرانية للعراق بمليارات الدولارات، والالتفاف على العقوبات الأمريكية عليها إضافة إلى دور العراق في فك العزلة الدولية عن إيران وحلفائها، كورقة مساومة أمام طهران، إلا انها لم تجد استجابة من الكاظمي وحكومته، وهو ما يعزز القناعة، بان حكومات بغداد التي تتحكم بها قوى موالية لإيران بشكل كامل، أضعف من ان تكون لديها القدرة لمطالبة إيران باحترام حقوق العراق وسيادته أو ان توقف تدخلاتها في شؤونها.

بعد توصيات اللجنة الملكية

حزبيون أردنيون: مناورة دون الطموح

الحركات الاحتجاجية التي يقودها مواطنون في جميع أنحاء العالم في الآونة الأخيرة وضعت الأحزاب السياسية أمام تحدٍ لإيجاد طرق جديدة لتمثيل شعوبها.

عمان – «القدس العربي»: محمد الأمير

بعد تحديد بعض مقترحات لجنة الأحزاب المنبثقة عن اللجنة الملكية لتحديث المنظومة السياسية، يبدو جلياً أن المناورات الإيجابية لتنشيط العمل الحزبي في البلاد قد بدأت، حيث من المفيد وغير المتعسر أن تكون حالة الشد والجذب للأحزاب في مرمى الجبهة الداخلية للإصلاح الحقيقي وأخذها على محمل الثقة في حال تحقق الأهداف المرجوة التي تسعى إليها اللجنة أن تنعكس برمتها على الحزبيين والأحزاب.

والتطورات والمخرجات التي وضعتها لجنة الأحزاب أمام الحزبيين راعت بحسب نظرتها التحليلية الأولية أغلب أساليبها الشمولية من أجل إعادة بناء الأحزاب نفسها لتصبح مستدامة، وما يؤشر ويدلل ذلك بديها أنه من غير الممكن أن ينهض النظام الديمقراطي من دون أحزاب سياسية.

ويرى العديد من المحللين والخبراء السياسيين الأردنيين أن الأحزاب السياسية في البلاد بحاجة لتطوير عملها لتلبية حاجات المواطنين، مشيرين إلى أن ظهور الحركات الاحتجاجية التي يقودها مواطنون في جميع أنحاء العالم في الآونة الأخيرة وضعت الأحزاب السياسية أمام تحدٍ لإيجاد طرق جديدة لتمثيل شعوبها.

وفي المقابل على هامش تلك التطورات، استطلعت صحيفة «القدس العربي» آراء حزبيين وسياسيين ونقابيين حول مخرجات ونتائج اللجنة الملكية لتحديث المنظومة السياسية المتعلقة بقانوني الأحزاب السياسية والانتخابات النيابية.

وقال عضو لجنة الأحزاب الملكية النقابي عبد الهادي الفلاحات إن المخرجات إلى حد ما مقبولة، لكنها لا تلبي طموح الكثير من القوى السياسية، معتقداً في ذات السياق أن هناك نقلة إيجابية في النتائج الأولية وان كان هناك رأيا آخر بأن تكون النتائج أكثر عمقا.

وأكد الفلاحات لـ «القدس العربي» أنه «من الخطأ محاكمة المخرجات في الوقت الراهن كونها لم تنته وليست في صورتها النهائية» منوها إلى أنه لا يمكن بناء أي رأي وموقف إلا عندما يصبح القرار نهائيا والتصويت نهائيا فقط.

بدوره أكد عضو حزب الوحدة الشعبية الأردني عماد المالحي أن البلاد تعيش حالة من عدم الاستقرار التشريعي، فعند عن كل منعطف، تجد هناك من يسعى إلى إعادة ترسيم قوانين جديدة.

وفي ضوء ذلك ضرب المالحي مثالاً على قانون العمل الذي تم تعديله في عام 2019 وبعد سبعة شهور قدمت الحكومة تعديلات جديدة، على ذات القانون.

وقال أن هناك تخبطا حكوميا ومحاولة لتدوير الزوايا، وهذا ما نراه في لجنة تطوير منظومة القوانين والتي هي وشك إنهاء أعمالها والخروج بمخرجات تقدمها للرأي العام وتحديدا فيما يتعلق بقانون الأحزاب والانتخابات.

وقال المالحي لـ «القدس العربي» إن الحزب فكرة وليس عددا كما يتم الترويج له، وان الأحزاب في العالم لا تأخذ موافقة من هذه الجهة أو تلك وإنما تقدم إبلاغا، مبيناً أنه «في بعض الدول يستطيع شخص وأكثر تقديم إبلاغ عن إشهار الحزب لدى السجل التجاري». ومن يحدد بأن هذا الحزب قابل للحياة أم لا، هو مدى الانحياز الطبقي لهذا الحزب للقطاعات التي يمثلها وهي من تحدد استمراريته من عدمها.

وأضاف المالحي «من يتابع الأحداث يرى بأن هناك هجمة ممنهجة على الأحزاب وتحديداً الأحزاب ذات البعد الأيديولوجي، لان هناك تاريخا طويلا من العداء للأحزاب، ممتدا منذ الخمسينات من القرن الماضي، مع العلم ان شعبنا لم يكن تاريخيا بعيدا عن الممارسة الحزبية، بدليل أن أول حكومة اقيمت في بداية تشكيل الإمارة كانت حكومة حزبية».

واختتم المالحي حديثه قائلاً: «إن البلاد تعيش أزمة مركبة وهذا يتطلب من أصحاب القرار بدلا من أشغال الرأي العام لمدة تزيد عن عام بقوانين لا يمكن أن تخدم الحياة السياسية، أن تشرع بحوار وطني جاد تقوده حكومة إنقاذ وطني، تعمل على إعادة بناء المؤسسات وفق متطلبات جديدة وتعمل على إفراز قانون انتخاب ديمقراطي يؤسس للتداول السلمي للسلطة، إضافة إلى حكومة تعمل على إزالة كل التشوهات التي تمت إضافتها على دستور1952».

وفي تصريح مقتضب لـ «القدس العربي» قال عضو حزب جبهة العمل الإسلامي ونقيب المهندسين الأسبق وعضو لجنة الأحزاب في اللجنة الملكية د. وائل السقا «إن المخرجات لم تنته واللجنة العامة سيدت نفسها ونحن في هذا الصدد نعلق سلباً أو إيجاباً ويتم الرجوع بالملاحظات على القوانين مرة أخرى على الهيئة العامة» مشيراً إلى أن التعليق والتحليل وبناء الرأي والحكم سيكون على المخرجات النهائية كونها قابلة للتغير والتعديل والتطوير.

وكان ائتلاف الأحزاب القومية واليسارية قد أصدر بيانا أكد فيه أن التعديلات المطروحة على قانون الانتخابات النيابية لا تعدو كونها مناورة جديدة على مطالب القوى السياسية والاجتماعية كما أنها تعبر عن اتجاهات تحول دون تطوير الحياة الديمقراطية والنهوض بالأحزاب السياسية.

ويبقى السؤال قائماً هل ستنجح مخرجات اللجنة الملكية بإقناع النخب السياسية والحزبية بمسوغاتها ونتائجها مستقبلا ولو بشق تمرة؟

عبد الهادي الفلاحات

غزة: خطة إسرائيلية لتحقيق نقلة اقتصادية نوعية مقابل هدنة طويلة الأمد

شبان غزاويون يستعدون لإطلاق البالونات الحارقة على إسرائيل

عوامل أدت إلى تسريع الحراك الذي تقوده أطراف عدة للوصول إلى إنهاء الأزمات التي تسببها غزة للاحتلال، ومنها التهديد بتصعيد أدوات المقاومة الشعبية التي تربك مستوطنات غلاف غزة.

إسماعيل عبدالهادي

تتواصل الجهود الدولية لإحداث اختراق في التوصل لتهدئة طويلة الأمد بين غزة والجانب الإسرائيلي، حيث قدم وزير الخارجية الإسرائيلي يائير لبيد مقترحاً يقضي بتقديم خطط اقتصادية لقطاع غزة ورفع الحصار المفروض منذ 15 عاماً، تحقق نقلة اقتصادية نوعية في القطاع مقابل استعادة الأمن، كما أن الخطة المطروحة تهدف للوصلة الأولى بأنها تسهيلات اقتصادية هامة، غير أنها على المدى المتوسط والبعيد، لن تصنع اقتصاداً قوياً وهي ثمن للصمت عن الحقوق الوطنية المشروعة.

وتباينت آراء المختصين بالشأن الاقتصادي حول مدى جدية إسرائيل في إحداث اختراق للواقع المتأزم، وتحقيق نقلة ورفاهية اقتصادية نوعية للقطاع، في المقابل لم يبد مختصون تفاؤلهم في إحداث أي تقدم في المساعي الإسرائيلية المطروحة لتقديم تسهيلات اقتصادية لغزة، وذلك بسبب مواصلتها فرض الحصار وعدم وجود أي نوايا إيجابية لأطروحاتها.

وقال المختص في الشأن الاقتصادي سمير حمتو، إن الحديث الذي يدور من قبل قادة إسرائيل عن تسهيلات اقتصادية نوعية لغزة، هو فقاعات إعلامية لا أكثر، فهذه المخططات والأطروحات تحدثت عنها حكومة نتنياهو طوال السنين الماضية من دون جدوى، فإسرائيل لا تسمح على الإطلاق بتحرر الاقتصاد في غزة من التبعية لها.

وقال حمتو لـ«القدس العربي»: «إن خطة إسرائيل هي محاولة لامتصاص الغضب الشعبي الفلسطيني، عقب إعادة اعتقال أربعة أسرى حرروا أنفسهم من سجن جلبوع واستمرار أعمال الاحتلال بمطاردة اثنين آخرين» مشيراً إلى أن الاحتلال يدرك أن غزة لن تصمت إزاء ما تتعرض له الضفة الغربية والقدس المحتلة والأسرى داخل السجون.

وأشار إلى أن الاشتراطات للموافقة على هذه الخطة تعني أن تطبيقها يحتاج إلى سنوات طويلة، فهذه الخطة غير قابلة للتطبيق في ظل رغبة إسرائيل في أن يتنازل الجانب الفلسطيني عن حقوقه، كما أن الفصائل الفلسطينية سترفض بالإجماع الخطة، لأن الصراع القائم هو سياسي وليس اقتصادياً.

وبين المختص في الشأن الاقتصادي أن الخطة في حال تم الاتفاق على تطبيقها، ستصطدم باعتراضات كبيرة داخل الأحزاب الإسرائيلية، خاصة في ظل وجود عناصر يمينية متطرفة ترفض مبدأ التفاهم مع حماس، كما أن اشتراط إسرائيل تولي السلطة الفلسطينية زمام الأمور، أمر في غاية الصعوبة مع استمرار حالة الانقسام الفلسطيني، وفشل محاولات التوصل للمصالحة بين حماس وفتح.

وفي محاولة منها لاحتواء محاولات للتصعيد الشعبي والعسكري في غزة، تقدم إسرائيل تسهيلات محدودة إلى غزة ومن أبرزها السماح للعمال بالدخول إلى إسرائيل، كما أنها تعمل على إدخال بعض السلع والبضائع الممنوعة، وتسمح بتنفيذ مشاريع اقتصادية محدودة، لكن جميع هذه التسهيلات المؤقتة تهدد بتصاعد أعمال العنف، نظراً لعدم إحداثها أي تقدم في الواقع الاقتصادي.

في سياق ذلك قال المختص في الشأن الاقتصادي ماهر الطباع إن الواقع الاقتصادي المتهالك في القطاع منذ سنوات الحصار الطويلة، يعتبر أحد أسباب زعزعة الأمن والاستقرار سواء على صعيد غزة أو إسرائيل، لذلك فإن الخطة المطروحة من قبل الجانب الإسرائيلي ممكنة ويمكن تطبيقها، نظراً لرغبة حماس في إنهاء حصار غزة وتحسين الأوضاع المعيشية للسكان.

وقال الطباع لـ«القدس العربي»: إن هناك مؤشرات تقوم بها إسرائيل مقاربة للإستراتيجية التي يتم طرحها، حيث شهد قطاع غزة إشارات إيجابية لقرب انطلاق عملية إعادة الإعمار، بعدما سمحت إسرائيل بإدخال الحديد والأسمنت والمعدات الأخرى، والإعلان عن بدء الإعمار مطلع تشرين الأول/أكتوبر المقبل».

وأشار إلى أن القادة السياسيين والعسكريين في إسرائيل، باتوا على قناعة بعد عدة سنوات بأن سياستهم تجاه قطاع غزة لم تكن مجدية، ولم تنجح في تقويض قدرات المقاومة أو تحقيق الهدوء في المستوطنات، فإسرائيل لديها ملفات أهم من غزة تنوي التفرغ لها، ومن أهمامها رغبتها في التركيز على الجبهة الشمالية ومواجهة التهديد النووي الإيراني.

وتابع: إسرائيل وبعد سنوات الحصار الطويلة والحروب المتتالية على غزة، لم تحرز نصراً حاسماً يضمن لمستوطنيها الهدوء ولم تضعف المقاومة، لذلك أدركت أنها لا تستطيع أن تغير واقع غزة بالقوة العسكرية أو إحراز تقدم يؤمن لها استقراراً أمنيا، ما دفعها للذهاب إلى مبدأ الاقتصاد مقابل الأمن كمخرج وحيد لاحتواء حالة العنف من قبل الفصائل في غزة.

أزمة الغواصات: ماكرون بين «طعنة» واشنطن و«سهام» معارضيه قبل أشهر من الانتخابات الرئاسية

الاتحاد الأوروبي، ندد بهذا الاتفاق الثلاثي بين الولايات المتحدة وبريطانيا وأستراليا، مؤكداً أنه لم يتبلّغ مسبقا بهذه الشراكة العسكرية الجديدة التي يرى مراقبون أنها تستهدف الصين.

باريس – «القدس العربي»: آدم جابر

«طعنة في الظهر» هكذا وصفت فرنسا إعلان الرئيس الأمريكي جو بايدن عن شراكة استراتيجية جديدة بين الولايات المتحدة وبريطانيا وأستراليا حول تزويد كانبيرا بغواصات أمريكية تعمل بالطاقة النووية. لتتخلى أستراليا، بعد ذلك، عن عقد ضخم بقيمة 56 مليار، كانت قد أبرمته مع فرنسا قبل نحو خمسة أعوام، وينص على أن تزودها باريس بـ12 غواصة تعمل بالطاقة التقليدية، الأمر الذي أثار حفيظة فرنسا.

وزيرُ الخارجية الفرنسي، جان إيف لودريان، الذي كان مهندس هذه الصفقة مع أستراليا، حين كان وزيراً للدفاع، في عهد الرئيس الفرنسي السابق فرانسوا أولاند، لم يخف شعوره بـ«الغضب والمرارة الشّديدين» من جراء ما وصفها بـ«الطعنة في الظهر» من أستراليا، فيما رأت وزيرة الجيوش الفرنسية فلورانس بارلي أن إلغاء كانبيرا للصفقة يعد قراراً خطيراً على صعيد السياسة الدولية. وانتقد لودريان وبارلي الرئيس الأمريكي الذي اتّهماه بـ«سحق حلفائه» بهذا القرار الأحادي، الذي شبهه رئيس الدبلوماسية الفرنسية بما كان يفعله خصم سيّد البيت الأبيض السابق ترامب، الخصم السياسي اللدود لجو بايدن.

فتشبيه لودريان تصرف بايدن بتصرفات سلفه ترامب، اعتبر الصحافي والمحلل السياسي المقيم في باريس مصطفى الطوسة، أنه يعطينا فكرة عن مدى غضب وامتعاض وخيبة أمل الفرنسيين من الأمريكيين، وأن ذلك ستكون لها تداعيات على مستوى الثقة التي تعد ضرورية في علاقات الحلفاء. وتؤكد قضية الغواصات هذه أن واشنطن تتبع مقولة امريكا أولا، يضيف الطوسة في رد على سؤال «القدس العربي».

استدعاء السفراء

حاول الرئيس الأمريكي، بعجالة، طمأنة الفرنسيين، مؤكداً أن بلاده «تتطلّع للعمل بشكل وثيق مع باريس» في منطقة المحيطين الهادئ الهندي والهادي، واصفاً فرنسا بـ«الشريك والحليف الأساسي» لبلاده. وكذلك فعل مسؤولون كبار في إدارته. غير أن الجرح الفرنسي بدا. وهذا ما يفسر تصعيد باريس، باستدعاء السفيرين الفرنسيين لدى واشنطن وكانبيرا للتشاور، بناءً على طلب الرئيس إيمانويل ماكرون، كما جاء في بيان للخارجية الفرنسية مساء الجمعة، والذي ندد بالتخلي الأسترالي عن صفقة الغواصات الفرنسية، واصفاً الإعلان عن الشراكة الأمنية بين الولايات المتحدة وأستراليا وبريطانيا بـ«السلوك غير المقبول» الذي ستؤثر عواقبه على مفهوم فرنسا لتحالفاتها وشراكاتها «فالقرار الأمريكي البريطاني، قد لا يعني شيئاً من الأذى الاقتصادي الذي عبرت عنه الشركة الفرنسية المصنعة للغواصات إذا ما تم قياسه بحجم الإساءة الكبيرة من الناحية الأخلاقية بين طرفي شراكة استراتيجية» يقول الباحث السياسي الدكتور محمد كلش لـ«القدس العربي».

الاتحاد الأوروبي، ندد بهذا الاتفاق الثلاثي بين الولايات المتحدة وبريطانيا وأستراليا، مؤكداً أنه لم يتبلّغ مسبقا بهذه الشراكة العسكرية الجديدة التي يرى مراقبون أنها تستهدف الصين. وعبر المسؤولون في الاتحاد عن مخاوفهم من نهج إقصائي لدى واشنطن. وسبق لمسؤولين أوروبيين كثيرين أن أبدوا استياءهم من الطريقة التي انسحبت بها الولايات المتحدة من أفغانستان، حيث اتّهم بعضهم الرئيس الأمريكي بايدن بأنه همّش حلفاءه الأوروبيين في قراره هذا. «فقضية الغواصات لم تكن الضربة الأولى التي وجهها بايدن إلى حلفائه الأوروبيين، إذ سبقتها ضربة تمثلت في الانسحاب من أفغانستان من جانب واحد» كما يرى رامي الخلفية العلي الباحث في الفلسفة السياسية، متحدثا لـ«القدس العربي».

الرئيس ماكرون والسفير الفرنسي في أمريكا

وأكدت الحكومة الفرنسية على أنها غير قادرة على الوثوق بأستراليا في المحادثات الجارية بشأن إبرام اتفاق تجاري مع الاتحاد الأوروبي، إذ من المقرر عقد جولة جديدة من المحادثات بين التكتل وأستراليا، والتي تغطي مجالات تشمل التجارة والخدمات والاستثمار وحقوق الملكية الفكرية، في خريف العام الجاري، وذلك بعد أن أكملت المفوضية الأوروبية كانبيرا هذا الربيع الجولة الحادية عشرة من المفاوضات التجارية التي بدأت بينها في عام 2018.

المعارضة الفرنسية تندد بالفشل الذريع

فتخلي أستراليا عن صفقة الغواصات الفرنسية التي توصف في باريس «بصفقة القرن» يشكل ضربة موجعة للرئيس إيمانويل ماكرون، على بعد أشهر من الانتخابات الرئاسية الفرنسية، واساءة لسمعة السلاح الفرنسي، يضيف الخليفة العلي. وبينما استنكر اليمين ما صفه بـ«الفشل الذّريع» للرئيس ماكرون وحكومته، عبرت الأوساط اليسارية عن قلقها بشأن التوظيف.

حزب « الجمهوريون» اليميني– المحافظ، قال، في بيان، إنّ «الضربة القاضية التي تلقتها صناعة الدفاع الفرنسية، هي إنذار إضافي يشهد على التدهور الصناعي والجيوسياسي لفرنسا». وشدد الحزبُ على ضرورة «إلقاء كل الضوء على الطريقة التي تم بها التفاوض على هذا العقد والأسباب التي أدت بفرنسا إلى هذا الفشل الذريع». وطالب بورنو روتايو، الذي يترأس كتلة الحزب في مجلس الشيوخ، بـ «الشفافية» بشأن شروط «فشل» فرنسا، فيما قال ميشيل بارنييه، المفاوض السابق في الاتحاد الأوروبي بشأن خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي، والمرشح الحالي للانتخابات التمهيدية لاختيار مرشح الحزب في السباق إلى الإليزيه، قال إنه يجب «تعلم الدروس حول الدعم السياسي لمثل هذه العقود».

أما «حزب التجمع الوطني» اليميني– المتطرف، فقد طالبت زعيمته مارين لوبان، المرشحة للانتخابات الرئاسية المقبلة، بتشكيل لجنة برلمانية للتحقيق فيما وصفته بـ«الغرق».

في حين، أعرب زعيم حركة «فرنسا الأبية» اليسارية الراديكالية، جان ليك ميلانشون عن أسفه «لمظهر جديد لازدراء الولايات المتحدة للاتفاقات التي أبرمها حلفاؤها» معتبرا أن «الوقت قد حان لمغادرة الناتو». وعلى نفس المنوال تحدث السكرتير الوطني للحزب الشيوعي الفرنسي، والمرشح الرئاسي، فابيان روسيل، داعياً إلى الخروج من حلف شمال الأطلسي.

مآلات الأمور

وقال المتحدث باسم الخارجية الأمريكية نيد برايس، تعقيباً على استدعاء فرنسا لسفيرها في واشنطن للتشاور، أن الولايات المتحدة الأمريكية «تأمل» في أن تتمكن من إثارة خلافها مع فرنسا بشأن أزمة الغواصات على مستوى عال خلال الأيام المقبلة، بما في ذلك على هامش اجتماعات الجمعية العامة للأمم المتحدة الأسبوع المقبل في نيويورك، والتي سيحضرها وزيرا الخارجية الأمريكي أنتوني بلينكن والفرنسي جان إيف لودريان.

واعتبر برايس أن التحالف عبر الأطلسي قد عزّز الأمن والاستقرار والازدهار في كلّ أنحاء العالم على مدى أكثر من سبعة عقود، واعداً بـ«التعاون» مع فرنسا في ملفّات عدّة، بما في ذلك في منطقة المحيطين الهندي والهادئ. غير أن «اضعاف أداء الحلفاء الغربيين من شأنه أن يقوض المنظومة الأطلسية، ويصب ذلك في مصلحة روسيا التي ستحاول استغلال الأزمة بالحديث عن صعوبة وضع الثقة في واشنطن، ثم الصين، كون مثل هذه الخطوات قد تكسر الإجماع الدولي، الذي يحاول جو بايدن إن يقيمه لمحاربة الصين ومحاصرتها عسكريا واقتصادياً، يشرح المحلل السياسي مصطفى الطوسة، متوقعاً أن تَجد الولايات المتحدة، من الآن فصاعدًا، صعوبة في محاولة «تجنيد» الأوروبيين في مواجهتها مع الصين.

نووي إيران: العالم يقترب من لحظة الحقيقة

رغم أن احتمال استئناف المحادثات النووية بين إيران والقوى العالمية في الأسابيع المقبلة مرتفع للغاية، إلا أن تواجد حرس الثورة في وفد طهران للمحادثات، لا يزال غير واضح.

نوري آل حمزة

تعثرت المفاوضات الغربية–الإيرانية الرامية لإحياء الاتفاق النووي، مع أن إبراهيم رئيسي، الرئيس الجديد الذي تم تنصيبه في حزيران/يونيو الماضي أعلن نواياه في إحياء خطة العمل الشاملة المشتركة في الاتفاق النووي بين إيران والدول الغربية. ولكن التغييرات في حكومة رئيسي وخاصة في وزارة الخارجية أثارت تساؤلات وغموضا حول استئناف المفاوضات.

وبعد تولّي حسين أميرعبد اللهيان مهام وزارة الخارجية، وهو المعروف بتابعيته لقوى حرس الثورة، قرر تنصيب علي باقري كني مساعدا له كي يتولى شؤون المفاوضات النووية، حالا محل المفاوض السابق عباس عراقجي. ويعرف عن كني تشدده وإصراره على ترك المفاوضات وتطوير المشروع النووي على المستوى التقني، الأمر الذي يثير مخاوف الدوائر الغربية كثيرا.

وفي حال محاولة حرس الثورة والقوى المتشددة في وزارة الخارجية فرض رؤيتهما فيما يتعلق بعدم استئناف المفوضات، الأمر الذي كشفت عنه عدة جهات أمنية ومراكز بحوث غربية، فلدى إيران شخصيات أخرى تستخدمها في المفاوضات بديلا عن وزارة الخارجية. وهذا الأمر وارد جدا، فقد تقرر طهران إحالة إدارة شؤون الملف النووي من وزارة الخارجية إلى المجلس الأعلى للأمن القومي الإيراني كي يتولى شؤون المفاوضات.

وقال رافائيل غروسي، المدير العام للوكالة الدولية للطاقة الذرية الذي زار إيران يوم 12أيلول/سبتمبر بعد مغادرته، إن الوكالة الدولية للطاقة الذرية توصلت إلى اتفاق مع إيران بهدف خلق فضاء دبلوماسي للتوصل إلى حلول أوسع. ورحبت روسيا والاتحاد الأوروبي بالاتفاق للتعرف على وضع البرنامج النووي الإيراني.

وإقليميا، لم تعارض إسرائيل، وهي من أشد المعارضين للاتفاق النووي، في عهد نتنياهو، عودة الولايات المتحدة إلى الاتفاق في رد فعلها الأخير، حيث قال وزير الدفاع الإسرائيلي بني غانتس في مقابلة مع «فورين بوليسي»: «يمكن لإسرائيل قبول اتفاق نووي جديد مع إيران».

وفي وقت سابق، قال الرئيس الأمريكي جو بايدن في لقاء مع رئيس الوزراء الإسرائيلي نفتالي بينيت: «بالنسبة للولايات المتحدة، الدبلوماسية بشأن إيران أولوية، لكن إذا فشلت الدبلوماسية، فإن الولايات المتحدة لديها خيارات أخرى».

وعلى الرغم من أن احتمال استئناف المحادثات النووية بين إيران والقوى العالمية في الأسابيع المقبلة مرتفع للغاية، إلا أن احتمالات وعواقب تواجد عنصر أو أكثر من حرس الثورة في في الوفد الإيراني، وبطبيعة الحال سيكونون من أشد المعارضين لتقدم المحادثات النووية، لا يزال غير واضح، حيث معركة تقسيم العمل والوظائف الحساسة ما بين أعضاء حكومة رئيسي ومنتسبي المرشد وحرس الثورة لم تحسم بعد.

وعلى المستوى الاجتماعي نرى انه منذ عام 2003 لم تتنازل النخبة الإيرانية المؤيدة لنظام الحكم وكذلك جزء كبير من قوى المعارضة، عن هدفها المتمثل في الاقتراب من عتبة القنبلة النووية، مع أنها تتحدث غير ذلك، بين السعي الحازم لدوافعها النووية والتدابير التكتيكية، التي تمثلت بفتوى دينية تحظر حيازة إيران سلاح الدمار الشامل وخاصة القنبلة النووية.

وبالرغم من تحذير الخبراء من سياسة إيران إلا أن إدارة أوباما في عام 2015 توصلت إلى اتفاق مع إيران ساعدها في تحقيق توازن بين حوافزها النووية والقيود العرضية المتبادلة. وهكذا تمكنت إيران أيضا من تجنب العواقب الاقتصادية الأشد للعقوبات الدولية قبل عام 2015 ومرة أخرى بعد عام 2018 بدون التخلي عن دوافعها الأساسية في التقدم نحو صنع القنبلة النووية.

وبالنظر إلى اتساع هذه الاستراتيجية الإيرانية المكلفة للغاية، أي المماطلة بغية الوصول إلى الهدف، والتي ساعدت قوى غربية وخاصة إدارة أوباما، في خلق تلك الاستراتيجية وتطبيقها على أرض الواقع خلال المفاوضات السابقة، أصبح اليوم من الصعب جدا تغيير مسار إيران بدون إعاقة أو منع نمو هذه التصورات التي حفزت برنامجها النووي وعززتها.

كما أن الوضع الإقليمي والعالمي اليوم خلق قيودا كبيرة أمام القوى الغربية في تعاملها مع إيران وأدت هذه القيود حتما إلى الحد من مشاطرة الولايات المتحدة وتعاملها في القنوات الدبلوماسية العالمية.

وبشكل عام، إن عدم تحرك الولايات المتحدة في مواجهة تحديات الشرق الأوسط ومعالجة قضايا مثل برنامج إيران النووي، سيزيد من اقتناع القادة الإيرانيين بأن الغرب ليست لديه خطط لتكثيف جهوده لاحتواء الدوافع النووية لنظام طهران.

ومع ان بريطانيا وفرنسا وألمانيا أصدرت بيانا مشتركا يوم الأربعاء الماضي، أعربت فيه عن «القلق العميق» إزاء «الانتهاك المتكرر للالتزامات إيران النووية» فقد حثت طهران على اغتنام «الفرصة الدبلوماسية» التي أتاحتها اتفاقية هذا الأسبوع مع المدير العام للوكالة الدولية للطاقة الذرية.

وأشادت الدول الأوروبية الثلاث المتبقية في مجلس إدارة الوكالة الدولية للطاقة الذرية بتقرير الوكالة الدولية للطاقة الذرية الأخير الذي صدر في «الوقت المناسب، والتقرير المستقل والدقيق» وأشادت بالخطوات السريعة التي اتخذها المدير العام للوكالة رافائيل غروسي خلال زيارته إلى طهران يوم الأحد الماضي لتعزيز معدات المراقبة في المواقع النووية الإيرانية.

وعبرت تلك الدول في البيان إن أنشطة إيران «غير المقبولة» أدت إلى اكتساب المعرفة بالأسلحة النووية.

وقالت «يجب على إيران التوقف فورا عن إنتاج اليورانيوم المعدني واليورانيوم المخصب بنسبة 60 في المئة» و «التوقف عن تركيب أجهزة طرد مركزي أكثر تقدما في مواقع التخصيب بما في ذلك في موقع فوردو» و «المشاركة في المفاوضات بدون مزيد من التأخير».

وذكرت الوكالة في تقريرها ربع السنوي الأخير في اجتماع مجلس المحافظين هذا الأسبوع، أن إنتاج إيران من اليورانيوم المخصب بنسبة 60 في المئة وصل إلى أكثر من 10 كيلوغرامات وأن 20 في المئة من اليورانيوم في إيران قد وصل إلى أكثر من 84 كيلوغراما، وهذا يمثل قفزة كبيرة مقارنة بالوضع قبل ثلاثة أشهر.

ويقدر خبراء نوويون أن إيران لديها شهر حتى تمتلك ما يكفي من المواد لصنع قنبلة نووية.

في غضون ذلك، أعربت التروريكا الأوروبية عن أملها في أن يتمكن مجلس المحافظين أخيرا، في خطوة «منسقة» من دعوة إيران إلى «التوقف فورا عن إنتاج اليورانيوم عالي التخصيب».

إلا إن مجمل الجهود التي ذكرت آنفا لم تساعد في إقناع طهران كي تعلن عن حقيقة مشروعها ومدى تقدمه وهذا ما يزيد الطين بلة. ويرى خبراء أن ذلك ساعد في اقتراب العالم إلى لحظة الحقيقة، أي إنتاج القنبلة النووية خلال الأشهر القليلة المقبلة.

وهنا قد يتبلور دور إسرائيل وربما بمساعدة بعض الدول العربية وغير العربية وقد تفعل شيئا ما لكبح جماح طهران.

حدث الأسبوع

اليمن: الحوثيون والانتقالي الجنوبي والتحالف العربي... ودمار حاضر ومستقبل الدولة

قوات المجلس الانفصالي في دار سعد محافظة عدن

تعز–«القدس العربي»: خالد الحمادي

كشفت السنوات الماضية من الحرب اليمنية المدمرة أن ميليشيا جماعة الحوثي الانقلابية المدعومة من إيران، وميليشيا المجلس الانتقالي الجنوبي المدعومة من دولة الإمارات العربية المتحدة، وكذا قوات التحالف العربي، شكّلت الثلاثي الذي أدى لتدمير مقومات الدولة في اليمن حاليا ويسعى إلى تدمير مكوناتها مستقبلا.

الوسط السياسي اليمني أصبح يعتقد بنظرية المؤامرة على بلاده أكثر من أي وقت مضى، فيما الحكومة الشرعية التي تمثل الدولة كسلطة منتخبة من الشعب ضائعة في الزحمة، أضاعت قرارها وفقدت عوامل القوة في سلطتها، في ظل سيطرة الحوثيين على أغلب المناطق الشمالية ذات الكثافة السكانية، وسيطرة الانتقالي الجنوبي على العاصمة المؤقتة عدن وبعض المحافظات الجنوبية المجاورة لها، وتراجع السيطرة الحكومية على الكثير من المناطق والمحافظات الرئيسية.

والشعب اليمني، الذي يعيش حالة إنسانية مأساوية نتيجة الحرب المدمّرة، وقع ضحية الصراع المسلح الرئيسيين في اليمن لم يأبهوا لحجم الدمار والخسائر البشرية التي طالت البلاد، والتي كانت نتيجتها وقوع أكبر كارثة إنسانية من صنع البشر، حسب تصنيف الأمم المتحدة للوضع الإنساني في الماضية من الحرب أن أقطاب التحالف العربي بقيادة السعودية والإمارات في اليمن أي شيء على أرض الواقع، بقدر ما أتيح المجال أمام التمدد الحوثي والانتقالي على حساب نفوذ سلطة الدولة، مع إطالة أمد الحرب وعدم السماح للقوات الحكومية بالتقدم نحو تحقيق المزيد من المكاسب العسكرية سواء ضد ميليشيا الحوثي أو ضد ميليشيا الانتقالي الجنوبي.

وساهمت هذه المعطيات العسكرية على الأرض بشكل تدريجي في تغيير الخطاب والرؤى الاستراتيجية الحكومية اليمنية وكذا للتحالف العربي، وتحوّلت المطالب السابقة بانسحاب ميليشيا الحوثي والانتقالي من المدن الرئيسية والمؤسسات الحكومية، إلى مطالب بالتسوية السياسية بين هذه الأطراف والحكومة الشرعية، التي أصبحت تصنّف كأحد أطراف الصراع وليس كحكومة شرعية تواجه ميليشيا انقلابية وتمردية على سلطتها، وهذا ما سعى إليه الانقلابيون الحوثيون في الشمال والانفصاليون الانتقاليون في الجنوب، في سبيل السعي إلى تقاسم السلطة مع الحكومة في البلاد على أساس مناطق النفوذ والسيطرة، بعيدا عن مساعي الحكومة لاستعادة السيطرة على ما هو واقع تحت سيطرة الحوثيين والانتقالي الجنوبي.

وأصبح هذا الحال أمرا واقعا، تعززه الأيام والأحداث المتتالية ويتعامل معه الوسطاء الدوليون والدول الغربية الراعية لعمليات السلام في اليمن، رغم الرفض القاطع له من قبل الحكومة وعدم القبول للحلول الوسط من قبل الحوثيين، فيما ما زال الانتقالي الجنوبي يسعى إلى تحقيق المزيد من المكاسب العسكرية على الأرض، ضاربا عرض الحائط باتفاق الرياض المبرم مع الحكومة برعاية السعودية نهاية العام 2019.

وفي هذا الإطار التقى الرئيس اليمني عبدربه منصور هادي مبعوث الأمم المتحدة الجديد إلى اليمن هانس غروندبرغ، لأول مرة منذ تعيينه وتسلمه مهامه رسميا الأسبوع الماضي، بحضور نائب الرئيس الفريق الركن علي محسن صالح ورئيس مجلس النواب سلطان البركاني ورئيس الوزراء معين عبدالملك.

وقالت وكالة الأنباء اليمنية «سبأ» الحكومية ان هذا اللقاء «ناقش آفاق الحل السياسي والنهج الذي يجب أن يتبع للوصول إلى سلام دائم وعادل في اليمن، موضحا بأن المرجعيات الثلاث التي تتمسك بها الحكومة تعتبر أساسا لتحقيق سلام عادل وشامل وهدفها تحقيق المساواة بين جميع اليمنيين ونبذ العنف والاحتكام لخيارات الشعب اليمني التي عبر عنها في مؤتمر الحوار الوطني الذي استوعب مختلف قضايا الوطن وضم مكونات وأطياف الشعب اليمني بمن فيهم الانقلابيون الحوثيون».

وأكد الرئيس هادي على تقديم الدعم الكامل لمبعوث الأمم المتحدة والتدخل الجوي والبري لقوات التحالف العربي بقيادة السعودية

مسلح يمثل بعض مناطق الجنوب في محافظتي الضالع ولحج، وغير مقبول في بقية المحافظات الجنوبية، ويستمد قوته فقط من الدعم المادي والعسكري الإماراتي.

وتباينت المواقف الخليجية باتجاه الوضع في الجنوب اليمني لكن الاجماع الخليجي يعارض سيطرة الانتقالي الجنوبي على مقاليد الأمور في عدن وبعض المحافظات الأخرى، حيث أعلن المجلس الوزاري لمجلس دول الخليج العربية في ختام دورته 149 الخميس الماضي، دعمه لجهود الأمم المتحدة في اليمن، للتوصل إلى حل سياسي، وجدد دعوته طرفي اتفاق الرياض الحكومة الشرعية والمجلس الانتقالي، إلى استكمال تنفيذ ما تبقى من بنود الاتفاق، وتهيئة الأجواء لعودة الحكومة اليمنية إلى العاصمة المؤقتة عدن لممارسة أعمالها من هناك وتعزيز قدرتها على استعادة سلطة الدولة اليمنية ومؤسساتها في كافة أنحاء اليمن.

وذكر أن تنفيذ اتفاق الرياض يمثل «ضمانة لتوحيد الصفوف لمختلف أطياف الشعب اليمني وحقن الدماء ورأب الصدع بين مكوناته، ودعم مسيرته لاستعادة دولته وأمنه واستقراره».

وعلى الرغم من كل هذه الجهود الخليجية والأممية المعلنة باتجاه وقف إطلاق النار وإحلال السلام في اليمن، غير أن الشارع اليمني أصبح لا يؤمن بأهداف كل هذه الجهود ويراها مجرد ذر الرماد على العيون، وأن الثلاثي (الحوثيون، الانتقالي الجنوبي والتحالف العربي) يمثلون جميعهم عقبة كأداء أمام استعادة الدولة وأمام عودة سلطتها الشرعية للبلاد.

وأصبح الشارع اليمني لا يأبه بأي جهود دبلوماسية لحل الأزمة اليمنية ولا يعطي لها أي بال، لفقدان ثقته بكل الأطراف المحلية والدولية المتزعّمة لهذه الجهود، نتيجة فشل أو عدم تحقيق كافة المساعي السابقة أي نتائج تذكر على أرض الواقع، فيما الوضع الإنساني في تدهور كارثي مستمر ويزداد تعقيدا ومأساوية مع إطالة أمد الحرب، ولا يحظى بالاهتمام الكافي من قبل أطراف الصراع أو من قبل المجتمع الدولي للحد من تأثيراته وانعكاساته السلبية على الفئات المتضررة جراء المواجهات المسلحة والانهيار الكامل للمنظومات الاقتصادية والأمنية والصحية والتعليمية وغيرها، وكأن المواطن العادي في آخر اهتمامات هذه الأطراف «التي أصبحت الكثير منها تستثمر استمرار الحرب اليمنية لبناء مصالح شخصية بها، أكثر من اجتهادها في العمل لصالح الوطن» وفقا للعديد من المعنيين بالشأن اليمني.

اليمن: تعدّدَ المتباكون والتكاذب واحد

صبحي حديدي

ليس طريفاً، بل هو مظهر فاقع من ابتذال المأساة، أن يعرب سفراء الولايات المتحدة وبريطانيا والسعودية والإمارات في اليمن عن «القلق» إزاء تدهور الأوضاع الاقتصادية والإنسانية في ذلك البلد المعذّب؛ ولولا اجتماع هؤلاء في الرياض، فإنّ الملهاة كانت ستكتمل أكثر بانضمام السفير الإيراني إلى الجوقة إياها. عبد الملك الحوثي اختزل آلام اليمن إلى تشديد على أنّ جماعته ستكون حاضرة «للتكامل مع كلّ أحرار أمتنا في قضاياها الكبرى»؛ ولعل الأمين العام لـ«حزب الله» لم يغب عن مواكب الندب إلا لانشغاله بتوزيع صهاريج المازوت الإيراني على محطات «الأمانة».

من جانبه سارع عيدروس الزبيدي، رئيس ما يُسمى بـ«المجلس الانتقالي الجنوبي» ذراع الإمارات في المحافظات الجنوبية، إلى إعلان حالة الطوارئ؛ وعين أولى في هذا القرار تنظر بقلق إلى اتساع دائرة الاحتجاجات الشعبية ضدّ تدهور الأوضاع المعيشية وانحطاط الخدمات وملامسة الريال حافة الـ1000 مقابل الدولار، وعين ثانية ترقب المكاسب التي تحرزها القوات الحوثية على مقربة من أبين وشبوة.

ولأنّ القلق علامة تجارية مسجلة باسم الأمم المتحدة وكبار مسؤوليها، فقد أدلى بدلوه ستيفان دوجاريك، المتحدث باسم الأمين العام، معلناً هذه الاكتشافات الفريدة: «الوضع الإنساني في اليمن متدهور، والقتال في مأرب يدفع مزيداً من المدنيين إلى النزوح»، و«الاقتصاد اليمني على وشك الانهيار»، و«الريال انخفضت قيمته بأكثر من 80% منذ بداية الأزمة»، و«إجمالي عدد النازحين الجدد في محافظة مأرب ارتفع إلى أكثر من 27 ألفاً منذ بداية العام». وهذه ليست أقلّ من مشاركة، على الطريقة الأممية، في طقوس التباكي على اليمن وأهله؛ إذْ ما الذي في وسع الهيئة الدولية أن تفعله أكثر من الانخراط في الطقس إياه!

الغائب، سواء لُحظ غيابه أم لم يتنبه إليه أحد أو يكترث به، هو إدارة الرئيس الأمريكي جو بايدن؛ نفسه الذي، في شباط (فبراير) الماضي، استفاق على مأساة اليمن في أوّل خطاب له حول السياسة الخارجية للولايات المتحدة ما بعد دونالد ترامب. يومها ذكّر بأنّ «النزاع» في ذلك البلد تسبب في مقتل 10.000 يمني، وشرّد ثمانية ملايين، و«خلق كارثة إنسانية وستراتيجية»، و«لا بدّ لهذه الحرب من أن تنتهي». كيف، في الخطوة الأمريكية الأولى؟ إنهاء «جميع عمليات الدعم الهجومي للحرب في اليمن، بما في ذلك مبيعات الأسلحة ذات الصلة». ضحايا النزاع ذاك ازدادوا بالآلاف، ومثلهم ازدادت أعداد المشردين والمهجرين والمرضى والجوعى والعطشى، أطفالاً في المقام الأوّل؛ ولم تعد أمراض مثل سوء التغذية والكوليرا هي وحدها الفتاكة، بل وفدت أيضاً جائحة كوفيد– 19، فتكسرت الأوبئة على أوبئة!

وليست احتجاجات هذه الأيام، في عدن وكريتر والتواهي والمنصورة والمكلا وسواها من قرى بلدات ومدن الجنوب اليمني، سوى استثناف لموجات احتجاج اجتماعية مماثلة تصاعدت في آذار (مارس) ونيسان (أبريل) من هذا العام؛ أو هي، بالأحرى، لا تتوقف زمناً قصيراً إلا كي تندلع من جديد، أوسع نطاقاً وأوضح مطالباً. وليس مستغرباً، إلى هذا، أنّ أطراف الصراع المسلّح على الأرض، والجهات التي تساندهم إقليمياً، ليسوا في حال من التفاعل مع المطالب الشعبية المشروعة، بل العكس هو الصحيح إذْ يُنظر إليها من الزاوية التقليدية الشائعة: اندساس وشغب ومؤامرات خارجية. والطبيعي المنطقي، في المقابل، أن تكون مجموعات مثل «المجلس الأعلى للحراك الثوري الجنوبي» هي الداعمة للاحتجاجات الشعبية، لأنها ببساطة وريثة عقود من انتفاضات الجنوب المطلبية.

ولا عجب أنّ مشهد هذه الأيام في اليمن يعجّ بالمتباكين على حال البلد واقتصاده وأوبئته ومجاعاته وصراعاته، وأنّ هؤلاء تتعدّد أصنافهم وولاءاتهم وتابعياتهم وخطاباتهم، وأمّا الثابت المشترك بينهم فهو التزاحم على أيّهم أمهر نفاقاً وأكثر تكاذباً؛ والتنافس هنا محتدم وشرس، غنيّ عن القول!

السنة الثالثة والثلاثون العدد 10390 الأحد 19 أيلول (سبتمبر) 2021 – 12 صفر 1443 هـ

الإمارات تعطل جهود السلام في اليمن
وتعزز وجودها في الجنوب للظفر بموارد بلد على وشك الانهيار

الدوحة ـ«القدس العربي»: سليمان حاج إبراهيم

تتسارع وتيرة الأحداث في اليمن، على ضوء التطورات الإقليمية، وضغط المجتمع الدولي الراغب في إيجاد حل لأزمة أصبحت تشكل خطراً على استقرار المنطقة، مع ما نتج عنها من أزمات إنسانية، ومخاوف من تحولها لبؤرة تحرك التنظيمات المتطرفة.

مع أن بيانا رباعيا دعا إلى عودة الحكومة اليمنية إلى عدن، مع سرعة تنفيذ اتفاق الرياض، ضمن بيان صدر نيابة عن المملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة، والمملكة المتحدة والولايات المتحدة، إلا أن المتابعين للملف، يستبعدون حدوث ذلك مع وجود حسابات خفية لأبو ظبي، في دعمها للانتقالي الانفصالي.

وتتصاعد نقمة اليمنيين على الدور الإماراتي في بلادهم ويتنامى الغضب الشعبي من ممارساتها، وتخفيها وراء أجندات تهدف لتقسيم البلاد، عبر أذرعها الممولة، وتحديداً الانتقالي الجنوبي، الذي وجهت له أصابع الاتهام في حالات كثيرة.

ومؤخراً تعالت الأصوات المستنكرة لما يحدث في اليمن، وتحديداً في المحافظات الجنوبية، مع توالي عدد من الانتهاكات الموصودة في حق أبناء البلد.

وسلطت قضية مقتل شاب يمني مغترب في الولايات المتحدة الأمريكية على يد مسلحي المجلس الانتقالي الجنوبي في محافظة لحج، جنوبي اليمن، أثناء عودته لزيارة أسرته، ضجة شعبية كبيرة وحوّلت الحادثة إلى قضية رأي عام، تفاعل معها الجميع في الشمال والجنوب على حد سواء، نظراً لبشاعة الحادثة وأسلوب القتل الذي اتبعه الجناة.

وبحسب تسريبات عدة فإن الشاب المغترب عبدالملك أنور أحمد السنباني، 30 عاماً، الذي ينتمي إلى محافظة ذمار، شمالي اليمن، تعرض للتوقيف في نقطة عسكرية تابعة للمجلس الانتقالي الجنوبي المدعوم من دولة الإمارات في منطقة طور الباحة بمحافظة لحج، جنوبي اليمن، أثناء عودته من بلد الاغتراب الولايات المتحدة الأمريكية عبر مطار عدن الدولي الذي يعد المنفذ الوحيد، مع مطار سيئون، للعالم الخارجي.

وتصاعد منسوب التذمر من الدور الإماراتي بعد افتضاح قضية الشاب الذي تعرّض للتوقيف والتفتيش المكثف، من قبل النقطة العسكرية التابعة لمسلحي الانتقالي الجنوبي في منطقة طور الباحة بمحافظة لحج، وذلك أثناء سفره عبر البر بسيارة أجرة من محافظة عدن نحو منطقة أسرته في محافظة ذمار، وعندما وجد مسلحو الانتقالي الجنوبي بحوزة السنباني دولارات أمريكية هي مدخرات غربته، حاولوا سلبها منه بالقوة، فامتنع عن ذلك ودخل معهم في عراك بالأيدي.

واعتبرت هذه الحادثة القطرة التي أفاضت غضب الجماهير وأثارت ضجة شعبية وإعلامية وحقوقية واسعة، وتعرّض المجلس الانتقالي لحرج شديد وانتقادات بالغة جراء ارتكاب مسلحيه لهذه الحادثة، نظراً لأن أتباعه بدأوا بنشر الخبر على أنه عمل بطولي، ولكن سرعان ما انكشفت الحقيقة، خاصة وأن حالات مضايقات عديدة وقعت خلال الفترة الأخيرة من قبل مسلحي المجلس للمغتربين العائدين إلى اليمن من بلدان الاغتراب في الدول الغربية تحديداً.

دعوات لكف الإمارات يدها

وقبل فترة دعا محمد صالح بن عديو محافظ شبوة الواقعة شرقي اليمن، دولة الإمارات إلى الكف عن دعم التمرد في بلاده والتحكم في مواردها، حسب تعبيره.

وقال بن عديو، موجها كلامه للإمارات «الشعب اليمني عظيم شيد حضارات ودولا، وفي تاريخه كله لم يكن له في دولتكم إلا كل بصمات الخير، فلمّ كل هذا العداء لليمن وصنع مآسيه ودعم التمرد على قيادته والتحكم بموارده والإصرار على إيذائه؟» وتابع «ارفعوا يدكم التي تضغط على جراح الناس المؤلمة».

واتهمت قيادات يمنية الإمارات، بتحويل منشأة تصدير الغاز في بلحاف بمحافظة شبوة، «والتي يجب أن تكون شريان حياة للشعب في هذا الوقت العصيب، من مصدر لتجميع الغاز وتصديره وإنقاذ العملة واقتصاد البلد إلى تجميع الميليشيات وتصدير التمرد».

وحتى الآن يشتد في محافظة شبوة وجه آخر للصراع، بين الحكومة اليمنية والمجلس الانتقالي الجنوبي المدعوم إماراتياً، تقوده جماعات مسلحة تستهدف عملية الاستقرار والتنمية في المحافظة، الواقعة جنوب شرقي البلاد.

انتقادات سعودية لأدوار أبو ظبي

تزايدت وتيرة انتقادات سعودية علناً لدور الإمارات في اليمن، في تحرك يعكس التوتر السياسي والاقتصادي بين الحليفين الخليجيين والذي أدى أيضاً إلى مواجهة علنية حول السياسة النفطية.

وتحاول السعودية احتواء صراع على السلطة في جنوب اليمن بين الحكومة المعترف بها والمدعومة من الرياض والجماعة الانفصالية الرئيسية المدعومة من الإمارات والذي يهدد بتوسيع حرب تسعى السعودية جاهدة للخروج منها.

وتداولت آراء معلقين محسوبين على الرياض، الإمارات، والإشارة أن أبو ظبي إذا لم تساعد في تنفيذ اتفاق الرياض المتعلق بأزمة جنوب اليمن وظلت على حالها في تعطيله، فإن «العلاقات السعودية الإماراتية ستظل تحت الاختبار».

ومنذ حزيران/يونيو 2020 يسيطر المجلس الانتقالي الجنوبي المدعوم إماراتياً على سقطرى، بعد مواجهات واقتتال مع القوات الحكومية.

وتتهم الحكومة اليمنية أبو ظبي بدعم الانتقالي للسيطرة على الجنوب بهدف التحكم بثرواته وجزره وبسط نفوذها على موانئه الحيوية، خاصة ميناء عدن الاستراتيجي.

وتشير تقارير أن الإمارات أقامت «إمبراطورية صغيرة» على الساحل اليمني الجنوبي وهي تتجاهل الحكومة اليمنية بعد أن أمنت ولاء القبائل، في حين يخوض قياديون يمنيون، حرباً ضدها والتأكيد أن أبو ظبي تتصرف كقوة استعمارية في بلادهم.

وحتى الآن تساهم التوترات بين القوتين الإماراتية واليمنية غير المتصالحتين، في جعل السلام معلقاً بخيط رفيع، مع تزايد احتمالات انفجار الوضع في أي لحظة.

مخاوف من تهديدات إرهابية

ومؤخراً اعتبرت مديرة الاستخبارات الوطنية الأمريكية أفريل هاينز، أن التهديد الأكبر للولايات المتحدة من الإرهاب الدولي، يأتي من دول مثل اليمن والصومال وسوريا والعراق، بينما تحل أفغانستان في مرتبة أدنى بقائمة الأولويات. وتأتي هذه المخاوف مع تقارير وتسريبات تزعم وجود دور إماراتي غير معلن، وبصرف الطرف عن تحركات متشددين، يتخذون من مناطق يمنية مراكز للتحرك، بما يسهم في تحقيق أجنداتها في البلد.

وتنسف التحركات الإماراتية في اليمن جهود السلام، وتفشل معها جولات المبعوثين الدوليين، وتصطدم بواقع فرضته الأيادي الإماراتية المتمرسة خلف كيانات محلية وفرت لها الحماية والمساعدة.

ومؤخرا قال المبعوث الأمريكي الخاص لليمن، تيم ليندركينغ، بجولة جديدة من أجل دفع جهود السلام وتوفير الإغاثة للشعب اليمني، يزور فيها السعودية وعُمان.

وقالت وزارة الخارجية الأمريكية، إن «جهود ليندركينغ تركز على دفع عملية سلام شاملة بقيادة الأمم المتحدة وتقديم الإغاثة الفورية للشعب اليمني».

وأضافت أن ليندركينغ «سيواصل الضغط على الأطراف بشأن الحاجة إلى التدفق المنتظم والحر للسلع الأساسية والمساعدات الإنسانية إلى جميع أنحاء اليمن».

وكان ليندركينغ، وموفد الولايات المتحدة لليمن السابق، مارت غريفيث، قد أجريا جولات مكوكية في المنطقة في الأشهر الماضية لدفع جهود السلام إلى الأمام ولكنها باءت بالفشل.

فاتورة الحرب

وأدى النزاع في اليمن الذي اندلع عام 2014 إثر هجوم للمتمردين، إلى مقتل عشرات الآلاف من الأشخاص وفق منظمات غير حكومية، ودفع ملايين آخرين إلى شفا المجاعة.

وتدفع الأمم المتحدة وإدارة الرئيس الأمريكي جو بايدن إلى إنهاء الحرب، فيما يطالب المتمردون بفتح مطار صنعاء المغلق منذ 2016 قبل الموافقة على وقف إطلاق النار والجلوس إلى طاولة المفاوضات.

وعقدت آخر محادثات سلام في السويد أواخر العام 2018 واتفقت خلالها الأطراف المتنازعة على الإفراج عن سجناء وتحييد مدينة الحديدة، التي تضم ميناء رئيسياً في غرب البلاد، عن ويلات الحرب.

Volume 33 - Issue 10390 Sunday 19 September 2021

الحوثيون ميليشيات تحاول أن تكون دولة

نبيل البكيري

ينظر الكثير من المراقبين للمشهد اليمني بشيء من الغرابة والضبابية التي يضفيها الواقع اليمني المعقد أصلا والذي زاده طول أمد الحرب مزيدا من التعقيد، ولهذا تبدو الصورة أكثر غموضا وضبابية من أي وقت مضى اليوم مع اقتراب الحرب من إكمال عامها السابع، من دون أي أفق للحسم لا سياسيا ولا عسكريا، لأسباب عدة لا مجال لتفصيلها هنا.

أما الحوثيون في هذه الحرب، فرغم الصورة الملتقطة لهم اليوم بمرايا مقعرة لتضخيم فكرة صمودهم طوال هذه الحرب وظهورهم كطرف فاعل ومؤثر في المشهد اليمني الراهن، فهي صورة ليست حقيقية، فهيا من التوظيف الدعائي أكثر مما هي على أرض الواقع، بالنظر إلى أن الحوثيين عقب انقلاب 21 أيلول/سبتمبر 2014 كان اليمن كله في قبضتهم ولديهم كل مقدرات الدولة، التي أسقطوها وفي مقدمتها الجيش، الذي كان يُعد سادس جيش عربي.

وبمقارنة بسيطة بين لحظتين، لحظة انقلاب ميليشيات الحوثي وهذه اللحظة، فالحوثي خسر كثيرا، على كل المستويات، كانت جغرافية اليمن كلها تحت يديه، لم يعد له اليوم سوى 30 في المئة منها، وهو اليوم أضعف بكثير من أي وقت مضى وخاصة وهم عاجزون عن إعادة سيطرتهم على المناطق التي سقطت منهم ككل مساحة جنوب اليمن ومأرب وتعز والساحل الغربي، هذا عدا عن فشلهم الذريع في إيجاد شكل بسيط للدولة في مناطق سيطرتهم التي لم تعد موجودة في نظر المواطنين هناك، فلا رواتب ولا حرية ولا أمن ولا استقرار.

قد يقول قائل اليوم، أن الحوثي أصبح أهم الفاعلين الرسميين في المشهد اليمني، من زاوية قدرته على إلحاق الأذى بمنظومة أمن المنطقة وخاصة تهديده للسعودية. لكن بنظرة دقيقة لهذه الزاوية سنجد أن إيران وليس الحوثي من يشكل هذا الخطر بالنظر إلى أن العديد من الضربات التي يتبناها الحوثي مصدر إطلاقها العراق وإن تبنى الحوثي مسؤولية ذلك.

وقد فشل الحوثي تماما، في إقناع الداخل اليمني قبل الخارج، أنه يمكنه أن يصبح دولة لكل الناس، وأن يحقق لهم شيئا من مطالبهم الأساسية والبسيطة كتوفير الغذاء والماء والدواء، عدا عن الحديث عن الحرية والكرامة والنظام والقانون، في ظل جماعة تكرس رؤية وحيدة للدولة والدين معا وفقا لما تريد هي تقديمه باعتبارها جماعة مختارة من السماء لحكم الناس وعلى الناس السمع والطاعة لها، باعتبار ذلك هو الإسلام كله.

مثل هذه الفكرة التي تؤمن بها جماعة الحوثي، تجعلهم يقفون اليوم عاجزين عن الاندماج في صميم المجتمع اليمني، الذي بات ينظر لهم بشيء من الغرابة وعدم القبول به، وأصبح الناس في مناطق سيطرة الحوثي، يعيشون حالة مفاضلة بينهم وبين سلطة الحوثي، التي لا تمثلهم ولا تشبههم ولا يشبهونها.

أما فيما يتعلق بفكرة الدولة التي يحملها الحوثي، فكل يوم يثبت أن بينه وبينها سنوات ضوئية فلا يزال ينظر للدولة بذلك المنظار التاريخي المذهبي القديم القائم على فكرة الإمام صاحب السلطات المطلقة، والقداسة الكبيرة، التي يجب أن ينظر له بها الناس، وخاصة في مجتمع كالمجتمع اليمني، الذي خبر فكرة الدولة بكل مساوئها باكرا، وفكر الديمقراطية والتعددية السياسية والثقافية، وكل هذه القيم لا يؤمن بها الحوثي مما أوجد حالة فصام شديدة بينه وبين المجتمع.

والأخطر في كل هذا، أن الحوثي ماض في بناء سلطته الطائفية في مجتمع نابذ للطائفية والمذهبية والعرقية، مجتمع متمرد على كل شيء، ومع ذلك يمضي الحوثي في تكريس نمط معين وجاهز لديه، لفكر الدولة الطائفية التي تأتمر بأوامر السيد القائد، باعتباره المرجع المقدس للدولة وصاحب الأمر والنهي فيها فوق الدستور والقانون، بل المتصرف الأوحد بها.

غياب الشرعية

كل يوم يمضي، يضع الحوثي مسماراً في نعش سقوطه، لأن فكرته نقيضة لمفهوم الدول أولا، والسلام الاجتماعي ثانيا، والعدالة والمساواة ثالثا، مما يصعب الأمر كثيرا على هذه الجماعة، التي تعتقد وتظن أنها بمثل هذه الإجراءات الصارمة في حق المجتمع الذي تريد تشكيله، يمكنها التحكم به.

لكن في المقابل، أين هي الشرعية من كل هذا الذي يقوم به الحوثي في المناطق التي تحت سلطته وسيطرته؟ لا شك أن غياب وضعف فعالية الشرعية، هي سبب كل ما يقوم به الحوثي في المناطق التي تحت سيطرته، وأن مسؤولية الشرعية كبيرة لكنها في الحقيقة لم تقم بمسؤولياتها، وبقت تتفرج على المجتمع الذي كان يعول عليها كثيرا في إيقاف عبث ميليشيات الحوثي بالمجتمع ومؤسساته الإعلامية والتربوية والمدنية أيضا.

بات واضحا اليوم أن الحوثي ليس قويا، وأنه ربما في أضعف حالاته، وأن من يمنحه كل هذه القوة، هو فشل وعجز وضعف الشرعية ومن خلفها فشل التحالف وأجنداته المخفية في اليمن، تلك الأجندات التي تكشفت عن كل هذا العجز والأخطاء الكارثية التي لن تقتصر أضرارها على اليمن فحسب بل وعلى المنطقة كلها.

سبع سنوات مضت في حرب لا أفق لها، في ظل عبث التحالف بالمعركة والمشهد اليمني ككل، وكل سياسات التحالف صبت في صالح جماعة الحوثي وتمكينها وتقويتها بطريقة غير مباشرة أو غير مباشرة، ومع ذلك لأن مشكلة الحوثي مع الداخل اليمني وليس مع الخارج، باعتباره جماعة طائفية، تريد فرض رؤيتها الخاصة على المجتمع اليمني المتعدد، فشل في الانتقال من فكر الجماعة الطائفية إلى مرحلة الدولة الوطنية، عدا عن مرحلة السلطة الوطنية.

حاول الحوثي ويحاول أن يحقق اختراقا في جدار المشروعية السياسية للمجتمع اليمني، وبقي عاريا من دون أي مشروعية سوى مشروعية السلاح والأمر الواقع، وهي مشروعية لا ينبني عليها أي استحقاق لقيام دولة للجميع وخاصة في ظل المقولات المذهبية الحاكمة لمناطق سيطرته من قبل فكرة الإمام الحاكم المقدس، وفكرة الخمس والولاء وتضخم سلطة الجباية الدينية لأموال الناس ومصادرة أملاكهم وحقوقهم، وهو ما يجعل هذه الجماعة في نظر المجتمع مجرد جماعة ميليشياوية.

ربما ما لا يدركه الحوثيون، ويدركه اليمنيون جيدا، أنه لا يمكن لهذه الجماعة أن تحكمهم وتفرد سيطرتها على كامل الجغرافية اليمنية وأنه لولا الفشل والتمزق الحاصل في جسد الشرعية القائمة، وفشل التحالف وأجنداته، لسقط الحوثي مجتمعيا وبدون قتال، لأنه فشل في أن يوفر أبسط مقومات فكرة الدولة، الماء والغذاء والدواء، والأمن والحرية والكرامة المنعدمة في قاموس هذه الجماعة، وبالتالي سيظل الحوثي فكرة معزولة مجتمعيا وإن تمادى في فرض رؤيته على المجتمع.

هذا الفشل الكبير للحوثيين، أمام اختبار الدولة، وفشل الشرعية أمام مسألة السيادة وفشل ميليشيات الانفصال أيضا مجتمعيا، كل هذه المعادلة المعقدة تجعل المجتمع اليمني يفكر بخيارات أخرى محلية، عدا عن أن مجموع هذا الفشل يعزز فكرة الدولة الوطنية وأهمية وجود العقلاء للدفع نحو خيار العودة إلى طاولة الحوار بعيدا عن السلاح الذي تستقوي به وتقيم شرعيتها عليه الميليشيات الموجودة شمالا وجنوبا، وأن الدولة الوطنية وحدها هي المدخل لحلحلة المأزق اليمني الكبير، ولا يمكن الخروج منه إلا بها.

قوات الحوثي

السنة الثالثة والثلاثون العدد 10390 الأحد 19 أيلول (سبتمبر) 2021 – 12 صفر 1443 هـ

الإمارات تكاد تنجح في تخريب مستقبل اليمن فهل من قيامة مفاجئة للشرعية؟

ياسين التميمي

عادت مدينة عدن وهي العاصمة السياسية المؤقتة لليمن، إلى واجهة الأحداث، هذه المرة من نافذة الحراك الأهلي الأكثر جسارة، والذي يهدد بإنهاء النفوذ المفتوح للمجلس الانتقالي الجنوبي، وهو الجماعة الانفصالية الأكثر نفوذا بسبب ارتباطها بالمشروع الإماراتي وبالدعم الممنوح لها: مالا وتسليحا، والتي ساعدت السعودية في تمكينها سياسياً عبر اتفاق الرياض رغم جريمة الانقلاب المكتملة الأركان على السلطة الشرعية في منطقة تعتبر محررة ويفترض أن يسود فيها نفوذ هذه السلطة، لا الجماعات الانفصالية المسلحة.

لم تشهد مدينة عدن منذ تموز/يوليو 2015 استقراراً، وتعاني منذ ذلك التاريخ من نكبات متلاحقة نتجت أصلاً عن رغبة التحالف، وخصوصاً الإمارات، في عدم التعاطي مع المدينة باعتبارها عاصمة لكل اليمنيين وفي استعادة دورها الأصيل كمدينة ميناء يتمتع بشهرة عالمية كبيرة.

مجتمع عدن والتعايش المذل الأزمات:

هيمن الصراع المسلح على العاصمة السياسية المؤقتة عدن منذ أوائل العام 2018 والذي انتهى في العاشر من آب/اغسطس 2019 بخروج الحكومة والسلطة الشرعية بشكل نهائي من المدينة، ما أفسح المجال لتغول نفوذ الانتقالي، لكن مع بقاء مظاهر الفشل والفوضى وسلسلة لا تنتهي من النكبات ذات الطابع البيئي والاقتصادي والمعيشي والأمني، حتى بات من الجائز القول إن عدن هي الوحيدة بين مدن اليمن الكبرى التي تعاني من فشل لا نظير له.

تبدأ نكبة هذه المدينة مع أولى التحركات التي نفذتها خلايا من قوات الاستطلاع والاستخبارات الإماراتية، والتي حرصت على تهيئة الأرضية كاملة لما بعد خروج قوات الحوثيين من المدينة أو بالأصح قوات الحرس الجمهوري التي كان يقودها نجل الرئيس السابق والموجود حتى اليوم في أبو ظبي.

فقد استبقت القوات الإماراتية التي قادت عملية تحرير المدينة في تموز/يوليو 2015 أي بعد أربعة أشهر من بدء التدخل العسكري الجوي للتحالف في اليمن، استبقت مهمتها بسلسلة من الاتصالات والصفقات الجانبية التي تمحورت حول إنهاء نفوذ المقاومة الوطنية التي واجهت الحوثيين وقاتلتهم قبل دخول قوات التحالف، بالنظر إلى أن هذه المقاومة تتشكل من كتلة صلبة مرتبطة بالمشروع الوطني وبأهداف استعادة الدولة تماما كما تشير إلى ذلك الالتزامات المعلنة للتحالف الذي

قوات المجلس الانتقالي الجنوبي

تعتبر الإمارات القطب الثاني والأكثر تأثيراً فيه خصوصاً في الجزء الجنوبي من البلاد.

هادي والتمكين للمشروع الإماراتي:

هادن الرئيس عبد ربه منصور هادي الإماراتيين للأسف، وأعطاهم ما يريدون، وقبل بتعيين شخصيات تتموضع في قلب الأجندة الإماراتية ذات البعد الانفصالي في مناصب مهمة بينها محافظ عدن والذي شغله عيدروس الزبيدي قبل أن يقال ويؤسس ما يعرف اليوم بالمجلس الانتقالي الجنوبي في الرابع من أيار/مايو 2017 بل وأعطاهم انطباعاً بأنه يدعم توجههم لاستعادة ما يعتبرها حقوقاً جنوبية أُهدرت في عهد سلفه علي عبد الله صالح.

كان الرئيس هادي ينتهج بحماقة نادرة، سياسة اللعب بالبيضة والحجر، جرياً على نهج سلفه، ولكن نسي أنه يعيش ظرفاً مختلفاً وحساساً لا يشبه الظروف التي عاشها صالح الذي كان يتحكم بكل مفاصل السلطة والقرار.

وبالإضافة إلى ذلك ترافق سلوك الرئيس هادي الكارثي مع انفتاح لا يمكن إنكاره على المشروع الانفصالي، إلى أن يثبت هذا الرئيس عكس ذلك، خصوصاً في ظل الشواهد الماثلة أمامنا، فقد رأيناه يمضي في مسلسل إحلال الكوادر ليضمن أكبر قدر من الوظائف للجنوبيين، ويحرص على إجراء تعيينات لشخصيات في مناصب سياسية ودبلوماسية رغم أنها جزء من المشروع الانفصالي.

الإشارة إلى دور هادي مهمة للغاية، ليتبين للقارئ بأن الإمارات لم تكن لتحرز هذه النتائج في المحافظات الجنوبية وتقوم بهذا القدر من العبث المستمر حتى اليوم بدون أن تجد غطاء أو سكوتاً من السلطة الشرعية ورئيسها.

وقد رأينا كيف أن أبو ظبي وحاكمها الفعلي محمد بن زايد، تصرفا بشكل منفلت ضد زيارة اعتيادية قام بها في الثامن والعشرين من نيسان/أبريل 2018 رئيس الحكومة اليمنية الشرعية السابق الدكتور أحمد عبيد بن دغر على رأس وفد كبير من الحكومة لمحافظة أرخبيل سقطرى، إلى حد أنها قامت بإنزال عسكري للمعدات الثقيلة، سرعان ما اضطرت إلى سحبها ضمن صفقة مع السعودية سمحت بإنزال قوات تابعة لها تعرف باسم «قوات الواجب 808» في الأرخبيل ستقوم في 19 حزيران/يونيو 2020 بمهمة التغطية على طرد السلطة المحلية المرتبطة بالشرعية من الأرخبيل وتضع المحافظة بكاملها تحت سيطرة الإمارات مع واجهة شكلية يمثلها فرع المجلس الانتقالي هناك.

انسحاب أم تموضع تخريبي؟

في تموز/يوليو 2019 أعلنت الإمارات أنها قامت بانسحاب جزئي لقواتها من اليمن انتقلت بموجبها قيادة قوات التحالف في عدن إلى القوات السعودية، وفي التاسع من شباط/فبراير 2020 احتفلت القوات الإماراتية في أبو ظبي بانتهاء مهمتها العسكرية في اليمن.

وعلى الرغم من أن اختيار هذا التوقيت له دلالاته إذ يعني أنها نجحت بعد تسعة أعوام في القضاء على ربيع اليمن الذي اندلع في 11 شباط/فبراير 2011 إلا أنها في الواقع كانت تمارس المغالطات، فقد اضطرت إلى هذا الانسحاب والاحتفاء به لإثبات أنها لم يعد لها صلة بالحرب الدائرة في اليمن، في خطوة أرادت من خلالها تفادي المواجهة المحتملة مع إيران والتي تجلت رسائلها العنيفة بشكل واضح في الهجمات التي استهدفت ميناء الفجيرة في 12 أيار/مايو 2019 بالإضافة إلى تهديدات بتوسيع نطاق القصف بالصواريخ التي تنفذها إيران باسم الحوثيين لتطال الإمارات، كما تطال السعودية.

والحقيقة أن الإمارات لم تنسحب كلية من اليمن، بل أبقت على تواجد يسمح لها بإعادة التموضع التخريبي، الذي يلتقي في أهدافه مع الأهداف الإيرانية نفسها، لهذا لا تزال وحدات رمزية من قواتها تتواجد في كل من المخا وعدن وتتمركز بأعداد لا بأس بها في كل من ميناء بلحاف الذي يوجد به ثاني أهم معمل لتسييل الغاز الطبيعي في الجزيرة العربية، وتتواجد في «معسكر العلم» الذي يقع في قلب الحقول النفطية بمحافظة شبوة، ولا تزال تسيطر عسكرياً وأمنياً على مطار الريان بمحافظة حضرموت وتشرف على معسكرات تابعة لها في المحافظة، وتتواجد في عدد من الموانئ النفطية بحضرموت.

الأهم من ذلك أنها أبقت لنفسها الحق في التصرف كدولة تكافح الإرهاب في اليمن، على الرغم من بقاء حالة الارتباط العضوي لأبو ظبي بالتحالف الذي تقوده السعودية بدليل أنها قامت بطلعات استفزازية في سماء شبوة لتهديد المحتجين ضد قواتها في تلك المحافظة.

أي أن الإمارات صممت لنفسها مساراً موازياً ظاهره مكافحة الإرهاب الذي لم يعد موجوداً إلا في سلوك الميليشيات التابعة لها ولإيران، وباطنه الاستقلال بدور عسكري يرمي إلى تمكين المشروع الانفصالي أي فصل الجنوب عن الشمال، في خطوة أولى تليها خطوة تالية تتمثل في فصل محافظة أرخبيل سقطرى عن الجنوب، تأسيساً على الإرادة الشعبية المناوئة التي تحاول أن تشهرها كسلاح في الوقت الراهن عبر المجلس الانتقالي الذي زاد لحسن الحظ عزلة وانفصالاً عن أبناء المحافظات الجنوبية.

خلال هذا الأسبوع شهدت محافظة حضرموت وعاصمتها المكلا تظاهرات احتجاجية عنيفة، أساسها مطلبي ومعيشي، ولكنها تخفي أجندة أخرى خصوصاً أنها اتجهت نحو مظاهر النفوذ السعودي في المدينة بما في ذلك اللافتات التي تضم صوراً للملك سلمان وولي عهده، ومهاجمة موافق محسوبة على الشرعية كإذاعة المكلا.

أما الاحتجاجات في عدن فهي تظهر ميلاً لاستهداف الانتقالي والإمارات، في تبادل واضح للرسائل بين الحليفين، وتزامن ذلك مع تحضيرات ذات طابع عسكري لإعادة إشعال الأوضاع في محافظة شبوة المستقرة، الأمر الذي دفع بالمحافظة إلى التحرك لإجهاض هذا المخطط من خلال التصعيد في محيط مقر القوات الإماراتية في بلحاف التابعة لمحافظة شبوة على خليج عدن.

نجاح إماراتي قد تعطله قيامة محتملة للشرعية

لقد نجحت الإمارات من خلال الدور الذي أدته ضمن المهمة العسكرية للتحالف بقيادة السعودية، في تعطيل أهداف تمكين الشرعية وترسيخ نفوذها، وأنتجت تحديات جديدة وانقلابات أدت إلى طرد الشرعية نهائياً من اليمن، والتصرف كقوة استعمارية في محافظة أرخبيل سقطرى، في وقت عملت بالتنسيق مع السعودية، على تعريض أكثر مناطق تمركز الشرعية أهمية وكثافة وتأثيراً مثل مأرب وتعز وشبوة لضغوط عسكرية وتهديدات تخريبية، وأحياناً فرض الحليفان سيطرة عسكرية واسعة النطاق دون هدف مقبول كما هو الحال في المهرة.

تدفع أبو ظبي بقوة باتجاه إعادة إحياء مشروعها الذي تضمنته خطة وزير الخارجية الأمريكي الأسبق جون كيري، والهادفة إلى إعادة إنتاج شرعية جديدة تعكس الوقائع على الأرض مما يعني ضمنا القبول بكل المشاريع السياسية المنتصرة عسكرياً حتى الآن بما فيها مشروع الانفصال، ومشروع إعادة إحياء الإمامة الزيدية الشيعية المقبورة، دون أن نحتاج إلى عناء التفكير بمصير القوات التي أنشأتها الإمارات في الساحل الغربي بقيادة نجل شقيق الرئيس السابق، العميد طارق محمد عبد الله صالح التي تكاد تتحول إلى مهام انتقالية مساندة للمشروعين الأساسيين، أو في أحسن الأحوال تأمين حاجز عسكري يمنع الحوثيين من العودة إلى باب المندب مجدداً.

ومن المؤسف أنه لم تعد تتوفر للرئيس هادي فرص مناورة في ظل الانحسار السياسي والميداني لسلطته، وهذا يجعل من مسألة قبوله بالمخطط الإماراتي الذي يكاد يتحول إلى مبادرة أمريكية شاملة للحل، أمراً متوقعاً.

ومع ذلك يمكن للمرء أن يتفاءل بإمكانية حصول تآكل لما بات الجميع يراه أمراً واقعاً، في ظل الفشل الذريع الذي يمنى به المشروع الانفصالي والذي أنتج واحدة من أسوأ الكوارث الإنسانية في مناطق خرجت من دائرة الحرب من صيف 2015.

ولعل نافذة الأمل التي لا تزال مفتوحة حتى الآن، وهي تلك التي تسمح لها بالإطلال على تطورات قد تبدو بعيدة الاحتمال ولكن يمكن أن تصبح حقيقة، وتتمثل في قيام مفاجئة للسلطة الشرعية ورأسها على وجه التحديد، تؤدي إلى انفتاح محتمل على أدوار وداعمين، وهو أمر قد يسمح بتحويل الاحتجاجات إلى فعل شعبي كاسح يكنس الأثر المصطنع للقوى الانفصالية والتموضع على أرضية صلبة وتطوير التعاطي العسكري مع التحدي الأساسي الذي يمثله الحوثيون.

فهل يستطيع الرئيس هادي أن يخالف التوقعات وينهي مفعول الأثر المدمر للدور الإماراتي على الساحة اليمنية؟

Volume 33 - Issue 10390 Sunday 19 September 2021

الأطماع الاقتصادية عطلت التنمية وسببت تدهور ظروف المعيشة في اليمن

إبراهيم نوار

بعد مضي ما يقرب من 78 شهرا من الحملة العسكرية للتحالف العربي على اليمن، ما يزال جرح ذلك البلد العربي نازفا، وتتهدده كوارث المجاعة والانهيار الاقتصادي والانقسام السياسي. الحملة فشلت في مواجهة الحوثيين في صنعاء، وأضرمت نيران الفتنة في العاصمة المؤقتة عدن، حتى انحدرت المدينة التي كانت يوما ميناء العبور الرئيسي، ومحطة تموين السفن في رحلاتها بين المحيط الهندي والبحر المتوسط عبر البحر الأحمر، وأصبحت مثل مدن الاشباح التي يهددها خطر الموت بالمجاعة، أو بالرصاص المتبادل بين الفرقاء. آخر التطورات السيئة منذ مساء الأربعاء الماضي كان إعلان حال الطوارئ والتعبئة العامة في عدن وكل محافظات الجنوب بعد أن عاشت يوما عصيبا، أضربت فيه محلات الصرافة، وشح فيه الوقود، وانقطعت إمدادات الكهرباء، وتدهورت فيه ظروف المعيشة بشكل عام، واضطرب الأمن وسط شعور بين المواطنين بسيطرة حالة من الانفلات بين عناصر قوى الأمن داخل عدن وعلى الحواجز الأمنية المقامة بين المحافظات. وفوق كل ذلك تشهد مناطق المثلث النفطي أو ما يسمى المثلث الأسود، بين الجوف ومأرب وشبوة، حالة من الاستنفار العسكري المتعدد الأطراف، بين قوى الحوثيين، وقوات جيش الحكومة الشرعية الخاضعة لسيطرة علي محسن الأحمر، وقوات المجلس الانتقالي بقيادة عيدروس الزبيدي، إضافة إلى جماعات مختلفة من الميليشيات القبلية. وتقف خلف حالة الاستنفار العسكري أطماع سياسية واقتصادية واستراتيجية لقوى لا علاقة لها بأمن ورخاء اليمنيين سواء في الشمال أو الجنوب.

الاستحواذ على النفط والغاز

طبقا لأحدث أرقام إدارة معلومات الطاقة الأمريكية فإن احتياطي اليمن من النفط الخام يبلغ حوالي 6 مليارات برميل، وهو ما يكفي الاستهلاك المحلي لمدة 37 عاما. كما يقدر الاحتياطي من الغاز الطبيعي بنحو 17 تريليون قدم مكعب، ويضع اليمن في الترتيب 31 على مستوى العالم. وقد اهتم اليمن بتطوير البنية الأساسية لإنتاج وتصدير النفط والغاز، حتى أصبحت هذه الصادرات تسهم بحوالي ثلاثة ارباع الميزانية ونحو 90 في المئة من الصادرات وأكثر من ثلث قيمة الناتج المحلي. ولكن بسبب الحرب انخفض إنتاج اليمن إلى 18 الف برميل يوميا، ثم أخذ يتعافى في السنوات الأخيرة ليصل إلى 61 الف برميل يوميا عام 2019 وهو أقل من نصف ما كان عليه عام 2014 وحوالي 15 في المئة فقط من أعلى مستويات الإنتاج التي كانت قد بلغت حوالي 430 ألف برميل يوميا. أما إنتاج الغاز الطبيعي فقد سجل هبوطا حادا إلى 3 مليارات قدم مكعب عام 2018 مقابل 328 مليار قدم مكعب عام 2014 أي أنه الآن يعادل أقل من 1 في المئة مما كان عليه قبل تدخل التحالف.

وتحدثت وثائق عن اقتراح على «حكومة الشرعية» عقد اتفاقية تمنح شركة أرامكو كافة حقوق النفط والغاز في المثلث النفطي لمدة 40 عاما، مع استعداد الشركة لدفع تعويضات للأطراف الأخرى. ورغم أن حكومة هادي نفت أن يكون هناك مثل هذا الاتفاق، فقد تمت إقالة وزير النفط أوس العود الذي حملت الوثيقة توقيعه، وتم تعيين وزير النفط الحالي عبد السلام باعبود محله. وفيما يخص مناطق حقول النفط والغاز القابلة للتشغيل في المثلث النفطي، خصوصا حقول مسيلة التي تحتوي على حوالي 80 في المئة من إنتاج النفط، فتتولى قوات علي محسن الأحمر وأبناؤه احتكار عمليات توزيع المنتجات النفطية وتهريب النفط الخام من اليمن في الداخل وإلى الخارج. وبعد توقف خط أنابيب رأس عيسى الذي كانت الصادرات تتدفق منه إلى ميناء الحديدة، استطاعت القوات السعودية وقوات الأحمر السيطرة على ميناء تصدير النفط في منطقة بئر علي، واستخدامه في تصدير كميات محدودة تبلغ حوالي 16 ألف برميل يوميا. كذلك سعت السعودية إلى تطوير ميناء جديد لتصدير النفط في مدينة نشطون بحضرموت، فقد لعبت دبي دورا مهما على الصعيد الاقتصادي بتوقيع اتفاق مع مؤسسة موانئ خليج عدن اليمنية، من أجل الاستثمار في الميناء وتطويره وإعداده ليصبح قاعدة انطلاق في المنطقة الحاكمة لطرق التجارة الممتدة بين خليج هرمز وبحر عمان وبحر العرب والمحيط الهندي والأطلنطي وخليج عدن وباب المندب والبحر الأحمر، وصولا إلى قناة السويس والبحر المتوسط. وبذلك يتضح أن دور الإمارات في الصراع على اليمن يقوم على محورين، الأول استراتيجي، يهدف لأن تصبح الإمارات قوة بحرية إقليمية، تستطيع من خلال استخدام السواحل اليمنية والموارد المنتشرة عليها أن تمارس دورا رئيسيا في المياه المفتوحة على المحيطات العالمية، والإشراف على خطوط التجارة البحرية بين آسيا وأوروبا. والثاني اقتصادي يعتمد على التجارة والاستثمار والاستحواذ على النفط والغاز، خصوصا مع حاجة الإمارات للغاز المسال اليمني. وتلعب شركة أدنوك في إمارة أبو ظبي حاليا الدور الرئيسي في محاولة تغلغل الإمارات في قطاع النفط والغاز اليمني، خصوصا حقول النفط في شبوة التي يتم ارسال جزء من إنتاجها إلى مصفاة الرويس في الإمارات.

إيران وسوق السلاح

لم تكن الحرب على اليمن منذ بدأها التحالف العربي تعبيرا عن صراع قائم بذاته، لكنها كانت وما تزال حربا ترتبط جوهريا بالصراع على ملء الفراغ الإقليمي وممارسة النفوذ في المنطقة. وتعتبر إيران أحد أطراف هذا الصراع. وعلى الرغم من الحصار المفروض على اليمن، فإن إيران حولت هذا البلد إلى سوق للسلاح يمثل امتدادا للصناعة العسكرية الإيرانية، خصوصا في مجالات تصنيع الذخائر والصواريخ والطائرات المسيرة. ومن الثابت أن الأسطول الخامس الأمريكي اعترض شحنات أسلحة إيرانية مرسلة إلى الحوثيين في اليمن بطريق البحر أكثر من مرة. ومن المعروف أيضا أن إيران أرسلت خبراء إيرانيين من الحرس الثوري، ولبنانيين من حزب الله إلى اليمن لتدريب الحوثيين على تطوير الصواريخ وتصنيع الذخائر والطائرات المسيرة. وليس من المتوقع تسوية الصراع على اليمن وإنهاء حرب التحالف إلا في إطار تسوية إقليمية تضم إيران. وفي مرحلة ما بعد الصراع تطمح إيران لأن يكون اليمن، واحدا موحدا، ضمن مناطق نفوذها السياسي والاقتصادي والعسكري في الشرق الأوسط. وسوف يتركز اهتمام إيران أولا وقبل كل شيء على تصدير السلاح، والتجارة، والتسهيلات البحرية، خصوصا في خليج عدن وموانئ البحر الأحمر.

لقد أدت الأطماع الاقتصادية لدولتي التحالف في الحرب على اليمن إلى حالة من الشلل الاقتصادي، خصوصا في الجنوب، حيث توقف تقريبا إنتاج النفط والغاز، وتدهورت قيمة الريال اليمني، وتبخرت المساعدات الإنسانية والاقتصادية وانعدم الأمن مع انهيار مؤسسات الدولة وغياب القانون. ولهذا فإن ما نشهده الآن من اضطرابات شعبية في الجنوب يمثل انذارا مبكرا عن موجة جديدة من الاضطرابات والتدهور قد يتعرض لها اليمن، مع استمرار الحرب، وغياب حل سياسي يحترم الخصوصية اليمنية، ويلعب فيه الفرقاء المحليون دورا رئيسيا، بدون وصاية من الخارج. هذا يتطلب من القوى المحلية هي الأخرى أن تعيد تقييم مواقفها من منطلقات يمنية خالصة، بعيدا عن تقديم أولوية الولاءات الإقليمية، والتحيزات المذهبية والأيديولوجية، فوق مصلحة اليمنيين في العيش بأمان داخل وطنهم.

السنة الثالثة والثلاثون العدد 10390 الأحد 19 أيلول (سبتمبر) 2021 – 12 صفر 1443 هـ

كيف تحولت حرب اليمن إلى عنصر محدد لمستقبل العلاقات الأمريكية-الخليجية

اسبانيا- «القدس العربي»: حسين مجدوبي

أصبح اليمن يشكل عبر الحرب التي يشهدها منذ سنوات وتحمل تسمية «عاصفة الحزم» محددا رئيسيا في علاقات الولايات المتحدة مع دول الخليج وأساسا مع العربية السعودية، حيث بدأت واشنطن في ممارسة عقاب عسكري معلن أبرزه سحب منظومة باتريوت الصاروخية وتجميد صفقات أسلحة لأنهاء هذه الحرب.

وتوجد عناصر متعددة تحدد العلاقة بين واشنطن والرياض خاصة فيما يتعلق بالجانب الشائك وعلى رأس ذلك ملفات مثل مستوى احترام حقوق الإنسان لاسيما بعد وصول الإدارة الجديدة بزعامة جو بايدن.

وفي علاقة بالعسكري والحقوقي، أصبح ملف حرب اليمن من العناصر الحاسمة في العلاقة بين البلدين، وقد أقدمت واشنطن على إجراءات وقرارات دالة في هذا الشأن لإنهاء حرب اليمن بعدما أصبحت هذه الأخيرة تمس صورة الولايات المتحدة سياسيا وعسكريا. ولعل آخر حلقة في التطورات بين الرياض وواشنطن هو إلغاء وزير الدفاع الأمريكي لويد أوستن زيارة مرتقبة للرياض كانت مبرمجة خلال الأيام الماضية ضمن جولة قام بها إلى المنطقة، ثم تغريدة للأمير السعودي سطام بن خالد آل سعود للتعليق على التوتر بين البلدين بأن «السعودية العظمى لا تقبل إملاءات من أحد، وتتعاون وفق المصالح المشتركة والاحترام المتبادل».

وعليه، فالتساؤل العريض هو: كيف أصبحت العلاقات الأمريكية–السعودية متأثرة باللف اليمني خلال الشهور الأخيرة؟ وكيف أصبح البنتاغون يمارس ضغطا عسكريا لإنهاء الحرب في اليمن؟ من العوامل التي تفسر هذا التطور العميق في العلاقات الثنائية نجد:

في المقام الأول، ترغب الولايات المتحدة في الانسحاب من الحروب في العالم سواء تلك التي تورطت فيها مباشرة أو التي تشارك فيها بطريقة غير مباشرة للتركيز على الملفات الكبرى مثل الصين. حيث أعلنت الأربعاء من الأسبوع الماضي حلفا عسكريا بحريا يسمى «أوكس» رفقة أستراليا وبريطانيا لمحاصرة النفوذ الصيني في المحيطين الهادي والهندي. وبعدما انسحبت من أفغانستان، ترغب في إنهاء حرب اليمن التي تشارك فيها بطريقة غير مباشرة. ووفرت واشنطن منذ فترة الرئيس الأسبق باراك أوباما ثم السابق دونالد ترامب الدعم اللوجيستي العسكري الضخم من تحديد الأهداف التي يجب ضربها إلى مشاركة قوات خاصة كان قد أرسلها دونالد ترامب لتساهم في تشغيل معدات حربية مثل النظام الصاروخي باتريوت والبحث عن نقط انطلاق الصواريخ الباليستية اليمنية.

وفي المقام الثاني، ترفض الطبقة السياسية الأمريكية والغربية برمتها استمرار حرب اليمن، إذ أصبحت عدد من الدول ترفض تصدير السلاح إلى دول التحالف مثل حالة ألمانيا أو بشروط دقيقة مثل حالتي إسبانيا وإيطاليا. ويضغط مجلس الشيوخ الأمريكي على إدارة بايدن لوقف هذه الحرب.

في المقام الثالث، انتهى تقييم خبراء البنتاغون لحرب اليمن إلى نتائج مقلقة للغاية سواء على الأمن القومي السعودي أو الأمن القومي الأمريكي. فلم تحقق حرب اليمن أهدافها، فمن جهة، لم تستطع القضاء على حركة الحوثيين التي تقوت وأصبحت عنصرا عسكريا هاما في شبه المنطقة، وهذا يعني تعاظم نفوذ إيران التي تجعل من الحوثيين حزب الله في الخليج العربي عسكريا وسياسيا. وكلما استمرت الحرب يتقوى نفوذ إيران، ولا ترغب واشنطن في استمرار تأمين الحماية لدول التحالف خاصة بعدما فقد الشرق الأوسط ثقله في الأجندة الأمريكية بسبب الصين. ومن جهة أخرى، تتعرض السعودية لضربات بصواريخ باليستية وطائرات بدون طيار باستمرار. وقد عجزت الأسلحة الأمريكية مثل أنظمة الدفاع الصاروخي باتريوت من اعتراض معظم الصواريخ الباليستية. وكانت «نيويورك تايمز» قد نشرت تقريرا لخبراء الأسلحة يؤكدون كيف تسببت حرب اليمن في ضرب جزء من الأمن القومي الأمريكي لأنها أظهرت محدودية فعالية هذه المنظومة أمام صواريخ الحوثيين التي لا تعد متطورة جدا، وبالتالي سيجد باتريوت صعوبات حقيقية أمام صواريخ روسية وصينية بل وإيرانية متطورة.

وهكذا، فقد رفعت واشنطن من الضغط السياسي والحقوقي على دول التحالف لكي تنهي حرب اليمن لأن القضاء على الحوثيين أصبح مستحيلا. وفي الوقت ذاته، جمدت صفقات الأسلحة بعد اعتراض الكونغرس الأمريكي بل وسحبت منظومة باتريوت من الأراضي السعودية واضطرت الرياض إلى استئجار هذه المنظومة من اليونان. كل هذه التطورات هي عناصر جديدة في العلاقات الأمريكية بدول التحالف تهدف إلى قرار واشنطن إنهاء حرب اليمن.

لقد تحول ملف اليمن خلال السنتين الأخيرتين وربما المقبلة إلى محدد ضمن عناصر أخرى لنوعية العلاقة القائمة بين الرياض وواشنطن. ويبقى لافتا رفض الرياض قبول هذه التطورات الجديدة، ويصدر عنها رد فعل بعض الأوقات مثل التلويح بالرهان على روسيا والصين عسكريا وسياسيا، وهو أمر صعب للغاية بحكم موقف موسكو الواضح بالاعتماد على إيران في الشرق الأوسط لأنها شريك موثوق به بفضل التوجهات الثابتة في سياستها الخارجية منذ عقود.

وسيط دولي رابع لليمن: ماذا في جعبة هانس غروندبيرغ؟

نيويورك- «القدس العربي»: عبد الحميد صيام

في السادس من آب/أغسطس الماضي أعلن الأمين العام للأمم المتحدة، أنطونيو غوتيريش، عن اختياره للدبلوماسي السويدي هانس غروندبيرغ، مبعوثا خاصا لليمن خلفا للانكليزي مارتن غريفيث الذي تم تعيينه وكيلا للأمين العام للشؤون الإنسانية ومنسق الإغاثة في حالات الطوارئ. وبهذا يكون غروندبيرغ المبعوث الدولي الرابع لليمن خلال عشر سنوات منذ اندلاع ثورات الربيع العربي التي شملت برياحها العاتية اليمن غير السعيد بعد 33 سنة من حكم الاستبداد الذي مثله علي عبد الله صالح.

لقد واكبت الأمم المتحدة المسألة اليمنية منذ انطلاق ثورة 11 شباط/فبراير 2011 وحتى هذه اللحظة. بدأ دور المنظمة الدولية بتعيين المغربي جمال بنعمر بين عامي 2011 و 2015 ثم الموريتاني إسماعيل ولد الشيخ أحمد بين عامي 2015 و 2018 ثم البريطاني مارتن غريفيث بين عامي 2018 و 2021. والآن جاء دور السويدي.

ورغم تبدل المبعوثين وعدم تحقيق الاختراق السياسي إلا أن المنظمة الدولية حافظت على مساراتها في التعامل مع اليمن: المسار السياسي لحل الأزمة ووقف الحرب والعودة للاستقرار، والمسار الإنساني لإيصال المساعدات إلى نحو 18 مليون يمني، ومسار مراقبة حظر الأسلحة عن طريق فريق الخبراء المستقل، ومسار انتهاكات حقوق الإنسان وخاصة حقوق الأطفال عن طريق الممثل الخاص للأمين العام للأطفال والنزاعات المسلحة. كما توصلت الأمم المتحدة إلى اتفاقية ستوكهولم حول الحديدة في كانون الأول/ديسمبر 2018 وحاولت مع الأطراف المعنية أن تراقب عملية تطبيقها على الأرض عن طريق مراقبين دوليين دون الكثير من التقدم. وأخيرا ملف الخزان العائم «صافر» الذي يحمل مليونا ونصف المليون من النفط لنحو ست سنوات ويهدد في حالة تسرب النفط بوقوع كارثة بيئية واقتصادية وإنسانية لا مثيل لها. فما هو الجديد الذي يحمله المبعوث السويدي إلى اليمن؟

بطاقة تعريف

يتمتع غروندبيرغ بخبرة تزيد عن 20 عاما في الشؤون الدولية. فهو سفير الاتحاد الأوروبي لدى اليمن منذ عام 2019. وعمل نحو 15 عاما في حل النزاعات والتفاوض والوساطة، مع التركيز على الشرق الأوسط. وقد ترأس سابقا قسم الخليج في وزارة الخارجية السويدية، خلال الفترة التي استضافت فيها السويد المفاوضات التي يسرتها الأمم المتحدة، والتي توجت باتفاق ستوكهولم عام 2018.

وتبوأ غروندبيرغ عدة مناصب دبلوماسية في بعثات سويدية أو بعثات الاتحاد الأوروبي في القاهرة والقدس وبروكسل. وترأس مجموعة عمل الشرق الأوسط، قسم الخليج، التابعة للمجلس الأوروبي من خلال الرئاسة السويدية للاتحاد الأوروبي عام 2009. إذن هو عليم بالمنطقة، خبير في شؤون اليمن، ساهم في التوصل إلى اتفاقية ستوكهولم. لكن السؤال الذي دائما يطرح: هل مؤهلات المبعوث الشخصية تكفي لنجاح مهمة الوساطة أم أن هناك أمورا أكبر من الوسيط وأعقد من مهاراته وأصعب من حنكته؟

الأمم المتحدة وآلية الوساطة

تلجأ الأمم المتحدة لعدد من الآليات لحل النزاعات بالطرق السلمية، كما نص على ذلك الفصل السادس من ميثاقها. ومن بين هذه الآليات الوساطة، والتحكيم، والتحقيق، واستخدام المساعي الحميدة للأمين العام واللجوء إلى المنظمات الإقليمية واللجوء لمحكمة العدل الدولية وغيرها. فالوساطة واحدة من تلك الآليات التي استخدمتها المنظمة الدولية مرارا وتكرارا لفض النزاعات الدولية. وقد نجحت في نزع قتيل عدد من النزاعات عن طريقة الوساطة ولكنها فشلت في نزاعات أخرى. فقد استطاعت الأمم المتحدة وخاصة بعد نهاية الحرب الباردة (1989–1990) من التوسط بنجاح في عدد من النزاعات مثل تيمور الشرقية والسلفادور ونيكاراغوا وسيراليون وليبيريا وناميبيا وجنوب السودان وجنوب أفريقيا وكمبوديا وماسادونيا وغيرها ولكنها فشلت في حالات أخرى مثل البوسنة ورواندا والصومال والكونغو وأفغانستان والسودان وسوريا واليمن وليبيا وغيرها.

وكي تنجح الوساطة الدولية يجب أن يتوفر شرطان أساسيان: أولا استعداد أطراف النزاع بجد للتعاون مع وسيط الأمم المتحدة، وثانيا أن يكون مجلس الأمن موحدا فعلا، لا قولا، خلف جهود الوسيط الدولي داعما لمهمته وواضعا تحت تصرفه الإمكانات اللازمة. وهذان الشرطان لم يتوفرا لا في سوريا ولا في اليمن ولا في ليبيا، حيث فشلت الوساطة في الدول الثلاث ولا علاقة لذلك بمهارة الوسيط وقدراته. ففي هذه الجبهات الثلاث هناك طرف يعتقد أنه سيحسم المعركة عسكريا ويفاوض فقط لكسب الوقت والإعداد لمعركته الآتية. هذا من جهة ومن جهة ثانية كان هناك انقسام حقيقي بين أعضاء مجلس الأمن حتى ولو صوتوا بالإجماع على القرارات. فقد اعتمد المجلس ثلاثة قرارات خلال عام 2015 تتعلق كلها بحل النزاعات في هذه البلدان الثلاث: اليمن 2216 (2015) وسوريا 2254 (2015) وليبيا 2259 (2015). لكن القرارات شيء وتنفيذها على الأرض شيء آخر.

لماذا فشلت جهود المبعوثين الثلاثة إلى اليمن؟

حاول جمال بنعمر البدء بعملية انتقالية سياسية ودعمها على النحو الذي أرسته مبادرة مجلس التعاون الخليجي. وتوجت هذه المرحلة بالتوصل إلى مخرجات مؤتمر الحوار الوطني الذي استمر تسعة أشهر بمشاركة كافة أطياف الشعب اليمني. لكنه عندما أشرف على اتفاق السلم والشراكة بعد سيطرة الحوثيين على صنعاء في ايبول/سبتمبر 2014 ولم ينتقد أو يدين سيطرة الحوثيين على صنعاء وحجز الرئيس، اتهم من قبل التحالف العربي بقيادة السعودية بأنه منحاز للجانب الحوثي فانتهت مهمته.

أما المبعوث الثاني إسماعيل ولد الشيخ أحمد فقد بدأ عمله بعد إنطلاق عملية «عاصفة الحزم» بقيادة السعودية التي حاولت وقف زحف الحوثيين نحو الجنوب وصولا إلى مشارف عدن. ركز ولد الشيخ على إقناع أطراف النزاع بوقف القتال والعودة إلى العملية السياسية، واستطاع أن يجمع الفرقاء أولا في جنيف وثانيا في الكويت لمدة ثلاثة أشهر. كان يؤمن بأن الحوار وجها لوجه هو أفضل طريقة لمحاولة كسر الجمود، إلا أن الحوثيين اتهموه بالانحياز للتحالف الذي تقوده السعودية وذلك لعدم انتقاده الغارات الجوية وخاصة الأطفال فانتهت مهمته. أما المبعوث الثالث غريفيث فحاول تحقيق خطوات صغيرة على طريق التسوية السلمية الشاملة بين أطراف النزاع. كما قدم خطة سلام إلى مجلس الأمن في حزيران/يونيو 2018 تنص على وقف الغارات الجوية للتحالف مقابل وقف إطلاق النار. نجح غريفيث بجمع الأطراف اليمنية في السويد لمدة أسبوعين توصلوا بعدها إلى اتفاق ستوكهولم في كانون الأول/ديسمبر 2018 الخاص بالحديدة وهو أكبر إنجاز حققه في بداية ولايته. ثم استطاع أن يحقق بعض الإنجازات الصغرى كتبادل بعض الأسرى وإرسال عدد من المصابين للعلاج الخارجي من مطار صنعاء وتجميد القتال إلى حد كبير في منطقة الحديدة. لكنه أصيب بالإحباط عندما توسعت رقعة القتال لتشمل مدينة مأرب إضافة للأراضي السعودية، كما حدثت انشقاقات داخل القوى المناهضة للحوثيين حيث دعمت دولة الإمارات الحركة الانفصالية في الجنوب بل وأقامت لها قواعد في جزر يمنية بدون إذن من الحكومة الرسمية. لقد ظل غريفيث يحاول حتى اللحظة الأخيرة لكنه فشل فأثر الخروج.

ما الجديد الذي يحمله غروندبيرغ؟

من المبكر أن نتعرف على ما يحمل الدبلوماسي السويدي في جعبته لليمن. لكن، مثله مثل كل المبعوثين، سيقضي فترة للقاء الأطراف المعنية، طرفي النزاع أساسا، ثم القوى الإقليمية ثم الدول الكبرى المؤثرة في النزاع ثم يعود إلى مجلس الأمن بعض النقاط بعد متابعة إحاطته الأولى أمام مجلس الأمن في العاشر من ايلول/سبتمبر الحالي:

– ينوي أولا تقييم الجهود السابقة، بهدف تحديد أفضل طريقة للمضي قدما ثم سيعتمد نهجا شاملا لإنهاء الصراع في اليمن.

– سيستمع إلى أكبر عدد ممكن من الرجال والنساء والشباب اليمنيين ونشطاء المجتمع المدني.

– سيعمل على تشجيع الجهات الخارجية للمساعدة في خفض التصعيد، ويرى أن تحقيق السلام والاستقرار في اليمن ضروري لاستقرار المنطقة بأسرها.

– سيجري مشاورات مع الجهات اليمنية والإقليمية والدولية الفاعلة، وسيقوم بزيارات تبدأ في الرياض وتشمل أبو ظبي ومسقط والكويت وطهران والقاهرة وعواصم أخرى.

– سيقضي معظم وقته داخل اليمن للتشاور باستمرار مع كافة أطياف الشعب اليمني.

– سيحاول الجمع بين الجهات الفاعلة غير خطوط الصراع، وإشراك اليمنيين من جميع وجهات النظر السياسية والمكونات المجتمعية ومن جميع أنحاء البلاد، للمناقشة تحت رعاية الأمم المتحدة بهدف إيجاد أرضية مشتركة وحل خلافاتهم «دون اللجوء إلى القوة».

– سيعمل على تخفيف القيود على حرية التنقل للأفراد والسلع الأساسية بسبب القتال المستمر ونقاط التفتيش والقيود المفروضة على الطرق والموانئ والمطارات.

– سيعمل على تسهيل حركة الأفراد والسلع من وإلى تعز وفتح مطار صنعاء أمام الطيران التجاري، ورفع القيود المفروضة على استيراد الوقود والسلع عبر ميناء الحديدة.

– سيبذل جهدا كبيرا لإشراك المرأة بشكل حقيقي في كافة مراحل المفاوضات والتسوية.

– سيحاول أن يحقق سلاما مستداما يحمي كافة الحقوق المدنية والسياسية والحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، سلاما يضمن الحكم الرشيد ومؤسسات دولة تخدم المواطنين بشكل عادل.

هذه بعض الخطوط العريضة التي ذكرها في أول إحاطة له في مجلس الأمن. مجموعة أفكار وخطط ومبادرات يسعى قريبا لتطويرها لتصبح خريطة طريق متكاملة. فهل سينجح في مساعيه؟ لا أحد يستطيع الجزم بذلك فالنجاح أو الفشل ليس بالضرورة محصورا في قدرة الوسيط الدولي أو مهاراته التفاوضية.

Volume 33 - Issue 10390 Sunday 19 September 2021

الحرب الأبدية في اليمن: هل حنث بايدن بوعده أم اكتشف تعقيدها وكثرة اللاعبين فيها؟

مقاتلو المجلس الانفصالي في ابين

إبراهيم درويش

في شباط/فبراير ألقى الرئيس جوزيف (جوي) بايدن خطابه الأول عن السياسة الخارجية وقدم فيه تعهدا بوقف الحرب المدمرة في اليمن، وبعد ثمانية أشهر تقريبا على ذلك الخطاب لا يزال اليمن يعيش دوامة الحرب والجوع والحصار والإقتتال الداخلي، مما يطرح أسئلة حول دبلوماسية بايدن وقدرتها على التأثير.

وقد اختفى اليمن من عناوين الأخبار لكن جوع سكانه لا يزال يشغل بال الأمم المتحدة والمنظمات الإنسانية التي تحذر من كارثة تحل بالناس. واللافت في الأمر أن اختيار بايدن اليمن في أول خطاب هام له عن السياسة الخارجية كان تعبيرا عن تحول في الموقف الأمريكي من حرب تواطأت فيها عندما كان نائبا للرئيس باراك أوباما الذي اعتقد أن بإمكانه دعم الحملة التي قادتها السعودية ضد المتمردين الحوثيين الذين احتلوا العاصمة صنعاء لترضيتها وحلفاءها في منطقة الخليج كي تسكت أو تدعم اتفاقيته النووية مع إيران التي وقعت في نفس العام الذي شن فيه التحالف السعودي حربه على اليمن، أي عام 2015.

كما واعتبر تعهد بايدن تحولا في المسار عن سياسة دونالد ترامب الذي لم يخف دعمه للسعوديين والإماراتيين، بل واستخدام الفيتو لمنع المحاولات في كونغرس لوقف التورط الأمريكي في الحرب. ولهذا كان قراره منح الأولوية لليمن وتعيينه مبعوثا خاصا له لوقف الحرب فيه، بالإضافة إلى عكس قرار متأخر اتخذته إدارة ترامب في أيامها الأخيرة بتصنيف الحركة الحوثية إرهابية مدعاة للأمل بأن دبلوماسية قوية من الولايات المتحدة قد تعطي فرصة لتسوية سلمية لحرب دمرت اليمن وشردت أهله.

الحرب مستمرة

ولم يتغير الوضع منذ خطابه ومن غير المحتمل تغيره كما جاء في مقاربة نشرتها أن شيلاين من معهد كوينسي مع بروس ريدل المحلل الأمني في موقع «بروكينغز» (2021/9/16) حيث قالا إن تصريح بايدن «سنكثف دبلوماسيتنا لوقف الحرب في اليمن» ربما خانته السذاجة حول الأثر الذي يمكن أن تحققه الولايات المتحدة على الواقع «فمن المحتمل استمرار الحرب، مهما فعلت واشنطن». وأشارا إلى عدة عوامل تدفع بهذا المسار: اقتصاد الحرب المربح، وتدفق الدعم والمصادر من الداعمين الأجانب وغياب حوافز التفاوض مما يدفع المتحاربين وهم كثر على مواصلة القتال بدون اكتراث بمعاناة اليمنيين. ويعتقد الكاتبان أن بايدن الذي خرج من كارثة أفغانستان بفوضى علمت رئاسته وحتى النهاية، وإن لم يكن قادرا على وقف الحرب في اليمن فيمكنه إنهاء التواطؤ الأمريكي فيها. وكشف الكاتبان عن عيوب قاتلة في نهج بايدن من الحرب. فقد أكد الرئيس بأنه «سيوقف الدعم الأمريكي للهجمات في اليمن» لكن الحرب التي تقودها السعودية هي عملية هجومية، فهي تقوم بقصف وحصار دولة أخرى وقامت في الفترة ما بين آذار/مارس 2015 وتموز/يوليو 2021 بـ 23.251 غارة تقريبا قتلت 18.616 مدنيا. وشن الحوثيون هجمات انتقامية ضد الأراضي السعودية، ولو أوقف التحالف السعودي غاراته فسيفقدون مبرر إطلاق صواريخ ومسيرات ضد السعودية. ويقول الكاتبان «طالما بقيت الولايات المتحدة تدعم حرب الإختيار السعودية ماديا ومعنويا فتأكيد بايدن بأن الولايات المتحدة قادرة على وقف الدعم للعمليات الهجومية هو أكذوبة».

لم ينته الحصار

وكشف الكاتبان عن عيب ثان في نهج بايدن من اليمن، وهو أنه لم يدع وبشكل فوري لإنهاء الحصار الذي فرضه السعوديون على اليمن. ويمنع الحصار وصول الوقود إلى المناطق التي يسيطر عليها الحوثيون، وكذا الطيران من مطار صنعاء الدولي، ولا يمكن اعتبار الحصار عملية دفاعية بل هجومية، وعليه كان من اللازم وقف التورط الأمريكي بعد إعلان بايدن في شباط/فبراير. مع أن الولايات المتحدة دعمت وبشكل تكتيكي الحصار، واعلنت في مناسبات عن اعتراض البحرية الأمريكية شحنات أسلحة إيرانية، ما يؤشر لدور نشط أكثر مما تعترف به الإدارة، وعلى الكونغرس التحقيق في الأمر كما يقولان. ويتحمل السعوديون والحوثيون مسؤولية الحصار، فكلاهما استخدم التجويع كسلاح، وعدم مطالبة بايدن بوقف الحصار، فهو لم يسمع فقط بالكارثة الإنسانية بل واعتبر الحصار شرطا مناسبا للتفاوض. وفي الوقت الذي يتفاوض فيه الدبلوماسيون يسمع الحصار الذي فرضه التحالف السعودي بتجويع اليمنيين وحرمانهم من الوقود ووسائل النقل الضرورية لنقل المياه والطعام. ومن الناحية الفنية فالحرب السعودية ضد اليمن تعكس رغبات الرئيس اليمني عبد ربه منصور هادي الذي فر بعد سيطرة الحوثيين على صنعاء، وبعد فترة قصيرة في عدن فر بالسفينة إلى السعودية حيث لا يزال هناك. وطلب هادي من السعوديين التدخل والذي دعم بقرار مجلس الأمن الدولي 2216 عام 2015 وهو قرار يدعم التدخل السعودي: القصف الجوي والحصار كوسيلة لإعادة هادي إلى صنعاء باعتباره الرئيس المعترف به دوليا. ويعلق الكاتبان أن هادي رغم تحمله المسؤولية لفساده وجهوده لإفشال محاولات حل النزاع إلا أنه لا يسيطر على السعوديين. فالرياض تستخدم هادي وقرار 2216 الصادر عن الأمم المتحدة كذريعة لشن حرب على الحوثيين الذين تخشى من علاقاتهم مع إيران. لكن ما فعله التحالف السعودي هو أنه ساهم في توطيد الحوثيين سيطرتهم على المناطق التي دخلوها. وأسهمت الآليات التي وضعتها الأمم المتحدة في عام 2015 «آلية التثبت والفحص» للتأكد من عدم احتواء المواد المستورة من اليمن على أسلحة إيرانية، بعرقلة عمليات نقل الوقود من ميناء الحديدية الذي لم يشحن منه وقود في 11 من 17 اسبوعا منذ بداية أيار/مايو 2021. وقاد هذا إلى تهريب الوقود من موانئ عدن والمكلا، حيث تقود حكومة هادي باقتطاع الضريبة عنه، بالإضافة لضريبة اخرى يقتطعها الحوثيون بعد نقله بالشاحنات برا مما يزيد من أسعاره بشكل لا يمكن للناس العاديين الحصول عليه. ويزيد هذا من أسعار المياه والغذاء التي تعتمد على الوقود. كما لا تتمكن المنظمات الإنسانية التي تفتقر للمال من العمل بدون وقود، ولا ننسى الاقتصاد اليمني الذي يفتقر إلى الوقود لتشغيل عملياته. وتقوم استراتيجية التجويع والحصار على فرضية خاطئة: لو عانى السكان الخاضعون للحوثيين فإنهم سينتفضون ويطيحون بهم. وثبت خطأ هذه الفرضية في فنزويلا من15 عاما وإيران منذ 40 عاما وكوبا من 60 عاما وغزة منذ 14 عاما. وترك الحصار أثاره على الوضع الإنساني في اليمن، وحذر المبعوث الأممي الذي أنهى مهمته مارتن غريفيث في آخر إيجاز له لمجلس الأمن من «المجاعة لا تتعلق بمشكلة الطعام ولكنها عرض عن انهيار أعمق».

لا تقدم

ولم يستطع غريفيث تحقيق تقدم في ملف المفاوضات أثناء فترته ولا يعرف ما يمكن أن يحققه خليفته هانز غراندبيرغ في ظل الشروط غير الواقعية التي وضعها قرار مجلس الامن 2216. وحاولت عمان التوصل لوقف إطلاق نار في حزيران/يونيو لكن لم يحدث أي شيء عملي، وليس لدى المبعوث الأمريكي الخاص لليمن، تيموثي ليندركينغ ما يقدمه رغم رحلات المتعددة للمنطقة. والسبب الرئيسي لغياب التقدم في المسار الدبلوماسي، هو أن إدارة بايدن وإن كانت ملتزمة بالخيار الدبلوماسي لا تزال من الناحية العملية تدعم الموقف السعودي. ولم ينفذ بايدن توعده ضد السعوديين أثناء حملته الانتخابية ومدح وزير الخارجية أنطوني بلينكن، الإعلان السعودي من طرف واحد لوقف إطلاق النار والذي رفضه الحوثيون، فليس لديهم استعداد للتنازل عن أسلحتهم والمناطق التي سيطروا عليها، ولا يوجد أي سبب يدفعهم للموافقة على هذا المقترح لاعتقادهم أنهم ينتصرون. ويعكس الموقف الأمريكي المتناقض من الحرب وعدم ارتياحهم من الحوثيين وعلاقتهم مع إيران، لكن هؤلاء ليسوا في النهاية دمى في يد طهران ولن يتخلوا عن محاولاتهم السيطرة على اليمن حتى لو أوقف الإيرانيون دعمهم. ومن هنا فالطريق للتسوية لا يمكن أن يتم بناء على الشروط التي حددها قرار 2216 ولا الظروف الحالية التي عزز فيها الحوثيون من سيطرتهم على العاصمة صنعاء وشمال وغرب البلاد. ولكي تنجح مهمة بايدن الدبلوماسية فعليه أولا المطالبة برفع الحصار المفروض على اليمن ومن ثم الطلب من بريطانيا وهي حاملة القلم في مجلس الأمن بإعداد صيغة قرار جديد بشأن اليمن يتضمن حوافز تدفع الحوثيين إلى طاولة المفاوضات.

بين طالبان والحوثيين

ولو عنى القرار الجديد بقاء شمال اليمن في أيديهم فهو يعكس الواقع لأنهم يسيطرون بالفعل على الشمال. ولو قارنا اليمن بأفغانستان، فقد ظلت طالبان تسيطر على جنوب البلاد، وحصلت على شرعية قتالها القوات الأجنبية. وبالمقارنة سيقول الحوثيون أنهم يواجهون عدوانا تقوده السعودية ضد بلدهم. وفي النهاية لا يريد المواطنون العاديون في اليمن مثل أفغانستان إلا توقف العنف. ومثل طالبان حول الحوثيون مطالبهم إلى قضية وطنية، وهم يقاتلون على أرضهم مثل طالبان برغم ما يملكه السعوديون والأمريكيون من عتاد عسكري متقدم. ولا تتوقف المقاربة عند هذا الحد، ففي أفغانستان انهارت حكومة أشرف غني قبل أن تخرج القوات الأمريكية وانهار معها الجيش وقوات الأمن، وفر غني إلى الإمارات العربية المتحدة. وفي الحالة اليمنية، فر هادي عام 2015 ويعيش في السعودية اليوم، ورغم ما تحظى به حكومته من مظهر اعتراف دولي إلا أنها تعاني من الفساد وفقدت الكثير من المناطق التي كانت تحت سيطرتها ولا شرعية واسعة لها، فهي تواجه تحدي الجنوب الذي يطالب بالانفصال والمدعوم من الإمارات التي تسيطر على الموانئ الحيوية في الجنوب، وحتى السعودية عززت من وجودها في المهرة في جنوب–شرق اليمن، مما يطرح أسئلة حول قدرة هادي على استعادة سيطرته على بلد بات نهبا للمتحاربين وأطماع الجيران. وفي منطق بايدن عن الحروب الأبدية «لا أستطيع ولن أطلب من قواتنا مواصلة القتال في حرب أهلية لا تنتهي ببلد آخر» وسحب في النهاية القوات من أفغانستان، فعليه عمل نفس الأمر وينهي التورط الأمريكي في اليمن.

مدخل جديد

وسيحتمل بايدن مسؤولية كلامه من أن الحرب في اليمن تسببت «بكارثة إنسانية واستراتيجية» ولم تنته الكارثة بعد بل وزاد الحوثيون من جهودهم للسيطرة على محافظة النفط مأرب والتي تعد آخر معقل لحكومة هادي في الشمال. ويضاف لويلات اليمن فيروس كورونا حيث تقوم منظمات الإغاثة الدولية أن حالات الإصابة المعلن عنها أقل من العدد الحقيقي.

وفي مقالة نشرتها دورية «فورين أفيرز» (2021/8/19) ناقشا فيها كل من مايكل وحيد حنا وبيتر سالزبري أن تعيين غراندبيرغ مبعوثا جديدا مدعاة للأمل ودافعا للمجتمع الدولي لإعادة التفكير بنهج ووضع حد للحرب. وقبل هذا على الولايات المتحدة والأمم المتحدة وبقية الدول إعادة النظر في فهمها للحرب، فهي أعقد مما يتم تصويرها في الخارج، وليست حربا بين قوتين تدعمها إيران والسعودية، بل هي نزاع داخلي يثير الدوار نظرا لتعدد اللاعبين فيه. وبدلا من التركيز على حل سريع للأزمة يجب على المجتمع الدولي البحث عن حل متعدد. وبعيدا عن الطبيعة الأولى للنزاع الذي بدا بتحالف غريب بين الحوثيين والرئيس السابق علي عبد الله صالح إلا أن هروب هادي وما تبع ذلك من تدخل إقليمي ودعم أمريكي ودولي للحرب السعودية أعطى النزاع بعده الداخلي. فالقوى المشاركة تبحث عن مصالحها وحماية مناطقها أكثر من دعمها لعودة هادي. وحتى الإمارات والسعودية وإيران لا تتحكم بكل تحرك يقوم به حلفاؤها على الأرض. وأي اتفاق بين هادي والحوثيين لن ينهي إلا القتال ولن يوقف النزاع على السلطة والمناطق في اليمن. ورسم صورة للجماعات التي تقاتل تحت مظلة مواجهة الحوثيين لكنها متنافرة في مطالبها تدعو على الدهشة، ففي منطقة البحر الأحمر مثلا يقاتل الحوثيون طارق صالح ابن أخ علي صالح والذي تدعمه الإمارات. ويقاتلون أيضا سلفيين تدعمهم السعودية وأحيانا يواجهون قوى تابعة للمجلس الجنوبي الانتقالي المدعوم من الإمارات. وتخوض الجماعات على هذه حروبها الداخلية، فقد سيطر المجلس الانتقالي على عدن ومحافظتين تابعتين للحكومة. وفي تعز مثلا يدافع المقاتلون عنها ضد الحوثيين ويخوضون حربا ضد جماعات محلية تدعمها الإمارات. وإزاء هذا الوضع المعقد يواصل المجتمع الدولي التعامل مع النزاع بطريقة مبسطة، فواشنطن مثلا موزعة بين الصقور الداعين لدعم الحكومة في مأرب وكسر ظهر الحوثيين ومن يرون أن استراتيجية بايدن كافية ويؤطرون الوضع باعتباره حربا بين الحوثيين والسعودية الخاسرة. ويرون أن إخراج الرياض من المعادلة يعني نقل المواجهة إلى داخل اليمن، أي بين الحوثيين المنتصرين وبقية الجماعات المتصارعة. ولا أحد يريد تعميق التورط الأمريكي في الحرب كما أن الدبلوماسية الأمريكية لا تزال قاصرة لأنها تتعامل مع النزاع من منظور ثنائي، ولا أحد على ما يبدو مستعد للتنازل. وفي النهاية هناك حاجة لتوسيع طاولة المفاوضات والإستماع لكل الأطراف وعدم قصره على الحوثيين والسعودية وحكومة هادي.

حوار

الخبير اللبناني السياسي–الاقتصادي سامي نادر:
لا قدرة لحكومة ميقاتي على التفاوض مع صندوق النقد ونزيف الهجرة مُقلق

حاورته: رلى موفق

لا يبدو الخبير السياسي–الاقتصادي والأكاديمي د. سامي نادر على كثير من الثقة بأن الحكومة الجديدة برئاسة نجيب ميقاتي قادرة على القيام بالإصلاحات المطلوبة من أجل وضع لبنان على سكة التعافي. لدى نادر شكوك بنجاح حكومة ميقاتي في التفاوض مع صندوق الدعم، ذلك أن الفرقاء السياسيين الذين فشلوا في الاتفاق خلال حكومة سلفه حسان دياب على أرقام الخسائر وكيفية توزيعها هم أنفسهم يُشكّلون هذه الحكومة، ولا مجال لأن يتّفقوا على مقاربة موحّدة.

هو على يقين بأن الحكومة هي حكومة الحد الأدنى أو حكومة المليار والـ600 مليون دولار، المتأتية من السحوبات الخاصة من صندوق النقد والمال المرصود نتيجة أزمة كوفيد العالمية، والتي ستعمل على تحريرها كونها غير مشروطة بإصلاحات. وهذا من شأنه أن يمكّنها من احتواء الوضع لفترة من الزمن، بعدما بات التغيير الجذري غير ممكن بانتظار الانتخابات النيابية.

يرى أن الصمت الذي ساد داخلياً حيال إدخال «حزب الله» للنفط الإيراني إلى لبنان عبر الطرق غير الشرعية من سوريا من دون إذن السلطات اللبنانية وعلى مرأى السلطات الأمنية هو دليل على عدم وجود الدولة وتقزيمها.

ويعبّر مدير «معهد المشرق للشؤون الاستراتيجية» عن اعتقاده بأن فرص الاتفاق على الملف النووي باتت ضئيلة، وأن إيران لم تعد مستعجلة بعدما راكمت أوراقاً إضافية في يدها. وهو إذ يستبعد حصول حرب مع إيران، يتوقع أن تلجأ واشنطن إلى العقوبات كبداية للخيارات التي تتحدث عنها الرئيس الأميركي بأنها موجودة على الطاولة. وهنا نص الحوار:

○ هل الحكومة الجديدة التي تشكّلت برئاسة نجيب ميقاتي هي حكومة الـ8 أشهر التي تفصلنا عن الانتخابات التشريعية، وبالتالي ما المطلوب منها أن تُنجزه؟

● أتمنى أن تكون حكومة الـ8 أشهر! أما المطلوب منها فهو أن تُحضّر للانتخابات التي يُفترض أن تُجرى بعد8 أشهر وهذه هي مهمتها الأساسية بالإضافة إلى مهمة ثانية وهي تحرير مبلغ المليار والـ600 مليون دولار تقريباً، الذي هو سحوبات خاصة بقيمة مليار و135 مليوناً، إضافة إلى قرضين من البنك الدولي تمّ إقرارهما ولم يتم تحريكهما لغاية الآن، الأول بقيمة 240 مليوناً والثاني بقيمة 320 مليوناً، هذا ما يستطيع لبنان الحصول عليه حالياً لأن هذه القروض غير مشروطة بإصلاحات. وأنا عندي شكوك بنجاحها بذلك، مع تمنياتي بأن يستطيعوا الذهاب إلى صندوق النقد والبدء بالتفاوض معه.

○ أعطتك الحكومة انطباعاً بأن هناك ذهنية مختلفة في إدارة البلاد، ولا سيما في التفاوض مع صندوق النقد؟

● حسب قراءتي لن تكون لديهم القدرة على التفاوض مع صندوق النقد لأن القوى السياسية الحاكمة لم تتغيّر. تغيّرت الأسماء فقط. موازين القوى في الحكومة السابقة فشلت في التفاوض مع صندوق النقد لأن مصالحها متضاربة، وهذا تجلّى بالخطوات التي قامت بها وقتذاك، بدءاً بالخطة الاقتصادية. لقد وضعوا الخطة الاقتصادية الأولى التي اسمها «لازارد» مع أرقامها، لكن فريقاً آخر من داخل السلطة نفسها ناقض هذه الخطة لأنهم اختلفوا على الخسائر ولتضارب مصالحهم! كان هناك فريق مدعوم من مصرف لبنان وربما من رئيس مجلس النواب نبيه بري الذي لديه نظرة مختلفة عن نظرة «حزب الله» الذي يريد أن يُحمّل الخسائر للمصارف، و«التيار العوني» الذي يريد تحميلها للمصرف المركزي وحاكمه رياض سلامة. لم يتفقوا على حجم الخسائر لأنهم غير متفقين ضمناً على كيفية توزيعها ومن سيتحملها، وهذه هي النقطة المفصلية.

كل أزمة لها ثمن، وحتى نخرج من هذه الأزمة علينا أن نتفق على كيفية توزيع هذه الكلفة. نحن نتكلم عن أربع دعامات: الحكومة، والقطاع المصرفي، ومصرف لبنان، والمواطنين. هذه هي الدعامات الأربع، وفي غياب الاتفاق فإن الذي دفع الثمن هو المواطن اللبناني في قدرته الشرائية ومدخراته التي احتُجزت. لذا، أنا أرى، وأتمنى أن أكون مخطئاً، أن هذه السلطة بتناقضاتها، لن تستطيع التوصل إلى ورقة موحدة لم تتوصّل إليها سابقاً، ولا تنفيذ الإصلاحات المطلوبة والتي بدأنا نلاحظ حالياً التنافس حول كيفية تنفيذها.

○ ماذا ستنجز إذاً؟

● حكومة الـ8 أشهر يمكن وصفها أيضاً بـ«حكومة المليار و600 مليون دولار» أو «حكومة الحد الأدنى» وبالتالي لن تستطيع وضع خطة إنقاذية مع صندوق النقد، ولا القيام بالإصلاحات المطلوبة، بل ستذهب إلى هذه السحوبات الخاصة غير المشروطة، والمرتبطة بكورونا. هذا هو سقف الحكومة وآفاقها. وسيكون عليها أن تتدبر الأمور بهذا المبلغ لأن لا أحد من الكبار يريد انفراط العقد، ولأنها شكلت الحد الأدنى لتسوية إيرانية – فرنسية. هي تسوية، لكن عناصر استدامتها غير متوفرة.

○ وبرأيك سيعكس البيان الوزاري تلك التسوية؟

● يُفترض أن يعكس خطة عملها، ما تسرّب منها فضفاض في المضمون وفي التعابير على قاعدة تجنّب الاشتباك، ولكن الاشتباك سيحصل لاحقاً ضمن مجلس الوزراء لأن لا وضوح في الرؤية ولا اتفاق على خطة. لا قرار واضحاً في اتجاه رفع الدعم؟ الاستمرار بالدعم يعني الإبقاء على نزيف الاحتياط وضرب العملة الوطنية والتبديد السريع للآثار الإيجابية لتأليف الحكومة وللأموال الآتية من صندوق النقد على سعر الصرف. ماذا تعني عبارة «إعادة هيكلة القطاع المصرفي حيث يلزم»؟ ببساطة تعني أن لا مقاربة واحدة. على كل، لم نحصل بعد على الصيغة النهائية للبيان الوزاري، لكنني غير متفائل.

○ البعض يقول: أعطوا الحكومة فرصة؟

● طبيعي أن نُعطيها فرصة وألا ننتقدها من اليوم الأول، ولا سيما أن هناك أشخاصاً مشهود لهم بأخلاقهم وكفاءاتهم في عداد أعضائها. أما لماذا أشكّك؟ لأن ليس بإمكانها أن تحقّق الإصلاحات ولأنها ليست مختلفة عن سابقتها. هي تضمُّ نفس القوى السياسية ونفس موازين القوى، وبالتالي سنحصل على نفس النتائج. لن تكون هناك إصلاحات ولا خطة ولا نجاح في التفاوض. وكل ما ستفعله الحكومة هو تحرير السحوبات الخاصة من صندوق النقد لأنها ليست مشروطة بإصلاحات بالإضافة إلى المال المرصود نتيجة أزمة كوفيد العالمية، التي ستمكنها من احتواء الوضع لفترة من الزمن. وبالتالي الكل أجمع على أنه لا بد اليوم من احتواء الوضع في لبنان. التغيير الجذري غير ممكن اليوم، فلننتظر الانتخابات النيابية.

○ رهان المجتمع الدولي على استحقاق الانتخابات النيابية لولادة طبقة جديدة هو رهان واقعي أم أنه نوع من ترحيل للأزمات؟

● هم مسؤولون عن إيصالنا إلى هذا الخيار. المبادرة الفرنسية تحديداً هي التي عوّمت هذه السلطة لكنها اصطدمت بها لاحقاً، وظهر في ما بعد أنها كانت مبادرة خاطئة وجاءت على حساب الشعب اللبناني الذي أطاح بحكومتين. السلطة كانت على شفير الانهيار بعد انفجار المرفأ في 4 آب/ أغسطس 2020 فأتى الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون وعوّمها مستخدماً نظرية أن الشعب اللبناني هو مَن أتى بالطبقة الحاكمة عبر صناديق الاقتراع وبالتالي أمامه فرصة للتغيير في الانتخابات المقبلة.

○ هل هو رهانٍ واقعي؟ بمعنى هل يمكن أن نرى تغييراً؟

● إذا كان المجتمع المدني مدعوماً، فإن إمكانية حصول خرق كبيرة إن لم أقل مؤكدة. وهذا سبق أن رأيناه في دول أخرى ومنها دول عربية.

○ ولكن هناك خوفا لشارع 17 تشرين الأول/أكتوبر ولقواه، هل هذا الخمود هو جمر تحت الرماد أو عجز نتيجة استرداد السلطة المبادرة؟

● السلطة هي سلطة مجرمة استخدمت كل الوسائل لقمع الانتفاضة. أطلقت على الناس الرصاص الحيّ، وفَقَأتْ عيونهم بالرصاص المطاطي وهدّدتهم. الانتفاضة كانت حيّة وبريئة وطبيعية، قُمعت وجاءت ضربة المرفأ لتُحبطها، وكذلك ضربة الكوفيد. أنا قلق من نزيف الهجرة. أنا من الأشخاص الذين يعوّلون على الانتخابات، وخوفي من أن نصل إلى موعد الانتخابات من دون وجود أناس تُدلي بأصواتها. غالبية المواطنين بين الـ20 سنة والـ40 سنة تركوا البلاد، وأيضاً كثر من الناشطين في الثورة غادروا لبنان. وهذا عائد إلى الإحباط وآثار الأزمة الاقتصادية. الإنسان يحب بلاده ولكن ليس أكثر من نفسه.

○ بعد وصول حمولة السفينة الأولى من المازوت الإيراني إلى لبنان... أي «رمزيات» لهذا التطوّر؟

● لا بد للمراقب من أن يُقيم علاقة بين تمرير النفط الآتي من إيران وعملية استجرار الغاز من مصر إلى لبنان عبر الأراضي السورية واستجرار الكهرباء من الأردن عبر الأراضي السورية ورفع العقوبات الجزئي المتعلق بقانون قيصر عن النظام السوري. وبالتالي أعتقد أن هناك توازياً بين النفط الإيراني الآتي إلى لبنان وبين استجرار الغاز. مشروع استجرار الغاز المصري كان يُحضّر من قبل صندوق النقد الدولي، ويشكل حلاً لأزمة الكهرباء لأنه يوفّر على الخزينة اللبنانية 60 في المئة من كلفة إنتاج الطاقة، فإنتاجها من خلال الغاز أرخص بكثير من إنتاجها عبر الفيول أويل أو من المازوت المستقدم من إيران.

أميل إلى القول إن هناك «تبادلاً ما» وهي خطوة مقابل خطوة. هناك خطوات إيجابية قامت بها إيران بمسألة المفاوضات حول النووي، حيث سمحت لمفتشي الوكالة الذرية العالمية باستبدال ذاكرة الكاميرات في المواقع النووية. أعطى الإيرانيون شيئاً على مستوى مراقبة نشاطهم النووي، فسهّل الأميركيون مرور بواخر النفط.

○ ولكن يمكن القول إن محور إيران سجل انتصاراً في كسر الحصار؟

● هناك انتصار إعلامي أو محاولة تلميع للصورة في الإعلام. بالنسبة لسوريا، الحصول على استثناءات لقانون قيصر هو خطوة تُسجّل لها. في العمق لم يتغيّر شيء. البواخر كانت تأتي إلى بانياس تحت حماية روسية، حاملة كميات قليلة ومدفوعة الثمن ولم تُخفّف من حدة أزمة المحروقات في سوريا. أما القول إن البواخر كسرت الحصار على لبنان، فهذه تعمية وموارية للحقيقة والواقع.

هناك أزمة محروقات في البلاد، ولكنها نتيجة الأزمة الاقتصادية–المالية، وليست نتيجة الحصار على لبنان. السفن المحمّلة بالنفط ترسو مقابل الشواطئ اللبنانية وتحتاج فقط فتح الاعتمادات لتقوم بتفريغ حمولتها ولكن الدولة اللبنانية لا تملك السيولة الكافية للاستمرار بدعم هذه المواد.

○ اجتازت الصهاريج الحدود عبر معابر غير شرعية وسط صمت مطبق سياسي وأمني، وصمت الحكومة ورئيسها، ماذا يعني ذلك؟

● هذا تقزيم للدولة، والسؤال الكبير هو أن هناك طرفاً في الداخل اللبناني يقوم باستيراد النفط من إيران قافزاً فوق العقوبات الأميركية المفروضة من دون جرى التبادل على قاعدة خطوة بخطوة، وانتهى الأمر. ليس الملف اللبناني أولوية. صحيح أنه يمكن أن تكون هناك سياسة تجاه لبنان لها أهدافها، وهناك استراتيجية للاقاة الوضع في لبنان، لكن ذلك يندرج ضمن سياسة احتواء إيران أو سياسة مواجهة إيران. بمعنى أنه ليس هناك اليوم شيء اسمه سياسة لبنانية.

○ ألا تتوقع ردّة فعل أميركية، هل يمكن أن نرى عقوبات؟

● لا أعتقد أن هناك عقوبات سوف تُفرض على إيران حول موضوع النفط. العقوبات على إيران قد تُفرض إذا تعطلت المفاوضات القائمة معها. واشنطن قالت بعد لقاء الرئيسين الأميركي والإسرائيلي إنه إذا فشل المسار التفاوضي هناك خيارات أخرى على الطاولة، وأرجّح العقوبات كخيار أولي.

ربما نرى عقوبات على «حزب الله» في هذا السياق. وإذا انطلقنا من أن ثمة توازياً بين بواخر النفط الإيراني واستجرار الغاز من مصر والكهرباء من الأردن إلى لبنان، فهذا يعني أنه كان وما زال بإمكان «حزب الله» أن يعرقل هذا المسار في أية لحظة، خصوصاً إذا رأت إيران أنها ليست مستفيدة من هذه الصفقة كونها خارج هذا الاتفاق الرباعي: مصر، الأردن، النظام السوري ولبنان. وعرقلتها يمكن أن تحصل عبر استهداف بعض شبكات البنى التحتية.

○ كيف قرأت تحميل الاتحاد الأوروبي «حزب الله» مسؤولية ما جرى في لبنان؟ هل من تناقض بين اندفاعة ماكرون باتجاه إيران و«حزب الله» وبين موقف الاتحاد الأخير؟

● أعتقد أن هناك استياء أوروبياً من الدور الفرنسي، وهذا مرشح للازدياد. هذه القنوات الفرنسية المفتوحة مع إيران وسعي باريس للتمايز عن شركائها الأوروبيين لا يطمئنان. هناك التباعد على أشده بين واشنطن وباريس يُذكر بالتباعد الذي حصل في 2003 قبل غزو العراق. انعكس التباعد في إلغاء صفقة الغواصات الأسترالية التي اعتبرتها باريس طعنة في الظهر، وفي التحالف الأمريكي–البريطاني–الأسترالي لمواجهة الصين الذي أعلن عنه أخيراً، وهو تحالف ستنضم إليه دول أوروبية الشرقية الناشئة الحليفة لأمريكا لأنها لا تشعر بالارتياح للدور الفرنسي.

○ هل يمكن أن نشهد تصعيداً إيرانياً–أمريكياً، وإلى أي حد يمكن أن تصل الخيارات حول النووي ولا سيما أن ثمة تقارير تتحدث عن مدة شهر تفصلنا عن إنتاج إيران قنبلة نووية؟

● إيران استفادت بشكل كبير خلال الثلاثة أشهر الفاصلة بين انتخاب بايدن ودخوله البيت الأبيض. زادت التخصيب وخلقت وقائع جديدة. كما أنها أعلنت عن اتفاقها التاريخي مع الصين، ويمكن ضمّها لـ«مجموعة شنغهاي». أرى أن الاتفاق النووي بات بعيداً. أمريكا لن تعود إذا لم يكن الاتفاق صلباً، وإيران لم تعد مستعجلة للعودة إليه. بالطبع هي تريد أن ترفع العقوبات، إنما باتت بيدها أوراق إضافية عن قبل. الخيارات ليس بالضرورة أن تكون حرباً. هناك مزيد من العقوبات، وهناك الضربات السيبرانية والضربات المحدودة، لا بد من تحضير عدّة الشغل، أنا لا أرى في حقيقة الأمر رؤوساً حامية بالاتجاه نحو الحرب.

○ هل ما نراه لبنانياً هو تداعيات القرار الأمريكي بالانسحاب من المنطقة؟

● الأمريكيون لم يقرروا الانسحاب من المنطقة كلياً. هم خرجوا من سياسة بناء الأوطان والحروب الاستباقية التي كانت سائدة خلال جورج بوش الابن. تبدّلت أولوية أمريكا. أولوياتها الآن هي احتواء الصين والتغيير المناخي، إضافة إلى مشكلة احتواء إيران. الإمبراطوريات الكبرى تلعب على التوازنات. تعلمت من الإمبراطورية الرومانية. فحين تنشر العسكر تضعف الخاصرة لأنها مُكلفة ولا قدرة على الاستدامة فيها، وهذا جليّ في تجربة العراق وأفغانستان. نحن نشهد بروزاً لقوى إقليمية لم تكن على الساحة الشرق أوسطية مثل روسيا وتركيا نتيجة الانكفاء الأميركي. وفي العقيدة الأميركية الجديدة هي تريد بناء تحالفات على قواسم مشتركة وكخيار بديل عن سياسة بوش الابن السابقة، ولكننا نرى ان أمريكا تعود للعب بهذه التحالفات.

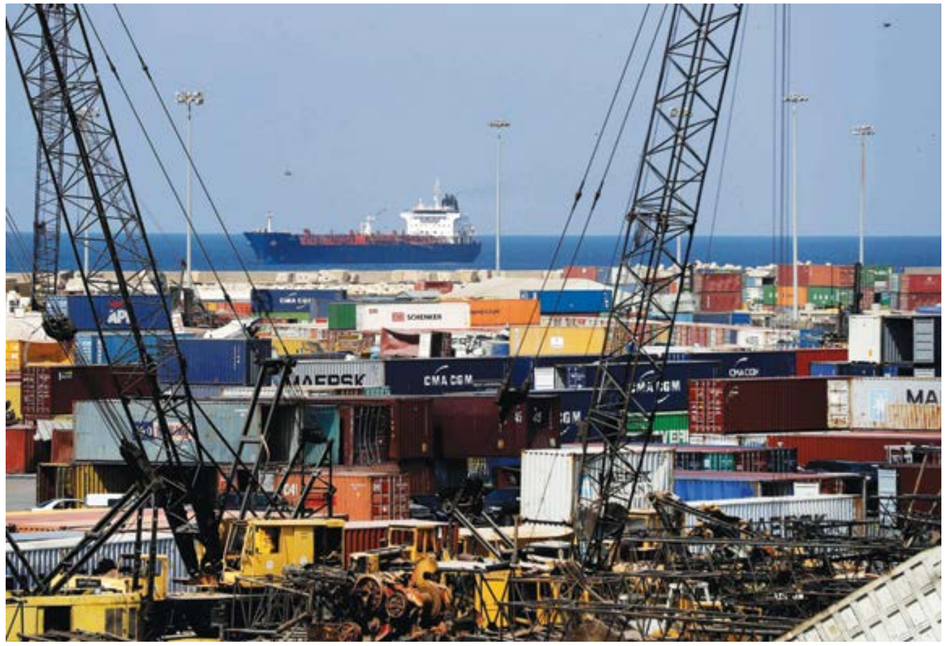

حريات

أربع مراحل كاشفة غنية بالتفاصيل والتحولات

نفق جلبوع: عندما اكتشف الفلسطيني أن للأسرى قضية عادلة ومليئة بالقوة والبلاغة

رام الله – «القدس العربي»:
سعيد أبو معلا

من دون أن يدري الاحتلال تحولت قضية الأسرى الأربعة (زكريا الزبيدي، محمود ومحمد العارضة ويعقوب قادري) الذين تم إعادة اعتقالهم على أيدي قوات الاحتلال الإسرائيلي بعد خمسة أيام من عملية هروب حملت اسم «نفق الحرية» من فعل أمني يعيد ترميم حالة الردع الأمني الإسرائيلي وكي الوعي الجمعي الفلسطيني إلى حدث ملهم للفلسطينيين.

صحيح أن الفلسطينيين عاشوا صدمة قاسية بعد ورود أنباء اعتقال الأسرى الأربعة، لكن وبمجرد أن خرج محامو الأسرى الذين انتزعوا قرار حق اللقاء بمحاميهم تحولت قضيتهم إلى مساحات إنسانية وأكثر رحابة مما كان يُعتقد.

لقد نسي الفلسطينيون مسألة إعادة اعتقالهم ووجعها وصدمتها المؤلمة، وأخذوا يتفاعلون مع كل المعلومات التي تمكن المحامون من الحصول عليها من الأسرى. ففرقت الساحة الفلسطينية بحالة وطنية إنسانية خالصة لم تعشها الساحة النضالية الفلسطينية المرتبطة بالأسرى طوال سبعين عاما.

أربع مراحل في عشرة أيام

يمكن للمتابع أن يجد أن عشرة أيام من عمر الشعب الفلسطيني مرت فيها قضية الأسرى بمنعطفات ثلاثة:

المنعطف الأول: خلال أيام الهرب الأولى (طوال 5 أيام) حيث تم أسطرة الأسير الفلسطيني، بصفته «سوبر مان» قادر على اجتراح المعجزات وتفكيك القبضة الأمنية الإسرائيلية وتهشميها، وبهذه المرحلة عاش الفلسطيني مرحلة الانبهار الخالص بعملية الأسرى الستة.

المنعطف الثاني: وقد بدأ من لحظة اعتقال الأسرى الأربعة وحتى لقاء محاميهم بهم، وخلال هذه المرحلة التي لم تتجاوز ثلاثة أيام عاش الفلسطيني صدمة ووجعا مضاعفا وبدا وكأنه انكسرت أحلامه التي أسقطها على أحلام الأسرى الستة.

المنعطف الثالث: فتمثل من لحظة خروج أول محامي التقى بالأسرى وحتى اللحظة، وخلالها تمت أنسنة الأسرى وأعيد لهم فردانيتهم وأحلامهم الصغيرة، جرى ذلك عبر نشر المحامين أفعالهم وأحلامهم وحقيقة ما فعلوا بعد أن فروا من سجنهم على مدى خمسة أيام.

في هذه المرحلة نقل عن الأسرى مجموعة كبيرة من التفاصيل حول علاقتهم بالبلاد والمشي وتقبيل الأطفال وأكل الصبار والارتماء بالأرض وتحت أشعة الشمس، وخلال هذه المرحلة رُمم وجع إلقاء القبض عليهم، وتم تجاوزه عبر سيل جارف من التفاصيل التي أصبحت محركا لقضية الأسرى برمتها وفي وضعية لم يكن لها سابق مثيل.

حياة عارية

عن ذلك تقول الكاتبة ورسامة الأطفال الفلسطينية أناستاسيا قرواني إن «شهادات الأسرى أبطال النفق الذين عاشوا تجربة الحرية مدة خمسة أيام جعلتني أسترجع الكثير من المعاني المفقودة، الحياة اليومية البسيطة بتفاصيلها التي لم نعد نولي لها اهتماماً كانت لها قيمة مختلفة لدى الأسير الذي قضى ما يفترض أن يكون أجمل سنوات عمره داخل جدران السجان. إنهم معاناتنا المغيبة التي ننساها بحكم أننا لا نحتك كثيراً بآلامهم المحجوبة، ولربما يصدق عنا أحياناً قول (البعيد عن العين بعيد عن القلب)».

وتضيف: «يغيب كثيراً عن وعي الناس العاديين أن الأسير الذي قضى من عمره ما يزيد عن العشرين عاماً، عاش في ظروف قاسية من الحرمان التي تحول الإنسان إلى حياة عارية، بمفهوم الفيلسوف الإيطالي جورجيو أغامبين، حياة بيولوجية لا قيمة وظيفية أو معنوية لها. ما يعانيه الأسرى يفوق قدرة الناس العاديين الذي اعتادوا على الحياة الأكثر رحباً على التصور. فالأسرى محرومون من أبسط الأمور التي لا نحتاج نحن للاستغراق في التفكير فيها. كالمشي مثلاً الذي يمكن أن يتحول إلى سعادة لا وصف لها، مثلما كانت للأسير محمد العارضة الذي قال لأخيه «أنا مشيت». ربما لم يخطر بالبال من قبل أن الأسرى لا يستطيعون أن يمشوا لمسافات طويلة. بعضهم لا يستطيع حتى أن يوسع خطواته إذا كان مكبلاً بالأصفاد. لم يفقد هذا الأسير العضو البيولوجي وهما الساقان، لكنه فقد القدرة الوظيفية، فقد المعنى من وجود هاتين الساقين».

وتؤكد الكاتبة والفنانة قرواني أن الأسرى الأربعة أعادوا قضية الأسرى بقوة، كقضية إنسانية بالدرجة الأولى، تملؤها التفاصيل الصغيرة التي تجعل، عند اكتمالها، الحياة ذات معنى. والغريب والحديث لقرواني «أننا في خضم الحياة السريعة فقدنا الإحساس بهذه المعاني، فقدنا اتصالنا بالحياة».

ومن التفاصيل الصادمة التي أثرت على قرواني فرحة محمد العارضة برؤيته أطفالا في الشارع. في حين أن الأسيرات يتمكن من وقت لآخر من عيش تجربة معايشة الأطفال، في حال ولدت إحداهن في السجن وعاش هذا الطفل مع أمه في الزنزانة. إلا أن الأسرى الفلسطينيين، خاصة من يقضون أحكاماً عالية، قد فقدوا الاتصال بالنسيج الاجتماعي بألوانه، ومنهم من قضى سنوات طويلة من دون أن يرى طفلاً يلعب أو يركض أو يكبر. إنه حرمان لا حدود له للتجربة الإنسانية. هذا الحرمان، الذي لا يختلف عن القتل من حيث أنه أداة لسلب الحياة.

وجاء في رسالة الأسير محمود العارضة، الذي قضى 25 عاما متواصلة في السجن، لوالدته التي نقلت عبر محاميه رسلان محاجنة: «بعد التحية والسلام، حاولت المجيء لأعانقك يا أمي، قبل أن تغادري الدنيا، لكنّ الله قدر لنا غير ذلك.. أنت في القلب والوجدان».

وأضاف: «أبشرك أني أكلت التين من طول البلاد، والصبر والرمان، وأكلت المعروف (نبات بري) والسماق، والزعتر البري، وأكلت الجوافة بعد حرمان 25 عاما».

فتح صفحة المعتقلات

أما دكتور الإعلام في جامعة القدس نادر صالحة فأكد أنه ما زال مرتبكاً أمام تفاصيل روايات الأسرى مُحرري أنفسهم في رحلتهم خارج الأسوار، سمعتها وقرأتها كلها، يحاصرونك بتفاصيل صغيرة وخشنة، كقطع الزجاج في لحمك تارة، وكقطع السكر في فمك تارة أخرى.

وأضاف: «نحن نعجز عن الكتابة، ونغرق في تأمل السياق الكبير الذي عاشوه وصنعوه بأنفسهم».

أما الكاتبة والناشطة الاجتماعية ريما كتانة نزال فتصف العملية بـ«هروب استثنائي مدهش» ومحاولة لتقديم أفضل ما لدى الإنسان في سبيل انتزاع حريته، لقد «منح الأسرى أجمل قصيدة يمكن أن تنظم مفرداتها، أعطونا حلماً بتفاصيل مستحيلة، أهدونا مخيلة ومشهداً جميلاً نتفاخر ونعتز به، منحونا ملحمة تغني وترقص. والأهم أنهم بعثوا الروح ومهدوا لهبّة جديدة للأسرى، تأتي على خلفية تصعيد إدارة مصلحة السجون سياساتها القمعية انتقاماً من عملية الهروب الكبير».

وتضيف نزال: «بعد إعادة الاعتقال لا بد من الاستنفار لفتح صفحة المعتقلات وتجديد خطابها بأسلوب جديد، والانتشار العالمي لقصة الهروب الكبير يُساعد في استنهاض أحرار العالم والتضامن الدولي وفي فتح صفحة السجون الإسرائيلية وقوانينها العنصرية، من خلال حملة لتدويل قضية الأسرى لجعلها قضية رأي عالمي، وتنظيم محاكم دولية للدفاع عنهم على أرضية القانون الدولي واتفاقية جنيف بخصوص الأسرى.

وتسرد نزال الموضوعات التي يجب التسريع بفتحها ومنها: «فتح ملف التعذيب على مصراعيه، فتح صفحة الإهمال الطبي لصحة الأسرى بتنظيم وتركيز أكبر خدمة لحملة الدفاع القانوني عن المعتقلين». وتختم لقد أعادت عملية الأسرى الستة طرح قضية الأسرى بكل أبعادها على جدول الأعمال. ما حدث يشكل حدثاً مفصلياً من أجل إعادة الاعتبار للحركة الوطنية الأسيرة وللملة الجهد الوطني وتسخيره لأولويات، فمن العار الصمت على ما يحدث في السجون، والمسؤولية تقع على الجميع وفي المقدمة على كوادر القوى السياسية والوطنية.

من يلتقط المبادرة؟

وفي رأي الأسير المحرر والمحلل السياسي في الشأن الإسرائيلي عصمت منصور فإن الفرصة مواتية الآن، أكثر من أي وقت مضى، للعمل من أجل قضية الأسرى، وانتزاع قرارات تنصفهم.

ومن وجهة نظر منصور فإن اتفاق اوسلو الذي مرت ذكراه قبل أيام كان أكبر كارثة على الأسرى حيث مزق نسيجهم وحولهم لقضية حسن نوايا، وقسمهم إلى فئات مقسمة سياسيًا (بين مؤيد ومعارض للاتفاق) وجغرافيًا (قدس وداخل 48 مقابل ضفة وغزة) وعنصريًا وفق التهمة (أيدي ملطخة بالدماء مقابل من تهم بقضايا أخرى) هذا فضلا عن الضرر المعنوي الذي نتج بفعل ترك الأسرى في السجون رغم عودة قيادتهم ومصافحتهم لأعدائهم وإقامة سلطة تحت الاحتلال.

وتابع: «عملية النفق جعلت قضية الأسرى قضية عالمية فلم تعد فلسطينية عربية فقط».

ويؤكد منصور أن هذا الزخم والهاب خيال الملايين من خلال هذه الأسطورة، وتسجيل تفوق على أعقد منظومة أمنية في المنطقة، هو أمر يجب استثماره والبناء عليه، فبين يدينا قصة يمكن من خلالها إحداث اختراق مهم في قضية الأسرى وهذه مسؤوليتنا، وهذا يتطلب ان نكون غير تقليديين وبمستوى الحدث، فأسرى نفق الحرية رفعوا أسهم الحركة الأسيرة، وعلينا ان نلتقط المبادرة.

وتابع منصور: «المغامرة ألهبت المخيلة فلسطينيا وعالميا، لما فيها من أعجاز، هذا تحديدا ما سوقته دولة الاحتلال عن ذاتها مثل الحديث أن لا مهمة مستحيلة أمامها، أو أنها الأقدر على تنفيذ ما يعتقده الآخرون مستحيلا. هنا نرى أن العملية كسرت أسطورة الأمن الإسرائيلي ومنظومته وادعاءات هذه المنظومة من حيث القدرة على الوصول لمن تريد وأنها تعرف كل شيء حتى أنفاس المواطنين».

وأضاف منصور أن ما سرده الأسرى من قصص وأحاديث عن الصبر والبرتقال والتين وهي فواكه مرج بن عامر عززت رمزية وحدة فلسطين، فثمن الحرية هو تجسيد هذه الوحدة التي عاشها الأسرى في مناطق حرموا منها من بلادهم المحتلة.

ويختم منصور أن الحادثة بتفاصيلها تحفل بالأمور المعنوية المرتبطة بوحدة الشعب، معنويا، وتمنح قيما تعزز خيالا وإرادة وتكتم ومقارعة للاحتلال، أما الشيء المادي في كل ذلك فهو الأسير الذي سخر أدواته البسيطة لنيل حريته وعاش تفاصيل الحياة التي يريدها ولو كانت خمسة أيام.

عملية تخدم قضية الأسرى

الأكاديمي والباحث في قضايا التنمية السياسية إبراهيم ربايعة يرى أن عملية «نفق الحرية» جاءت في سياق استمرار هبة الكرامة كحالة مقاومة مستمرة تتراوح بين مد وجزر، أحيت هذه العملية قضية الأسرى وأعادتها إلى الواجهة كحالة اشتباك ومقاومة وقضية اجماع وطني بعد أن اقتصرت على النضال الفردي وحالة الأسير المنفرد خلال الأعوام السابق.

وتابع ربايعة قائلا: «قدمت العملية زكريا الزبيدي كرمز وأيقونة ملأت فراغا في الفعل الوطني الجامع، وذلك في امتداد لحالة للزبيدي التي بناها خارج معتقله، كما قدمت محمود العارضة كمقاوم مشتبك من أجل حريته ومناضل قيمي، أعادت العملية تعريف الأسر عبر شكل السماء وطعم التين ولذة البرتقال.

إن ما قدمته العملية بحسب ربايعة مهم لاستعادة أنسنة قضية الأسرى خاصة في مواجهة الحملة الإسرائيلية الأميركية وما تلاها من «تجريم» تحويل الأموال للأسرى وعوائلهم، وتراجع حضور قضيتهم على أية مستويات تقضي لتحريرهم.

حالة عاطفية

وكان رئيس الوزراء الفلسطيني محمد اشتية في حديث صحافي قد وصف قضية الأسرى الستة وعموم الأسرى الفلسطينيين بـ«الحالة العاطفية» التي تمس كل عائلة فلسطينية حيث أسرت دولة الاحتلال من عام 1967 حتى اليوم أكثر من مليون فلسطيني.

واعتبر اشتية الأسرى «ضميرا للحركة الوطنية الفلسطينية» وأكد في حديثه أن السلطة التي كانت تشترط توقف الاستيطان من أجل البدء بمفاوضات سلام بين الفلسطينيين والإسرائيليين أضافت عليها شرطا ثانيا يتمثل بموضوع الأسرى، «هذا ملف سيكون على الطاولة».

يذكر أن عدد الأسرى في السجون الإسرائيلية اليوم يفوق الـ 6000 أسير.

وأكد أن السلطة ضمنت في الملف الذي رفعته لمحكمة الجنايات الدولية قبل أكثر من أربع سنوات قضية الأسرى في السجون الإسرائيلية إلى جانب ملفات العدوان على غزة والاستيطان قضية الأسرى.

وبحسب الاتفاقيات الموقعة بين إسرائيل والسلطة الفلسطينية فإنه كان يجب إطلاق سراح الأسرى على أربع دفعات تم الإيفاء بالدفعات الثلاث الأولى، في حين لم تلتزم إسرائيل بالدفعة الرابعة التي كانت تتعلق بالأسرى من ذوي الأحكام العالية والمؤبدات حيث بقي مصير هؤلاء عالقا رغم مرور 27 سنة على اتفاق أوسلو.

وبحسب ما نقله المحامي رسلان محاجنة عن محمود العارضة فإنه قرر الفرار من المعتقل بطريقته الخاصة لعدم وجود أفق للإفراج عنه، خاصة أن حكم المؤبد غير محدد، والتعامل مع المعتقلين الفلسطينيين لا يتم حسب القانون الدولي أو السجناء الجنائيين الإسرائيليين.

وتبلغ مدة الحكم المؤبد بحق الأسرى الفلسطينيين، 99 عاما، بحسب قدري أبو بكر، رئيس هيئة الأسرى والمحررين الفلسطينية، أما الحكم المؤبد بحق السجناء اليهود، فيبلغ 25 عاما، قابلة للتخفيض إلى 16 عاما.

مرت قضية أسرى سجن جلبوع بمراحل ثلاث، فيما المرحلة الرابعة فهي ماثلة للعيان وترتبط بما يفعله من هم خارج السجن من أجل من هم في داخله، وهي مرحلة يفترض أن تتفجر فيها كل القدرات الإبداعية من أجل نقل قضية الأسرى وإعلاء صوتهم لأوسع مدى في مقابل عملية البحث الأوسع عنهم في تاريخ دولة الاحتلال. وفي مقابل قصص الأسرى الأربعة وآلاف قصص الأسرى في السجون الإسرائيلية تستمر دولة الاحتلال في عملية بحث طويلة ومعقدة عن أسيرين آخرين هما: مناضل انفيعات وأيهم كممجي، ولهؤلاء قصة أخرى تستحق أن تروى أيضا.

كتب

«ضريح أنّا أخماتوفا» مجموعة الشاعر المغربي حسن نجمي: قسوة وعذوبة نشيد الموت بكامل ثياب الليل

المثنى الشيخ عطية

في مجموعات الشعر المتألّقة كباقات يجفّفها، لعجزه عن رميها، بعد عذوبة مرور يوم ميلادها داخل روحه؛ يعيش القارئُ الذوّاق إلى جانب ما يمسّ روحه من موجات فنّ تركيب القصيدة، وتداخل معانيها مع حياته وتجاربه، متعة البحث عن الخيط الذي يوحّد التنوّعَ في ألوان وأشكال قصائد باقته. وربّما يعيش التفكيرَ كذلك بصانع الباقة ومعاناته رمي أزهارٍ لا تجد مكاناً في هارمونيّة التناغم أو في تنافر التضادّ الذي يثير الدهشة بوحدة ما يخلق، على الخيط الذي يعلّق ذاكرةَ القارئ في عجزها عن رمي ما استقرّ عميقاً فيها.

مجموعة الشاعر المغربي حسن نجمي، المثيرة بـدءاً من عنوانها: «ضريـح أنّـا أخماتوفا»، تنضمّ للمجموعات المتألّقة كباقات يوحّدها الخيط الذي طالما أثار بأسـراره الإنسـان مذ خطتْ قدمه على الأرض وتنزل لتكون جزءاً من الأرض: «المـوت» الـذي يصارعه، ويخسرُ أمامه في كل مَـرة، ويبتكر الأداة التي يعتقد، وربّما كان محقاً في أنها التي تهزمه، وفق محمود درويش المميّز في صراعه مع الموت على ساحة «أبديته البيضاء»، بسخرية الاحترام: «هزَمْتُكَ يا موت الفنونُ جميعها»، في ساحة الخسارة التي لابدّ من الإقرار بها أمام هذا المهيب الساحر الذي يرفع له نجمي باحترام قبّعة التهيّب من بداية تقديمه الأنيق المتناغم بقوة مع باقته: «إلى فارس بواكيم، صديقي – تلك الجراة الأنيقة في التهيّب»، من تابوت الموت.

على الخيط الرابط لعقد مجموعته، كبنية ظـاهـرة، يـلـظم نجـمي خمسة فصول بعناوين: «كجثة طفل ألقى بها البحر، بالقرب من الخطوة، مرآيا، قصائد المستشفى العسكري، وقصائد الكاريبي». تضم أربعاً وثمانين قصيدةً كمجموع، وتبدأ بمحور الراهن الذي يذهل العالم لدرجة الهرب من رؤيته: موت الأطفال السوريين، في صورة الطفل: «آلان/ حين ألقى به البحر، تلك الليلة صغيراً بريئاً فارغاً من العالم، بقي هناك، على الرمل، وحيداً في الليل كما لو كان يتذرع بالصمت ليواسي جثته الصغيرة./ الطفل السوريّ الكرديّ الذي رحّبت به الطحالب وأعشاب البحر، ونسيت النجوم أن تضيء وجهه فغطّاه الغيم والرعب والليل./ لم يكن يعرف – هل نسيه الله أم أراده؟».

ويربط نجمي أحجار فصوله الكريمة الخمس بخيط الموت، مع تظليلها بلون «الليل» الذي لا تكاد تهرب من لطخاته المتنوعة بمآسيها وعذابات فقدها وعذوبة صياغتها قصيدةً في المجموعة، مع مداخلة القصائد، بما كوّن الإنسان من مفاهيم، حول الموت، وما شهرَ من أسلحة لمواجهته:

«تعال، لا تخف الموتَ.

سيأتي الموت حين سيكون عليه أن يأتي.

ليس صحيحاً ما يقولون –

ستعرف العمر الذي ينبغي أن تموت فيه.

تعال. أقل لك، خفِ الحياةَ.

الحياة هي التي لن تعرف إلى أين ستأخذك.

ستغدر بك وستعدّ لون جنازتك.

الموت، هذا العاطل عن الحياة –

سيأتي ليتسلّمك حسبُ.

فتهيّأ – تهيّأ للحياة.

لكم هي جميلةٌ ناعمةٌ خفيفةٌ، هذي الحياة.

لولا أنّ عليّ أن أعبرها كالومض –

ثم أنطفئ».

كجثة طفل ألقى بها البحر، يلقي نجمي 37 قصيدة نثر قصيرة يغلب عليها طول الصفحة كمتوسط، ويميزها أسلوب نجمي الخاص في تركيب الجملة الشعرية القصيرة، بإدهاش التراكب وفق طلاقة الكتابة الآلية، وأساليب ما بعد الحداثة التي زوّد بها العلمُ الشعرَ في فتح الآفاق على تداخل الأكـوان، وبلغته الخاصة الأنيقة التي تحرص على أن لا تخدش الهواء بمرورها، رغم جرأة اقتحامها داخل القارئ. مع قوة ترابط مفرداتها ومعانيها بموضوعاتها، ليس على صعيد القصيدة الواحدة فحسب، بل تخطياً كذلك لمسح بقية القصائد بالترابط في باقة. ويثير قوة هذا الارتباط مَحْوَرة القصائد حول موضوعي الأم والطفل في هاوية الموت، وتعميق هذين الموضوعين بامتداد الواقع الذي تمرّ به مآسي الغرقى في المتوسط، إلى التاريخ والأسطورة وما ابتكر الإنسان من فنون لمواجهة خسارته الحتمية أمام الموت، كما نرى مع إله الحب كيوبيد، وأمه آلهة الجمال فينوس، في قصيدة كُيوبيدو المصابة بأسلوب القطعة في قصيدة النثر: «طفلُها نائم على ذراعيها الآن – وهي تحدّق في تمثاله الصغير، وفي جراب سهامه التي لا تُنْفَدُ. والنجوم تطلّ على رخام النحيب. وتهتزّ الأسـاور والأقراط والفتنة. والبـنـات الأمـيـريات أفـرغْـنَ سِلال ثمارهنّ. تكلّلْنَ وجلسْنَ يتبادلنَ الشفاه والتغريد. والبيت مضَوَّعٌ بالعطور والأبخرة مُرْتَشٌ بماء الورد. ولقد أوقدوا الشموع قبل قليل. وهي لا تعرف من أين أقبلت الملائكة المجَنّحة إلى عنايته./ طفلُها الآن نائمٌ – وهي ما تزال تشم الأريج الذي تَحَمّض في عنقه».

بالقرب من الحياة، يقف نجمي بتسع عشرة قصيدة على حافة الموت، ليلقي مع برتولد بريخت حفنتي ترابٍ تقرعان توابيت الأسى، ويفتحَ آفاق التفاعل مع الشعراء والفنانين الذين عاصرهم أو الذين عاش من خلال أعمالهم مسؤولية إكمال مسيرة الإنسانية في صراعها مع الرابح أبداً والمهزوم بفعل ربحه، حين يتم الاعتراف له بتفوق قدرته على الأجساد، وانـفـلات الأرواح بأعمالها المبدعة عن يده. ويعيش القارئ في هذا التفاعل غنى التدفق الذي يصيبه بعدواه، في أمثلة مدهشة: مع الأعمال البوليسية التي تضع بيد الشاعر أساليب التحقيق داخل رأس قاتل متسلسل يتبلور فيلسوفاً لحماية الأرض من شركات التعدين القاتلة للبيئة. مع مواء قطّ الجارة، عجوز الشرفة التي لم تخرج هذا الصباح. مع نفس الشاعر ذاته في تفاعلها مع فولفغانغ بورشرت، سمير جريس، وملك الإغريق في وحدته القاتلة، حيث لا أصـدقـاء، بـإدخـال هـيـرودوت، الإليـاذة، الأوديـسـيـا، وأوليـس المتأمّل صحن سيزان في طبيعته الصامتة. مع الشاعر محمد أهروبا في مقاربة انتحار فالتر بنيامين وتداخلات الموت والخلود. ومع مغنية البلوز المدهشة سيزاريا إيفورا التي تغني حافية القدمين، من غير أن

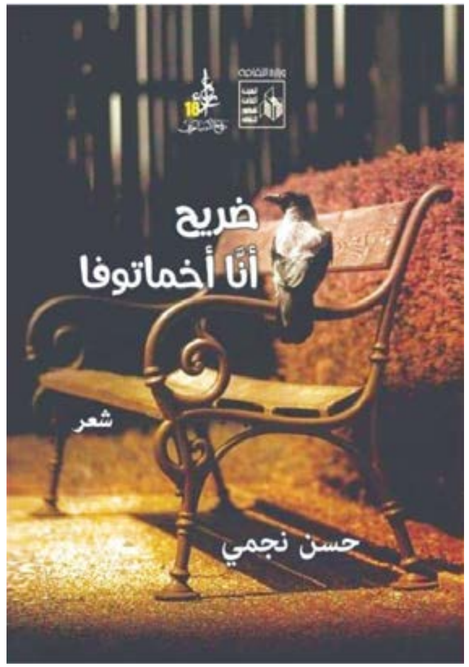

يعرف الشاعر وفق أغنيتها: «هل كانت الريح تريد أن تضحك أم تبكي». ومع شاعرة الإغريق سافو التي توصي أن «اكتب أشعاراً من هواء»، بتفاعل أخاذ مع مغنية يونانية راهنة، ومع شعراء اليونان العظام: ريتسوس، كافافيس، «ولابد من ثيودوراكيس كآخر أسلاف الجمر». وإضافة قصائد الآلات الموسيقية مثل الكونترباس الذي يجري كما نهر حزين «في مأتم، والأوتـار مرتبكةٌ، والكَمنجات مجروحةٌ. والحجر الأسـود ينزلق على حرير النبرات». ومع الساعات في معانيها العميقة بقصيدة نثر تتدفق بأسلوب القطعة حـول الأم والطفولة، وامتلاك النفس. من دون نسيان لوم يوسف بن شاشفين، على سجنه الشاعر المعتمد بن عباد أمير إشبيليا بعد سيطرته عليها، حتى الموت المخزي. ومع شارلي شابلن كذلك، البهلوان في رقصته مع الشاعر على صراط الموت.

في مراياه التي تتجلّى في وجوهها خمس عشرة قصيدة، يجسّد نجمي رؤاه: في «تسبيح» انزياحي نحو حافة الكون، للمقامر بحياته كـ«غريب» على الأرض، وهو يعرف أنه خاسر في النهاية. بخطاه على طريق «المقبرة القديمة»، بمرافقة «أحدهم في ظله». من غير أن «يكلّم أحداً» بذاته التي لا يراها، مواجهاً «أعراضاً جانبية»، حيث «يكون هكذا دائماً قرب جحيم الكلمات». متفاعلاً مع صديقه الشاعر الفلسطيني زهير أبو شايب، في معاناة الرحيل عن الأرض والموت فيها وبعيداً عنها، ندماً على التخلّي عن بندقية صيد الأب. وعائداً إلى خطاه كآدم الذي يستغلّ الليل للطيران بأجنحة الشمع. مع رهبته كأعمى من الكلمات، لا يملك مثل أوجينيو مونتالي، عبر «النافذة» سوى «الإنصات، طريقة وحيدة ليرى». مدركاً أن وجه آدم الطيني في وجهه «لم ينشف بعد من الشمس». ومعلناً لصديقه الشاعر المنشقّ رشيد خالص نصيحته بـ:

«أشهر وردتك

لكي يخرجوا إلى لقائك عند المدخل

لا بدّ أن يعرفوا أنك لا تزال تحمل اسمك

وأنك أول من وصل متخلياً عن حشود الانتظار

ليس صحيحاً أن القطعان على حق

تأكدْ – لا أثر للبرابرة خلف الحدود.

النوايا كلها هنا».

في قصائد المستشفى العسكري يتداخل نجمي كأمثلة تعكس دهشة التداخل، مع ريلكه الذي «ليس بيده ما يفعل أمام نظرة عين الزمن الماكرة إليه»، ومع قاسم حداد الذي يعرف أنها «حكمةٌ أن يكون للطير أخطـاءه»، ومـع نفسه وحبيبته، في مصارعة الجراحة على حافة المصير.

وفي قصائد الكاريبي، ينقل نجمي قارئه لعيش سحر تورطوغيرو على الساحل، في «عيون الكاريبيات التي تلمع في الظل، ولا من تقترب من سرير الغريب»، وفي عيون حبيبته التي يعيش ظلها في خطوته، وفي عيش جمال الأرض مع طفل الأرض أرتور رامبو، حيث تنهض الحياة كما راقصةٍ تعيش بفتنتها داخل الشاعر، وقد ماتتْ بذهابها، تاركةً إياه، يمضي «عندئذ مثل نيرودا – فاتحاً كتاب الأسئلة ليعرفَ من يسأله عن الوقت».

وفي ظلّ ضريح الشاعرة الروسية الهائلة، شهيدةُ جرائم الستالينية أنّا أخماتوفا فقد: «قـالـت كتب ستنهض التترية من أبد نومها –/ وستمضين معنا، بقلب أخضر، عائدة إلى بلاط الحياة./ لهذا نحن هنا – نُصلّي قصيدتُنا من أجلك».

حسن نجمي:
«ضريح أنا أخماتوفا»
الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة 2021
112 صفحة.

«أزهار الموت» رواية اللبناني فايز غازي: المكان عربستان والزنزانة متناثرة في الزمان

عبد الغني صدوق

نتّفق جميعاً على أنّ الأزهار نباتات تُزيّن حدائقنا، مثلاً، عَبير فوّاح يشرحُ النُفوس، يُلطّف الأجواء، رحيقٌ عسل، نظرةٌ بلسم.. لكن ذبولها امتعاض، وموتها ألم!

«أزهارُ الموت» عُنوان مُركّب لنصٍّ عربيٍّ للروائي اللبناني فايز غازي. رواية قصيرة، ذات إيقاع خفيف ولُغة فصيحة من البداية حتّى النهاية، بما في ذلك حوارات الشُخوص.

إنّ لُغة الحوار الرّوائي بالعربية الفُصحى ضرورة قوميّة وحضاريّة، وثمّة روايات عربيّة سامقة تشهد بذلك. والإبداع نتاج تُراث شعبي مرهون بينابيعه وليس هناك إحياء للتراث دون جمع ودرسٍ وتمحيصٍ للحفاظ عليه في نهضتنا القومية المعاصرة.

فأنت – كعربي– عندما تُحاورني بلهجتك المحلّية، ستلاحظ أنّ ضباباً حلّ بالرسالة المُراد إيصالها، بإمكاننا أن نزيحه إذا وضعنا الحوار في قالبٍ فصيح، لا يتطلّب منّا سوى استعمال المُصطلح الأكثر شيوعاً. فلكلّ كلمة عاميّة جذر في العربية والعجز في الروائي وليس في اللّغة.

فإذا ما اجتهد الرّوائي في تهذيب حوارات نصّه وحذَفَ الأحرف التّي أدخلتْها اللّهجات، ثمّ قراءةُ العامل والفلاح والمُثقّف، لم يروا فيه شيئاً غريباً، وبذلك نرفعُ كلّ هؤلاء إلى مستوى النّص من غير تقعّر، فتُصان بذلك اللغة، لأن العربية لُغة أنظمة عربية، وهي في حدّ ذاتها نظامٌ لا يُمكن الإخلال بقواعده.

«أزهـار المـوت» تُشبه المكان في مَحنه المتوالية، مجازره المشهودة، بشاعة القتل، الديكتاتورية القَاهرة، الطائفية المَقيتة! يقول المؤلف عند العَتبة «جرّتْ أحداث هذه الرواية في إحدى مُقاطعات عربستان المتناثرة في زمان لا يعرفه عالمنا».

إنّ الفُرس والعثمانيين يطلقون كلمة عربستان على أيّ أرض عربية أو قُطر عربي تَعني بلُغتهم أرض العرب. لقد تعدّت الأزهار الحدود الجغرافية لنشأتها، ويُمكن إسقاطها على رُمّة البلاد العربية؛ لأن الكاتب تخلّص من البيئة وعظّم فكرته، فصارت كسهم متوهّج يكوي به أوارم العرب، إنّه يحمل همّ الأمّة، يتطلّع إلى ازدهارها وأزهارها، فهل الموتُ يُخلّفُ أزهاراً؟

مِن قديم الزّمان تحترفُ الأنظمة العربية صناعة الموت وأشكال التعذيب، مُتّخذةً منهما صمّامات لديمومة سيطرتها على شعوبها، فما فكّر متمردٌ يوماً في التغيير إلّا ونال جزاءه في الحين، التصفية المُحكمة، أو النسيان في غياهب السُجون بأسم القانون مِن جهة والحفاظ على أمن النظام من جهة أخرى. ماتت زهرةَ الحريّة!

تولدُ أفكارنا كبيرة، إلّا أننا متفاوتون في درجة المُغامرة لأجل إنجاحها، فينا المُكبّل وفينا الحُر، كلّ الحقائق كانت أفكاراً قبل حين في أذهان أصحابها، فهذه الأزهار كانت فكرةً في جعبة كاتبها، هدفه إيصالها للعالم أملاً في التغيير، حتّى أنت وأنا كنّا فكرة في أذهان والدينا قبل مجيئنا إلى الدنيا، لا تتعجّب!

إنّ الخروج عن دائرة العُرف والعادة صراع مع المُجتمع المُتعلم فما بالك بالجاهل الّذي لا يعترف إلّا بوَجدّنا آباءنا، وهو في نظر الأخير مُخاطرة ستُخلّفُ أثناء الخوض فيها كثرة الضحايا؛ لأن النتيجة محسومة منذ بزوغ الفكرة الجديدة، ومن المُستحيل أن يُناقشَ المجتمع فكرة فردٍ واحد ويصدّ عن الأكثرية الرافضة لها، ولنا في التاريخ العربي خير العبر.

فالذي أخرج الأزهار هو عينة من القلّة التّي تقول الحقيقة بدون مواربة، عندما شعَرَ أنّه قادرٌ على فعل ذلك. «ما أصعب أن يُبرمج المرء ليرى ويُفكّر في إطار ضيّق أراده له حُكّامه، بينما الحقيقة تحتاج إلى توسيع زاوية الرؤية لتتضح الصورة».

نسجَ الروائي قصّته على منوال قصّة سيدنا موسى مع الخضر عليهما السلام في مُقدّمتها لمّا التقيا في مجمع البحرين. إذ يلتقي أيّاد بفارس في السجن، ومن هنا تبدأ قصص القتل بحثاً عن الحقيقة التّي لم يصبر عليها أيّاد.

والحقيقةُ لها وجوه عديدة، تختلفُ حسب كيفية النّظر إليها، لكنّنا لا نُجدّ في البحث ولا نُغيّر مِن موقعنا بل نختار ما يُلائم طمأنينة عقلنا وقلبنا! الحقيقة صعبة وموحشة، لذلك يُفضّل النّاس ألّا يعرفوها ويكتفون بما يفترضونه عنها مكتفين بالصورة أو الظاهر منها!

تُرتسم الشخوص خلال المسار القرائي بتؤدة، نعرفها من عواطفها لا ملامحها، وأرى، كما سترى صديقي القارئ، أنّ الكاتبَ قد وُفّق إلى حدّ ما في تصويرهم لنا، فالقتل يحتاج إلى نفس حاقدة وإن اتسَم الوجه بالقبح أو الحسن.

ولأنّنا– معظم العرب – ندين بالإسلام ولهُ خانّة خاصّة في دساتيرنا، لا تفتأ السُلطة أنْ تتحبّبَ إلى أعلامه وعُلمائه في الظاهر والخفاء، حتّى تتجنّبَ السقوط في مطبّات سيّاسية لا تفقه فيها، ويكون الدّين مادّة نُطوّعُ أفكار المُجتمع التّي تكره السُلطة انتشارها. ألا ترى أنّ الشعوب العربية تُعاني من فقهاء سلاطينها؟ ضاعت الأمّة بانبطاحهم، واستُبيحت الدماء بفتاويهم!

تصل أحداثُ الرّواية إلى شخص السيّد عابد رجُل الدّين ذي السلطة والجبروت والنُفوذ. ورث السُلطة عن أبيه الّذي اختفى بصورة غامضة، امتلك الأراضي والأموال الموقوفة، عَقد زواج ابن أخيه زيّاد على ابنة فؤاد الباشا. وهنا حبكة مُقنعة لن تشعر بآليتها.

«إنّ مزج الدّين بالسياسة عادةٌ ما يكون له فوائد جمّة، بحيث يستفيد هؤلاء بنوع من المُباركة السماوية على عباءاتهم الإقطاعية!». ومَن منّا ينكر مثل هذا الفخّ في زمنٍ أصبحتِ الشعوب على دراية بحيَل السياسة وخُبث السّاسة؟

يلجأ أزلام الأنظمة المُستبدّة الفاسدة إلى جمع المعلومات والوثائق والصُور لكلّ شخصيّة نافذة مِن أجل تكوين ملف يُترك لوقت الحاجة إليه ويُستعمل حسب الضرورة لابتزاز الشخصية أو التشهير حسبما تقتضي المصلحة. لقد وُجد مفهوم العدالة في أنظمة العُصب لتُطبّق على الفقراء والمساكين المُعدمين، أمّا الأقوياء الأثرياء وأصحاب النُفوذ فلا يُمكن المس بهم أو الاقتراب منهم.

هند، سلوى، مروة، شُروق، فتيات قضين بظروف غامضة، هنّ ضحايا شهوات سميح آغا، يحسبهن النّاس منتحرات.

عند الخامسة فجرًا في جلسة شراب ثمل شوقي آغا وفقد الإدراك فحانتْ لحظة تصفيته بشكل نهائيٍّ وهذا جزاء قتله لهمسة إرضاء لنزوة أخته ليلى. هكذا القتل هيّن في دواليب حكّام عربستان. وبالرّغم مِن أنّ شوقي آغا مات مقتولاً إلّا أنّ الصُحف عنونتْ «استُشهد بالأمس المُقدّم شوقي آغا وذلك أثناء تأديته لواجبه في مكافحة المُخدّرات والإرهاب وستُقام الصلاة على.. إلخ». كان المأتم رسميًا وشعبيًا مهيباً يليق بأبطال هذا العصر. انتُشحت النساء بالسواد وسالت الدموع بغزارة.. الأكاليل والأوسمة تزاحمت على النعش حتّى لتظلّنّ أنّك أمام حديقة صغيرة مِن الأزهار!

يكبّلُ فارس سميح وعشيقته، يستجوبه عن موت همسة، يغرز الحربة في رُكبته فيُذيقه الألم، يعترف أنّ ليلى أخته كانت تكرهها وأرادت تحطيم كبريائها بواسطة الصُور العارية التّي أرسلها لها سميح الذي لا يتسامح مع أحد.

تعترف ليلى لحظات وصولها إلى شقّة الموت بكُرهها لهمسة والغيرة منها؛ لأنّها جميلة ومتعلّمة ومحامية ناجحة، بالإضافة إلى أنّ أخاها جواد كان كثير الحديث عنها ويُردّد على الدوام همسة تقاس الناس بها.. فالأنوثة بقدّها والرزانة بشخصيتها والفهم بعقلها. كيف تصبح الخادمة سيّدة إذا ما حازت إجازة علمية؟

يزرع فارس في أنف ليلى رصاصةً أطاحتْ جسدَها على الأرض وهشمتْ وجهها. الإنسان هو القُنبلة الأشد خطراً إذا ما لاءمتْ بين مكوّناته النفسيّة الدقيقة والصاعق الّذي يُفجّر!

يعود فايز إلى الزنزانة منطلق الرواية أين يقبع إيّاد وفارس، حيث يتكلّف المُقدّم إبراهيم بإعدام فارس، يُرمى بالرّصاص فتموت زهرة النّص وتنتهي القضيّة.

أؤمن– كما تؤمنون– أنّ هناك أدبًا عربيًا جيدًا بدأ يتشكل حديثًا، يقتضي قراءً أفذاذاً ونقداً بناءً.

«أزهار الموت» روايةٌ ماتعة، لا أستطيع أن أُصنّفها سياسيّة ولا غير ذلك، كأنّما كُتبتْ بأفكار شخوصها المُجتمعة في فكرٍ واحد، لتؤدي غايتها العظيمة التّي طال انتظارها، وحدة الأمّة.

فايز غازي: «أزهار الموت»
دار الفارابي، بيروت 2020
136 صفحة.

المقال

زياد ماجد

عن انتصار الثورة المضادة في لبنان

حزب الله: إعلان رسمي ومشهدي عن انتصار الثورة المضادة في لبنان

مثّل تشكيل الحكومة اللبنانية الجديدة، بالترافق مع وصول صهاريج نفط إيراني عبر الأراضي السورية ومؤتمرات صحافية متتالية لأمين عام حزب الله حسن نصر الله، إعلاناً رسمياً ومشهدياً عن انتصار الثورة المضادة في لبنان.

وزاد من حجم هذا الانتصار انعدام التحرّكات الشعبية والمظاهرات والاعتصامات الحاشدة الرافضة له أو حتى المندّدة به وبما عبّر عنه.

فما الذي أوصل الأحوال اللبنانية إلى هذا الحد من السقوط، وكيف تحوّل وضعٌ كان يبشّر بالتغيير ويفيض بالمبادرات والديناميات السياسية والاجتماعية والثقافية قبل عامين إلى كابوس وخراب شامل أصاب أكثرية اللبنانيين؟ وهل ما زال ممكناً تعديل الأمور واستنهاض الطاقات والانتقال إلى طور جديد؟

يُحيل السؤال الأول إلى ستّة عوامل توالت وأفضت إلى الأوضاع الراهنة.

العامل الأول يرتبط بالهجوم الشامل الذي شنّه حزب الله، حامي النظام اللبناني وسلطته ومُملي سياسته الخارجية بالسلاح دفاعاً عن المحور الإيراني في سوريا. فالهجوم هذا أربك أغلب القوى السياسية الممالئة للحزب أو المخاصمة له، وأحدث انقساماً في أوساط المجموعات المشارِكة في الانتفاضة الشعبية، وأعاد بعض خصائص القسمة الـ8 والـ14 آذارية إلى الواجهة بعد أن كانت الأحداث والانتفاضة قد تجاوزتها. وليس أكثر تعبيراً عن الأمر، عزوف أطراف عن التذكير بدور الحزب وسلاحه في إيصال لبنان إلى حالة الانهيار التي وصل إليها من جهة، وعزوف أطراف أخرى عن انتقاد السياسات المالية والهندسات المصرفية التي أفضت إلى الإفلاس من جهة ثانية.

العامل الثاني يكمن في تدهور الأحوال المعيشية على نحو غير مسبوق في التاريخ اللبناني الحديث، «تبخّر» أموال المودعين وإذلالهم على أبواب المصارف، ثم تعميم العتمة والشلل في أنحاء البلد، وتحويل أكثرية المواطنين، ومظلهم اللاجئين، إلى باحثين عن سبل نجاة من وضع يزداد صعوبة أسبوعاً بعد آخر. وأدّى الأمر إلى إنهاك وتبديد جهود وهجرة، جاء انفجار المرفأ ليجعلها طوق نجاة لعشرات الآلاف من القادرين على المغادرة.

وهنا يأتي العامل الثالث. ذلك أن الانفجار الذي دمّر أحياء في بيروت، أظهر مقدار الأذية المباشرة التي يمكن أن تصيب الناس نتيجة الإهمال والفساد المحميّين سياسياً، ونتيجة التعمية على تواطؤ المسؤولين عن استيراد وتخزين نيترات الأمونيوم اللبنانيّين والسوريّين، ونتيجة الحصانة التي حمت تاريخياً القتَلة والمرتكبين، والتي بدت مستمرّة في حمايتهم وتسهيل إفلاتهم من العقاب. وفي كل هذا ما حفر في النفوس شعوراً مريراً بالعجز أمام خصوم لا حدود لتوحّشهم.

العامل الرابع هو ذلك الذي فرض نفسه من خارج الحلبة السياسية، أي جائحة كورونا التي بدّلت منذ ما قبل تفجير المرفأ بأشهر عديدة المشهد الوطني العام وأمّلت انصياعاً لقرارات صحية (ضرورية) صادرة عن سلطة فاقدة المشروعية والمصداقية. النتيجة: انكفاءٌ عن الشارع وعن التحرّكات فيه، بما مكّن القوى الأمنية من احتلاله وحيدة، بوصفها أداة تنفيذ قرارات السلطة السياسية.

العامل الخامس يتعلّق بتعثّر القوى والمجموعات الصغيرة والكبيرة التي شاركت في الانتفاضة في مهمة تشكيل قيادة، أو إطار تنسيقي واسع، أو حتى جبهة عريضة ذات صدقية وفاعلية. ولذلك أسباب عديدة مرتبطة بتباينات في الأولويات وبخلافات جدية حول حزب الله والموقف منه، وبطموحات تفرّدُ بالقرارات والمفاوضات وغير ذلك مما يعطّل عملاً تحالفياً واسعاً. ولا شكّ أن الوقت والظرف وحجم الانهيار المالي والاقتصادي لم تسهّل المهمّة. على أن التعثّر المذكور ظلّ نقطة ضعف رئيسية، رغم الإنجازات المهمّة في انتخابات نقابات المهن الحرّة، المهندسين والمحامين بخاصة، ورغم الانتصارات الطلابية الكبيرة التي حقّقتها النوادي العلمانية في الجامعات الخاصة في مختلف المناطق.

أما العامل السادس، فمفاده أن الظروف الإقليمية والدولية عاكست إرادات المنتفضين في لبنان، تماماً كما سبق وعاكست إرادات شعوب الموجتين الأولى والثانية من الانتفاضات والثورات العربية (من البحرين إلى اليمن، ومن سوريا إلى ليبيا مروراً بمصر، ثم من العراق إلى الجزائر وبينهما السودان). بمعنى أن موازين القوى في المنطقة مالت تدريجياً منذ سنوات لصالح المحور الإيراني، المستفيد مؤقتاً من الاندفاعة الروسية في سوريا، ومن الانكفاء الأميركي في العراق، ومن ضحالة خصومه الخليجيّين، المعادي معظمهم في أي حال للتغيير الديمقراطي والمشارك في دعم وتمويل انقلابات وأمراء حروب.

هذه العوامل جميعها أعادت موازين القوى التي اختلّت بعض الشيء بين تشرين الأول (أكتوبر) 2019 وآذار (مارس) 2020 إلى سابق عهدها، وطمأنت حزب الله وباقي القوى المشاركة في السلطات المتعاقبة منذ ثلاثة عقود إلى أن النكبات التي تسبّبت بها والمماطلة في تشكيل حكومة لمدة 13 عشر شهراً نتيجة حسابات طائفية وزبائنية وأوامر إقليمية، لن تفجّر غضباً ولن تعيد مئات الألوف إلى الشوارع. بل إن الرهان اليوم هو على تحسين الحكومة الجديدة لبعض الخدمات، وتوفير كمّيات إضافية من النفط الإيراني عبر سوريا لإظهار طهران ودمشق بموقع المنقذ والحليف، والسيد حسن نصر الله بموقع عرّاب الإنقاذ من خارج الحكومة ومن داخلها، إذ يُتوقّع أن يتبع منحها الثقة في المجلس النيابي وصول بعض المساعدات الدولية وبدء التفاوض على القروض مع الجهات المانحة.

هل يمكن إذاً، استناداً إلى كلّ ما ذُكر، التعويل على استنهاض جديد؟

يصعب الجزم بالأمر، ولو أن الجواب الأقرب إلى منطق الأمور يشي مرحلياً بإجابة سلبية.

فلا المناخات الإقليمية والدولية مُقبلة على تبدّلات قد تعدّل من القائم اللبناني. ولا الظروف الداخلية اللبنانية التي تدفع أكثر الناس إلى البحث عن سبل النجاة اليومية ذاهبة إلى تغيير جوهري. ويُخشى أن تتحوّل الانتخابات النيابية إن جرت في الربيع المقبل وفق القانون الحالي وشروطه وملابساته، إلى تكريس إضافي لمشهد السلطة كما رسا سياسياً منذ أشهر وحكومياً منذ أيام.

وهذا كلّه إن صحّ، يعني أن التحدّي المقبل المطروح على الفاعلين السياسيين المعارضين للنظام وسلطته هو في سُبل تشكيل ائتلاف وطني واسع يستوحي من التجارب الطلابية والنقابية الناجحة، ويحدّد أولويات العمل في المرحلة المقبلة ويضع أهدافاً محدّدة لا أوهام أحجام داخلية فيها ولا رهانات على أدوار خارجية لن تحصل في المدى المنظور.

كاتب وأكاديمي لبناني

رأي

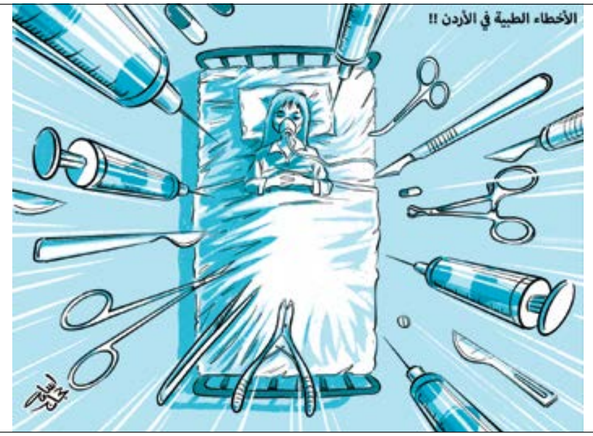

كاريكاتير: اسامة حجاج

التصنيم الثقافي

نادية هناوي

إن التطلع للتحرر ليس سمةً جديدة ولا هو رؤية حديثة، مع ذلك يبدو مطلبا لا بد منه لإنسان زماننا الراهن، به يدلل على تخلصه من أية صيغة من صيغ التصنيم لهيكل مادي يقدسه أو كيان حزبي يعلن ولاءه إليه أو اسم بشري ينزهه وكأنّ لا قبله ولا بعده. ويعلل المفكرون التصنيم بأن للعقل البشري صورتين متضادتين: الأولى صورته القبلية التي فيها يكون ممتلكا معرفة محضة تتضمن مبادئ معرفة أي شيء وأحكاما تأليفية عنه من دون أدنى تحديد سابق. والثانية صورته البعدية التي هي أمبريقية.

وما يعمله التصنيم هو أنه يحوّل العقل إلى عقل محض هو ذاك الذي يتضمن القبلية، ومن ثم تكون الغريزة سابقة على التفكير. ويطلق ايمانوئيل كانط اسم «الحساسية القبلية» على أي نزوع إلى التصنيم يظهره الفرد لغيره وهو في منتهى القناعة بأن ما يفعله صائب انطلاقا من تسليمه للتفكير الجمالي القبلي الذي قاده إليه عقله المحض.

ولعل واحدة من صور العقل المحض نجدها في قبيلة قريش التي كانت لها السيادة على العرب قبل الإسلام بسدانة أصنام صنعتها المخيلة وصوّرتها لهم كقوى قادرة على خدمتهم وأنها تقوم بحمايتهم. فقدسوها وحفظوها في الكعبة وجعلوا لكل مجال من مجالات الحياة تصنيمه الخاص ثم صارت السدانة مهنة بها سادت قريش على سائر القبائل بعقلية جمعية تم تمريرها والتعود عليها، حائزة من جراء ذلك على مكانة سياسية ومعنوية مهمة في الجزيرة العربية وما حولها.

وعلى الرغم من انتهاء عبودية الأصنام الوثنية بمجيء الإسلام؛ فإن التصنيم ظل يشخص في اللاوعي الجمعي كنوع من الوِلاء الرمزي، حتى إذا واجهت العرب خَطبا أو اعجبت بأمر حولته إلى رمز تمجده حد التقديس وقد تُقدّم سدانتها لأشخاص أو أسماء في شكل تملق أو ولاء.

وهو ما تناوله الباحثون السوسيولوجيون والمحللون النفسيون، فدرسوا ظاهرة الأصنام وأسبابها وكيف تتكون، والأغراض المبتغاة من ورائها، والوسائل المعتمدة فيها كما أفاضوا في الحديث عن دلالاتها السياسية ومخاطرها الاجتماعية والفكرية.

ولأن صدم القناعات الراكدة هو مطلب الإنسان الحر مبدءا كان أم غير مبدع، يغدو للفلسفة دور مهم في عملية الصدم هذه، فهي أصل العلوم والفنون، تتعامل عقليا مع الكون بحرية ناظرة إلى العالم نظرة تأملية تشتقها أو تستمدها من مفاهيم أخلاقية هي ليست حيادية على الإطلاق ورؤى جمالية هي ليست علمية تماما. ويبدو أن غياب الدور الفلسفي جعل التصنيم ظاهرة تحيا بيننا ونحن على أعتاب العقد الثالث من القرن الحادي والعشرين وذلك بوجود سدنة يقدسون ما يريدون له أن يُقدس فيعشعش في وعيهم ولا وعيهم. والمحصلة الاستعباد الذي هو نتيجة السدانة، كسجن يُحبس فيه العقل في كل الأحوال، فيكون مستكينا وضعيفا بدل أن يكون حرا ومسؤولا.

وإذا كانت السدانة تعني الولاء والخدمة؛ فإن التصنيم هو الغاية التي بها تتجلى رمزية الشيء الصنم. وتتنوع السدانة بتنوع الصنم وما يعنيه أو يرمز إليه. فهناك السدانة الرمزية للأفكار والمعتقدات بحسب العقائد والأعراق، وهناك السدانة المادية للأشخاص والكراسي، وهناك السدانة الثقافية وهي تجمع الروحية بالمادية، محاولة خدمة أفكار ونظريات صاغها عقل شخص بعينه أو عدة أشخاص.

وتعد السدانة الثقافية هي الأخطر والأعم لأنها أكثر تعقيدا من السدانتين الأوليتين، ولأنها أيضا أسرع انتشارا وأعظم أثرا في المجتمعات. وليست الأصنام هي الآباء لأن الآباء يؤسسون أو يكملون تأسيس ما بناه الأسلاف ليأتي الأبناء وبينون ما يستطيعون بناءه وقد لا يستطيعون فيتركون للأحفاد القيام بذلك. والأدب ككل مجال من مجالات حياتنا له آباء مؤسسون، لم ينقطع عنهم اللاحقون بل بنوا على ما كانوا قد بنوا عليه في شكل دورة ثقافية. وأي انقطاع بين الآباء والأبناء يعني حصول هوة وثغرة بسببها يتعطل التواصل وتنكسر الصلة بين القاعدة وما ينبغي أن يشيد عليها استكمالا للأصالة الأبوية وامتدادا لها.

والسدانة تقوم على فكرة القطع لا التأسيس، والبتر لا التواصل، والعقم لا التوالد، بوجود أب عقيم لا نسل له هو صنم مؤسس لبناء لن يؤسس عليه أحد من بعده أبدا. وإذا كان أمر الانقطاع والولادة الاستثنائية مقبولا في الأنبياء المعصومين والأوصياء المصطفين والولاة الصالحين فلأن ما يؤسسونه رسالي وفريد من نوعه يفترض الطاعة والولاء اللذين بهما تتحقق السعادة وتكون الحياة هانئة والبشرية مستقيمة. بيد أن السدانة لمن هم دون الذين تقدم ذكرهم لا تعد منطقية ولا موضوعية لأنها تقطع دورة التواصل بين الآباء والأبناء من جهة ولأنها تحول دون أن يكون للتأسيس حركية بها تُبنى الحضارات وتتقدم الأمم.

وعوامل كثيرة تتدخل في الانقطاع الحضاري والتراجع المجتمعي، ولا عجب أن تكون السدانة أحد تلك العوامل كونها تضع العصي في عجلة الحضارة مانعة أي تقدم أو تطور، مدارية على التصنيم بطوابع الاحتفاء والتمجيد.

وليس لاسم أو رمز ثقافي أن يكون صنما إلا إذا وضعه السدنة في هذا الموضع رمزاً تُقدم له وحده دون غيره كل صنوف التهيب والإجلال والولاء والطاعة العمياء.

وتبجيل الرموز الثقافية أمر مطلوب ومنطقي لأغراض اعتبارية يتم من خلالها توجيه الأجيال وتربيتها اقتداء بما قدمته تلك الرموز من عطاءات، وتذكيرا بأهمية انجازاتها أيا كانت مدنية أو عسكرية أو علمية أو تربوية أو فكرية. بيد أن التبجيل إذا ما انطوى على نوايا وغايات خارج هدفها المعلن؛ فإنه سيتعدى الاعتبارية إلى الصنمية التي بها لا يعود للرموز الأخرى أن تُبجّل ويُحتفى بانجازاتها. والسدانة بدل أن تجعل هذا الرمز أباً، فإنها تحوله إلى صنم.

وقد تكون وراء تصنيم رمز ثقافي والسدانة إليه دوافع التعطيل للإنتاج العقلي الفاعل مع كبح أية قدرات أو عطاءات يمكن لها أن تجعل صاحبها رمزا. وبذلك يبقى الصنم وحده في الساحة. مما يجعل أنواعا شتى من الظنون تدور حول التصنيم وغاياته ولماذا يُحاط اسم هذه الشخصية المفكرة بشتى آيات التعظيم وهالات التقديس مع أنها معروفة بانجازاتها ولا تحتاج إلى المبالغة في التمجيد من قبل السدنة الذين عادة ما تكون لهم هيمنة وإمكانيات تجعلهم يتقنون في صنوف التبجيل والتمجيد لتلك الشخصية.

وليس العيب بالطبع في الرمز/ الصنم نفسه وإنما في السدنة الذين يستغلون مكانته متخذين منه دعامة توطد سلطتهم وتعزز مركزيتهم في المجتمع. ولأن السدنة من دون صنمهم خواء وبلا قيمة، لذا نجدهم يستبسلون في سبيل استمراره مؤثرا حاضرا غير سامحين ولا متسامحين مع من يسعى إلى النظر الموضوعي في شؤونه نظرة تخالف وجهات نظرهم.

ولا وجود للسدنة والصنمية في المجتمعات التي تجاوزت التشرذم والأحادية وأمراض النقص وعقد الماضي واندمجت بأنظمة حكم ديمقراطية حقيقية لا صورية، واتبعت تشريعات دستورية وقوانين وأعراف عالمية. وبالطبع ليست مجتمعاتنا واحدة منها بسبب ما فيها من الصنمية بأشكال متنوعة، منها الصنمية الثقافية التي تشيع بوضوح أما بالمركزية التي ينالها بصورة طارئة بعض الذين انخرطوا في مراكز القوى فاكتسبوا منها المركزية وصاروا في مواقع مؤسساتية متقدمة. وأما بأمراض التجريم والتحريم والتشكيك واللوم والتسقيط والاتهام والتكتل والشللية التي تضمن للسدنة السطوة والكسب كتبعة من تبعات الواقع المليء بالعنف والإرهاب.

وقد استغل بعضهم هذا الواقع، فجعل من لا يتكتل مع تكتله خصما له يقف ضده بلا رادع من ضمير. وعادة ما تشيع الصنمية عند المشتغلين على شعارات وأجندات من الذين يتفاقم لديهم العامل الانفعالي، متبعين كل ما هو مصطنع يغلق العقل ويوجهه عاطفيا، فيغيب التفكر ويسود المزاج والتعصب.

كاتبة من العراق

الأفغانيات بعد منع معظمهن من العمل

أصبح التغيير الذي سوف تشهده أفغانستان بعد سيطرة حركة طالبان عليها محورا أساسيا لبحث وتخيل تداعياته بالنسبة للمجتمع، ولا شك أن المرأة الأفغانية سوف تعاني كثيرا في ظل حكم طالبان.

وكان من أول الإجراءات التي إتخذتها طالبان بعدما تولت مقاليد السلطة منذ شهر إرغام معظم الأفغانيات العاملات على ترك وظائفهن والتزام بيوتهن، بعد أن أصبح عدد كبير من الأفغانيات يتحملن مسؤولية رعاية أسرهن، كما أصبحن هن العاملات وحدهن لتوفير لقمة العيش لأبنائهن وغيرهم من الأقارب .

وحذر برنامج الأمم المتحدة للتنمية مطلع الشهر الجاري من أنه ربما ينزلق ما نسبة 97 في المئة من السكان إلى تحت خط الفقر مع حلول منتصف العام المقبل إذا لم يكن هناك تحرك عاجل لعلاج الازمتين الاقتصادية والسياسية المرتبطتين ارتباطا قويا.

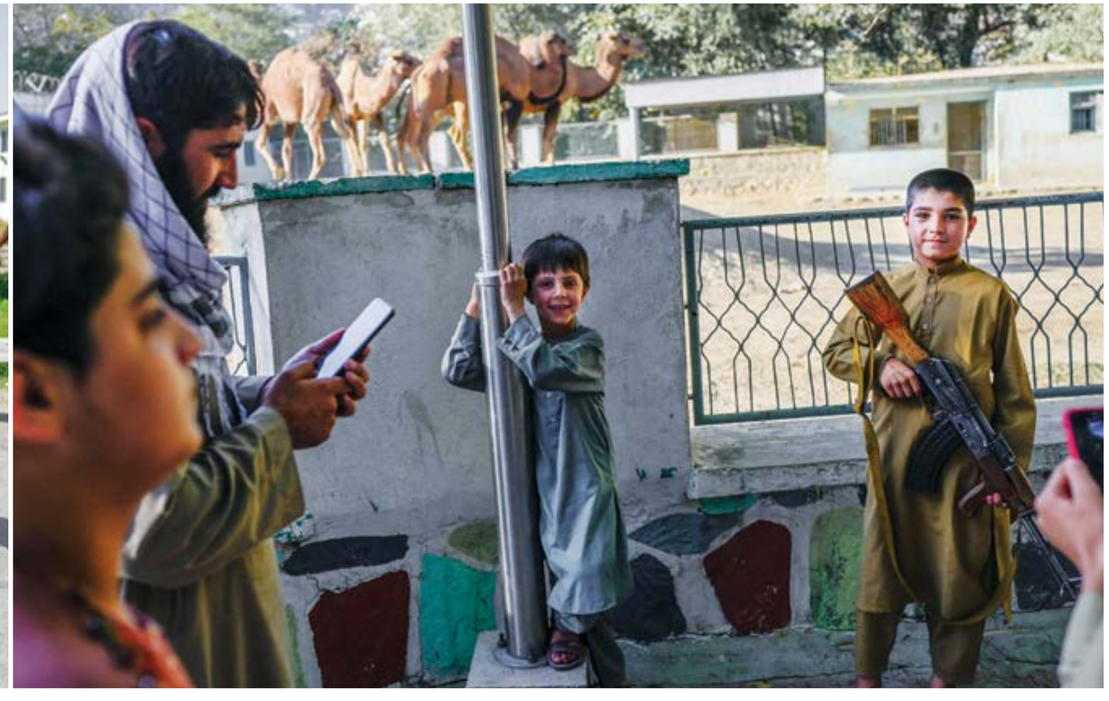

أداب وفنون

السيرة الذاتية روايةً؟

الروائي السوري خليل النعيمي

محسن جاسم الموسوي

يمكن لقارئ هذا العنوان أن يغامر بعرض مجموعة من الاحتمالات، أبرزها الافتراق بين السيرة الذاتية والرواية، وثانيها الأذى الذي يلحق بأحداها جراء هذا التداخل، وثالثها استيطان هذه المزالة في المرويات بدرجة أو بأخرى قد تزيد أو تنقص. وكان جبرا إبراهيم جبرا قد حَبك «البئر الأولى»، طفولة بيت لحم، بقدرات الراوي والروائي التي امتلكها مؤلفاً ومترجماً. وهو أمر نلاحظه من قبل عند حنا مينه في «بقايا صور» لدرجة أربكت بعض الذين كتبوا عن ترجمتها باللغة الإنكليزية، فهي إصداء، كما يشير أحدهم، لكنها ليست سيرة بالمعنى المألوف حتى ذلك الحين. ثم كثرت كتابات السير الذاتية، وكان الراحل إحسان عباس قد كتب «غربة الراعي»، لكنه لم يدع مجالاً للالتباس: فهي سيرته التي دعاه أخوه بكر عباس إلى كتابتها. ولكن ماذا نقول بشأن «فهرس» لسنان أنطون؟ فهي تتأطر رواية، وتتنو نصاً كسيرة ذاتية باسم مستعار. وقبل الآخرين، كان عبد الحكيم قاسم يكتب «أيام الإنسان السبعة»، وهي رواية أولاً، ولا تبدو حاملة لأصداء طفولة عبد الحكيم قاسم وحلقة أبيه من المتصوفة في ريف مصري، قبل أن يذهب الطفل إلى المدينة التي تستعذ لديه عاطفة أخرى سبق أن تبدت في قريته، ولكن باستحياء المراهق الذي لم تتشذب غريزته في حلقات الذِكْرِ الصوفي. وعندما قررت عالية ممدوح في «الأجنبية» أن تستجمع ما تبثه في رواياتها من قبل لتكتب سيرة تجمع بين الاستغاثة والاحتزال، نكون قد اطلعنا على كتابات سابقة شاركت فيها لطيفة الزيّات في «الباب المفتوح»، و «حملة تفتيش»، ونوال السعداوي في سيرتها «إبنة إيزيس» وكذلك في مذكرات سجن النساء ومثلهما أخريات.

لكن «لو وضعتم الشمس بين يدي» لخليل النعيمي هي أمر آخر. نحن نعلم أن «أصداء السيرة الذاتية»، كما يسميها نجيب محفوظ وهو يلمح إلى جوانب شخصية لم تطأها رواياته، قد تتخلل السرد في مناطق ليست منظورة ضرورة. أما خليل النعيمي فلا يوارب في اللحظة التي تعرض له مأزوماً ما بين ماض من الترحال في الحَماد، في الجزيرة، وبين وجوده في باريس؛ وما بين حديقة اللوكسمبورغ وذلك الماضي تتشكل السيرة الذاتية وقد اكتسبت فناً كالرواية على أساس الحركة بين السكون والفعل. وكما يشتغل المونولوغ والحوار الدرامي (الممسرح) تأتي اللحظة الضاغطة بين الفينة والأخرى لتتلقف الرويّ بصفته مجموعة من المغاليق والانفراجات؛ (في طريقه إلى حديقة اللوكسمبورغ، هذا اليوم، سيحاول أن يتخلص من كابوسيه، ومن اضطراباته العالقة بنفسه مثل وَحْل الجزيرة اللَصّاق بالأقدام – 77). كان يزمع مواجهة (ذلك الماضي المحمل بالشغف والإنكسارات –79). لكن المسألة ليست بهذه البساطة، لأن المتكلم في أغلب فصول الرواية – السيرة يفسح المجال للصوت الثالث ليحكي نيابة عنه ويغطي ما صعب عليه. لكن المشكلة في الحالين تقبع في منطقة أخرى سعى المتكلم ألا يستعرضها متعاملاً، لأنه أثر الصمت وترك (صديق) الحديقة، أو الحدائقي يكيل له التحليلات في سيرتها «إبنة إيزيس» وكذلك في مذكرات سجن النساء ومثلهما أخريات.

يدي» لخليل النعيمي هي أمر آخر. نحن نعلم أن «أصداء السيرة الذاتية»، كما يسميها نجيب محفوظ وهو يلمح إلى جوانب شخصية لم تطأها رواياته، قد تتخلل السرد في مناطق ليست منظورة ضرورة. أما خليل النعيمي فلا يوارب في اللحظة التي تعرض له مأزوماً ما بين ماض من الترحال في الحَماد، في الجزيرة، وبين وجوده في باريس؛ وما بين حديقة اللوكسمبورغ وذلك الماضي تتشكل السيرة الذاتية وقد اكتسبت فناً كالرواية على أساس النفي» حيث يجري هدم المقولات المتوارثة منذ الفلسفة اليونانية وعبر الفسحة (الإيجابية) في الديالكتيك الهيغلي في الفكر المعاصر. لكن أدورنو ليس معنياً بالنفسية المؤرقة أو المأزومة. وقد يكون حضور (الحدائقي) المتفلسف محض (قرين) للسارد، الذي يزيد من توتر السرد وشده ما بين سائل ومتسائل وصامت؛ وقد يذكرنا بصديق المؤلف المفكر التونسي العفيف الأخضر، فهو أيضاً كثير الجدل ورد على التوسير محاضراً مرةً، كما يقول في كتابه الأخير.

ولئلا تغيب السيرة الذاتية في الرواية، يكون المؤلف حاضراً للتذكير باسمه. ومنذ أن رافق أباه في الحَماد والطُعون وعاش قلق الصحراء (77)، تشكلت لديه صورة لذلك الماضي من الترحال الذي يتشاءم الأب من أي تساؤل بشأنه: (وين يا أبو خليل؟ وكأنه يستنكر السؤال: قدمي هي التي تقرر –70). يقول صوت المتكلم: (كنا صغاراً، وكان العالم يبدو بلا حدود. والمشي هو وسيلة اتصالنا الوحيدة به. إنه واسطة الانتقال الأساسية بين نقطتي: البيت والمرعى. وبينهما يشكل الوجود مغامرة حقيقية –71).

يشتغل الروي مع تلك الطفولة التي ترفض الهجرة وتناكف التعالم؛ وتسكن أماكنها التي خبرها طفلاً وهو يكتشف المشي في الحَماد، حيث لا حذر ولا التباس، على خلاف مشيه الآن في اللوكسمبورغ وشوارع باريس المحاذية، حيث بدت (الدنيا مقلوبة): الحذر أولاً، والنظر ثانياً –71). وإذ بدت الحمادة حرة، على مد البصر، فإن حياته الدمشقية بدت اختناقاً (كل ما يحيط بي يوحي بالإحباط والعبث –15). هل تشده الصحراء بكل ما فيها من صعوبات؟ أم أن ما نسمعه رطانة نمس التبس عليها الأمر؟ يقول السارد: (حياة الصحراء من شدة بساطتها، رغم كمية المكر الكامنة في ثناياها، تبدو، لمنْ تَعَوَّد على العيش في فضائها اللامتناهي، مكشوفة مثل راحة اليد –71). ويكاد يكون تقابل الأمكنة وتفريعاتها هو الهيكل الذي يردم الهوة ما بين السيرة والرواية؛ وتتم الانزياحات من الكلام إلى المكان بتلقائية فريدة مفتتحها الصفحة الأولى: (موعدنا في اللوكسمبورغ).

والتقى ذلك الشخص الذي يقضي شطراً من وقته في الحديقة لا يملُّ السارد من استذكار أبيهِ وهو يقود قافلته يطارد ذئباً. وكان عليه طفلاً أن يكون على قدر من الجَلَدْ: (كنت أرتعب من البكاء لأنه مرتبط بالجوع، والظمأ، والأفاعي، والأشواك، والفضاء اللامحدود الذي ينبسط أمام العين في الصحراء – 115). لكنه الآن، لا يرى ضيراً في إبداء ذلك، لأن (التلوّع هو أول الغيث).

هذه الاشتغالات السردية ما بين الأمكنة وإسقاطات ذلك على نفسية السارد تقرب السيرة – الرواية إلى القارئ؛ وتزداد هذه الرابطة كلما تعمق الاعتراف بالزلل والشطط والتفاهة وسوء الفهم. وحتى في مواقف اعتيادية في التمييز بين حرمان من الجنس والعاطفة أو عثور عليه ميسوراً مقارنة بتمنع الدمشقية التي يتذكرها نراه يترك للحدائقي إطراء جراة الدمشقية وشجاعتها لأنها تغالب واقعها الضاغط والقمعي أما الباريسية فهي تتصرف في سياق واقع آخر مغاير تماماً؛ وما تبدو محطات حياتية صغيرة أو كبيرة تضعه عند عتبات الإدراك. فهو عندما يتوقف عند محمد خياط، وكثرة رواياته المفتعلة عن علاقات جنسية واسعة وهبوطه وانهياره بعد حبن وعودته ضائعاً ملتبساً: فلأنه شخصية المغترب، الذي يحمل (كابوس الغربة –76). وهو ما يتيح للسارد أن يتأمل نفسه بنقدٍ صارم وإن بدا ذلك النقد صمتاً.

كل هذه المرويات داخل السيرة – الرواية لا تشتغل من دون شدِ وحلٍ، يمسك بالقارئ ويجعله مأخوذاً بقوة السرد البانورامي، وكأنه يتفق مع الروائي في أن ما يقرأ يقارب السيرة، لكنه حكاية أيضاً، ذلك لأن (الحكاية [تتخلّق] في رؤوسنا، وتنمو مثل الجنين. الذي ينمو في الأرحام. لكنها تصير، منذ أن نحكيها، حكاية أخرى، حكاية غير التي كنا نريد أن نرويها– 54). لكن ذلك لا يغير من أمر استحضار الأمكنة التي تقتحم الذاكرة وهو يمشي في اللوكسمبورغ وشوارع باريس المحاذية، فينهمر (الإحساس المفرط بالفجيعة، فجيعة انتقام الأمكنة من هاجريها – 29).

يرتقي النعيمي بفن السيرة– الرواية، لا لغنى التجربة فحسب، ولكن لأنه يضع عاطفته وفنه كاملاً في هذا النص.

الفنان المغربي نور الدين شماس في خدمة غناء الملحون

نور الدين شماس

الرباط ـ «القدس العربي»: عبد العزيز بنعبو

فن الملحون من الأنماط الغنائية المغربية العريقة التي تمتد إلى عقود طويلة ويزاوج بين الشعر العامي الموزون واللحن المستمد من لحظات ضاربة في القدم. وتنتشر عبر ربوع المملكة المغربية العديد من الفرق الملحونية، خاصة في مدن مثل مكناس وفاس وسلا ومراكش وغيرها.

وأنجبت مكناس العديد من رواد فن الملحون من أمثال الحسين التوتلالي، كما أنجبت شعراء وباحثين مثل الراحل أحمد سهوم، وفي وقتنا الحالي تقف أسماء أخرى تعمل جهد استطاعتها من أجل الحفاظ على هذا الموروث الفني الأصيل، ومن بينهم الباحث والناقد الفني نور الدين شماس الذي يرأس «الرابطة الوطنية لجمعيات الملحون» كما يواصل مسيرته في تنظيم مهرجان الملحون بتافيلالت، ويتابع النبش في عمق الموروث ويصدر كتبا بحثية قيمة، أحدثها مؤلف تحت عنوان «شيوخ الملحون السلاويون جواهر من ذاكرة التراث المغربي المكنون». حاورت «القدس العربي» شماس حول أسباب تأليف هذا الكتاب، وعن سبل الحفاظ على موروث أصيل وعريق جدا هو فن الملحون.

○ لماذا كتاب جديد حول تاريخ فن الملحون عموما والسلاوي (نسبة إلى مدينة سلا) منه على وجه الخصوص؟

● أولا: وراء البادرة تاريخ طويل من عشق الملحون وتتبع حياة شيوخه وأعلامه، القدماء منهم أو المحدثون، المغاربة والسلاويون منهم على وجه الخصوص.

وثانيا: كانت الغاية، إغناء مكتبة الملحون بجنس من التوثيق البيوغرافي لمسار شيوخه في بعض المدن الحاضنة له، ولمدينة سلا نصيب وافر منه، خصوصا وأن هذا النوع من الكتابة تفتقر إليه الساحة الفنية والفكرية، بل هناك تقصير في التعريف بأدباء هذا النمط الفريد من تراثنا الشعبي الذي اعتبره المغاربة بالإجماع ديوانا لهم، من خلاله يمكننا تتبع المسار التاريخي لهذا التراث بكل تجلياته، بالإضافة إلى التفاصيل، سواء في مضامينه أو أخبار أعلامه وعلاماته.

وثالثا: يتعين الاستمرار في هذا المجال بما بدأه عُمدتنا سيدي محمد الفاسي رحمه الله، الذي عوّدنا على أن الكتابة عن الملحون هي حفاظ على مسار هذا النمط الأدبي الذي ميز بلدنا عن باقي البلدان، لأن شعر الملحون هو ديوان المغاربة، من حسب الطبقة الاجتماعية التي ينتمي لها ونمط احتفالاتها بالمناسبات الدينية منها والوطنية، بالإضافة إلى حضور الاهتمام بالمعالم العمرانية لكل حقبة من حقب تاريخ المغرب.

نحن أمام علم وشعر وفكر لم يترك مجالا في الحياة المغربية إلا واقتحمها، وصموده استمده من الدعم والمساهمة للوك الدولة العلوية في الإشادة به، بل المشاركة الفعلية نظما وتنظيما وعناية، وخبر دليل على هذا نص الرسالة السامية التي وجهها الملك محمد السادس إلى أمين المملكة، والذي يتجلى في كتاب «الزجل المغربي» الذي ناقش فيه أول أطروحة للدكتوراه بالمغرب، وكذا كتابه القيم حول المصطلحات الفنية للملحون، وتقديمه للدواوين الصادرة عن أكاديمية المملكة. وهناك الشيخ المبدع والإعلامي الفذ الأستاذ الحاج أحمد سهوم، وما قدمه من برامج إذاعية طيلة سبعين سنة من العطاء الجيد والمتميز، ناهيكم عن كتابه القيم «الملحون المغربي» ومجموعة كبيرة جدا من القصائد التي أصدرت أكاديمية المملكة المغربية حيزا وافرا منها في الديوان الحادي عشر من إصداراتها، والباقي ينتظر. وهناك صنوه الأستاذ الجليل عبد الرحمان الملحوني، الذي له أياد بيضاء على هذا الفن، من خلال برامجه الإذاعية القيمة التي ساهم بها في التعريف بهذا النمط من تراثنا الشعبي، بمؤلفاته المعروفة حول هذا الفن. وهناك مجموعة من الباحثين الأكفاء الذين أدلوا بدلوهم في التعريف بهذا الأدب وهم: الأستاذ عبد الله شقرون، والدكتور عبد الصمد بلكبير، والدكتور منير البصكري، والدكتور عبد الوهاب الفيلالي، والأستاذ عبد العزيز بن عبد الجليل.

○ أمام اكتساح أنماط غنائية مختلفة سريعة وهجينة في بعض نماذجها، كيف يبدو لك واقع الملحون حاليا؟

● لهذا الفن روادَه وعشاقهُ، والمتعاطفين معه، وشيوخه أنواع: فهناك شيوخ الكريخة، وشيوخ النظام، والخَزّانة، والنّقابة. والمهتمون به، والباحثون في عوالمه من كل الأجيال والحساسيات الأدبية. وكل ما يتطلب هو المزيد من الاهتمام به، بما يساير الراهن، والمستجدات الثقافية، وحتى يتسنى للمهتمين بهذا النمط النهوض به وتبوئه المكانة اللائقة به.

○ كيف يبدو لك مستقبل الملحون؟ هل سيبقى حاضرا أو سيؤول إلى الانقراض؟

● وهل تظن أن إنتاجا من الشعب وإلى الشعب، لن يكون له مستقبل زاهر وزاخر؟ حقيقة هناك مد وجزر في تاريخ الفنون عموما، ولكن يبقى مستقبل الملحون أوفر حظا في زمننا هذا مع اختلاف في التموقع، هناك طفرة تبشر بالخير تتمثل في الشعراء الشباب، بل وفي الشاعرات، وهناك تنوع وتجديد في الموضوعات، حيث إن المبدعين الجدد يتناولون مواضيع من المعاش اليومي، وهناك طفرة في المجال التوثيقي والتحليلي لرواد هذا التراث من طرف باحثين أكفاء استلموا المشعل من الرعيل الأول وأعمالهم تبشر بالخير.

وتتجلى أيضا استمرارية هذا الفن في ما نراه اليوم من نهضة والتفاف حوله، ويكفي اهتمام أعلى منبر علمي في المملكة وهي أكاديمية المملكة المغربية التي خصصت لأدب الملحون قسما خاصا به يشرف عليه عميد الأدب المغربي الدكتور عباس الجراري. وهناك باحثون استهواهم الملحون فكرسوا له حيزا مهما من إنتاجاتهم الأدبية، وهناك مؤلفون مسرحيون خصصوا جل إنتاجاتهم للملحون وإبداعاته منهم على سبيل المثال المرحومان الطيب الصديقي وعبد سلام الشريبي، والمخرج المسرحي عبد المجيد فنيش الذي أثرى خزانة المسرح الوطني بمجموعة قيمة من الأعمال المستوحاة من فن الملحون.

واتجهت إبداعات بعض الشباب ليصيغونه لأترابهم بشكل يجعل جيلهم يعشق الملحون المعاصر شكلا ومضمونا، وخير نموذج المبدع رضوان الأسمر الذي له محاولاته الهادفة في تجديد لحن القصيدة الملحونية، مع مراعاة القوالب الأصيلة، وإضفاء مسحة من التجديد في الجمل الموسيقية والايقاعية، بحيث استطاع الجمع بين الأصالة والمعاصرة.

○ لماذا يقول بعض نقاد الفن إن الملحون بات محصورا في فئة قليلة جدا ما ينذر بتواريه؟

● إن عشاق هذا الفن والمهتمين به والباحثين فيه قليلون بالمقارنة مع أنماط أخرى موسيقية، وهذه قوة الملحون، إذ أنه بقدر ما هو من صميم الشعب فإنه نخبوي ليس بمستطاع أي كان أن يستوعبه ويدرك عوالمه ولغته الخاصة والتي تجمع بشكل عجيب بين العربية الفصحى والدارجة المغربية العتيقة.

○ هل ما زال هناك متسع لفن الملحون في المشهد الموسيقي المغربي في ظل هذه التحولات العديدة؟

● سبق وأشرت أن حضور الملحون في زمننا هذا اكتسب حلة جديدة من حيث الأصوات التي نراهن عليها، وكذلك بعض الموسيقيين الذين تذوقوا أصوله وهم بصدد محاولات جادة في تطوير أنماط جديدة لإنشاد القصيدة الملحونية في زمن العولمة.

○ هل تتحمل وزارة الثقافة نصيبا من المسؤولية في الحفاظ على فن الملحون وتطويره؟

● طبعا، بحكم أنها الجهة الوصية على المنظومة الثقافية ببلادنا، وضمنها التراث الشعبي المغربي بجميع تجلياته، ومن أبرزها الملحون كرافد من روافدها الأساسية.

حقيقة أخرى وجب التنبيه إليها، والكل يتغاضى عنها، وهي أن العمود الفقري لفن الملحون كان يتكون من الحرفيين، وهذه الشريحة التي كانت متنوعة بتنوع صناعتنا التقليدية، بدأت تتقلص إن لم نقل إن شرائح منها اندثرت مع الثورة الصناعية الحديثة والإلكترونية. وهذه الشرائح كانت هي الرافد الرئيسي للملحون والكيان المحافظ عليه، ومع هذا التقليص أصبحت وزارة الثقافة هي الوصية والمسؤولة على الحفاظ عليه والنهوض به. إلا أن ما نراه من تقصير في حق هذه الفئة المهمشة والحاضنة لهذا التراث لم ولن يساهم إلا في جعل الشباب يعزفون عنه.

ولكننا، لا بد أن نشير إلى أن صراع القديم والجديد، التراث والمعاصرة، إذا كان سمة من سمات تاريخ الحضارة وتاريخ الإبداع والأفكار، فإن لفن الملحون نصيبًا من هذا الصراع، لكن التاريخ يعلمنا دوما أنه إذا كانت للجديد جاذبيته، فإن للتراث أيضا اشراقاته وخلوده، لأنه روح الأمم، وذاكرتها الحية التي لا تموت، بل تمثل نسغ التكامل والترافد في تاريخ تلك الحضارات والثقافات، بين الجديد فيها والقديم.

○ هل يعتبر التوثيق مدخلا أساسيا للحفاظ على هذا الموروث من الانقراض؟

● فعلا، لولا التوثيق للملحون وما عرفه من تنوع، لما وصلنا كل هذا الزخم الكبير جدا لنصوصه المتنوعة في مضامينها المتوقع، هناك طفرة تبشر بالخير تتمثل في الشعراء الشباب، بل وفي الشاعرات، وهناك تنوع وتجديد في الموضوعات، حيث إن المبدعين الجدد يتناولون مواضيع من المعاش اليومي، وهناك طفرة في المجال التوثيقي والتحليلي لرواد هذا التراث من طرف باحثين أكفاء استلموا المشعل من الرعيل الأول وأعمالهم تبشر بالخير.

وتتجلى أيضا استمرارية هذا الفن في ما نراه اليوم من نهضة والتفاف حوله، ويكفي اهتمام أعلى منبر علمي في المملكة وهي أكاديمية المملكة المغربية التي خصصت لأدب الملحون قسما خاصا به يشرف عليه عميد الأدب المغربي الدكتور عباس الجراري. وهناك باحثون استهواهم الملحون فكرسوا له حيزا مهما من إنتاجاتهم الأدبية، وهناك مؤلفون مسرحيون خصصوا جل إنتاجاتهم للملحون وإبداعاته منهم على سبيل المثال المرحومان الطيب الصديقي وعبد سلام الشريبي، والمخرج المسرحي عبد المجيد فنيش الذي أثرى خزانة المسرح الوطني بمجموعة قيمة من الأعمال المستوحاة من فن الملحون.

واتجهت إبداعات بعض الشباب ليصيغونه لأترابهم بشكل يجعل جيلهم يعشق الملحون المعاصر شكلا ومضمونا، وخير نموذج المبدع رضوان الأسمر الذي له محاولاته الهادفة في تجديد لحن القصيدة الملحونية، مع مراعاة القوالب الأصيلة، وإضفاء مسحة من التجديد في الجمل الموسيقية والايقاعية، بحيث استطاع الجمع بين الأصالة والمعاصرة.

○ لماذا يقول بعض نقاد الفن إن الملحون بات محصورا في فئة قليلة جدا ما ينذر بتواريه؟

● إن عشاق هذا الفن والمهتمين به والباحثين فيه قليلون بالمقارنة مع أنماط أخرى موسيقية، وهذه قوة الملحون، إذ أنه بقدر ما هو من صميم الشعب فإنه نخبوي ليس بمستطاع أي كان أن يستوعبه ويدرك عوالمه ولغته الخاصة والتي تجمع بشكل عجيب بين العربية الفصحى والدارجة المغربية العتيقة.

○ هل ما زال هناك متسع لفن الملحون في المشهد الموسيقي المغربي في ظل هذه التحولات العديدة؟

● سبق وأشرت أن حضور الملحون في زمننا هذا اكتسب حلة جديدة من حيث الأصوات التي نراهن عليها، وكذلك بعض الموسيقيين الذين تذوقوا أصوله وهم بصدد محاولات جادة في تطوير أنماط جديدة لإنشاد القصيدة الملحونية في زمن العولمة.

○ هل تتحمل وزارة الثقافة نصيبا من المسؤولية في الحفاظ على فن الملحون وتطويره؟

● طبعا، بحكم أنها الجهة الوصية على المنظومة الثقافية ببلادنا، وضمنها التراث الشعبي المغربي بجميع تجلياته، ومن أبرزها الملحون كرافد من روافدها الأساسية.

حقيقة أخرى وجب التنبيه إليها، والكل يتغاضى عنها، وهي أن العمود الفقري لفن الملحون كان يتكون من الحرفيين، وهذه الشريحة التي كانت متنوعة بتنوع صناعتنا التقليدية، بدأت تتقلص إن لم نقل إن شرائح منها اندثرت مع الثورة الصناعية الحديثة والإلكترونية. وهذه الشرائح كانت هي الرافد الرئيسي للملحون والكيان المحافظ عليه، ومع هذا التقليص أصبحت وزارة الثقافة هي الوصية والمسؤولة على الحفاظ عليه والنهوض به. إلا أن ما نراه من تقصير في حق هذه الفئة المهمشة والحاضنة لهذا التراث لم ولن يساهم إلا في جعل الشباب يعزفون عنه.

ولكننا، لا بد أن نشير إلى أن صراع القديم والجديد، التراث والمعاصرة، إذا كان سمة من سمات تاريخ الحضارة وتاريخ الإبداع والأفكار، فإن لفن الملحون نصيبًا من هذا الصراع، لكن التاريخ يعلمنا دوما أنه إذا كانت للجديد جاذبيته، فإن للتراث أيضا اشراقاته وخلوده، لأنه روح الأمم، وذاكرتها الحية التي لا تموت، بل تمثل نسغ التكامل والترافد في تاريخ تلك الحضارات والثقافات، بين الجديد فيها والقديم.

تحقيقات

هل يفك الإعلان السياسي في السودان قبضة العسكريين على مفاصل حكومة الفترة الانتقالية؟

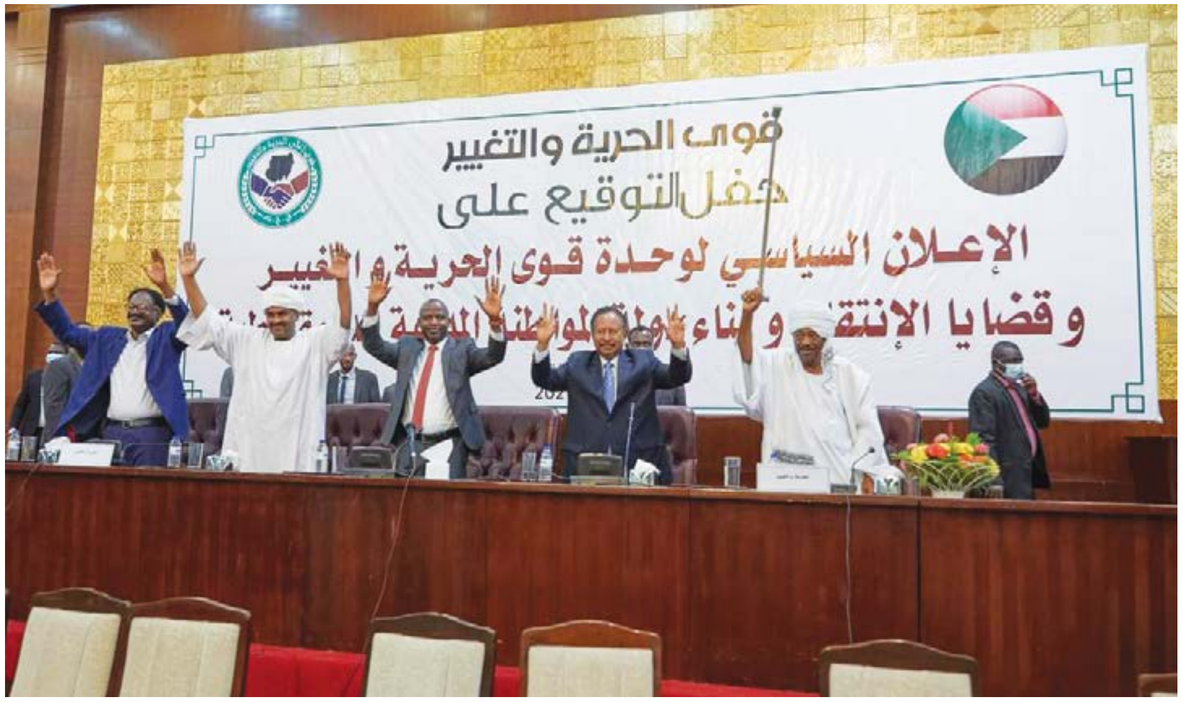

عمر الفكي سليمان

هل الإعلان السياسي الذي وقعته قوى الحرية والتغيير قبل أيام قادر على ضبط إيقاع الحاضنة السياسية لحكومة الفترة الانتقالية، وينهي التمدد العسكري الباسط سيطرته على المفاصل الأهم في حكومة الفترة الانتقالية؟

يرى مراقبون أن المكون العسكري ممسك بكل مفاصل الاقتصاد السوداني، وملف العلاقات الخارجية، وهو من حسم ملف السلام ووضع كل الشروط مع الحركات المسلحة، وهذا التمدد خلق قلقا لدى الشارع السوداني المطالب بمدنية دولته.

الانقلابات العسكرية

ويأمل سودانيون أن يفتح الإعلان السياسي الأبواب لدخول المدنيين إلى دولتهم المدنية، وأن يمسكوا بكل الملفات بيد قادرة على رسم مستقبل بلادهم، وان يعود العسكريون إلى مهامهم التي رسمتها الوثيقة الدستورية، لكن هناك من يرى أن مدنية الدولة لا تتعارض مع شراكة العسكريين في الحكم.

وتبدو العلاقة بين العسكريين والمدنيين ضرورية من وجهة نظر رئيس الوزراء عبدالله حمدوك. ففي خطاب أمام قوات الدعم السريع قبل يومين قال: «لا يعدو الفصل بين العسكريين والمدنيين غير فصل وظيفي ومهني، ويجب أن لا يبدو وكأنه تمييزا وتمايزا في الحقوق والواجبات» وأضاف: «أعظم جيوش العالم هي التي تنحاز لخيارات شعبها، والشعب السوداني في ثورته اختار طريق الديمقراطية والدولة المدنية، لذا صار واجبكم الأسمى هو الحفاظ على الدستور ودعم التحول المدني الديمقراطي».

هذه الإشارات لم تكن الأولى لحمدوك فقد سبق وان غازل العسكريين أكثر من مرة وأعلن عن ضرورة العمل معهم في تناغم وانسجام. ولاقت زيارة رئيس الوزراء عبدالله حمدوك زخما واسعا في وسائل التواصل الاجتماعي فهناك من يصر على أن يظل العسكريون في مواقعهم المرسومة وفقا لمتطلبات الثورة، ويرون أن المنافذ التي يمكن ان تتنفس من خلالها حكومة الفترة الانتقالية أغلقها المكون العسكري، حتى تفشل.

إلا أن المخاوف من الانقلابات العسكرية لم تبارح أذهان كثيرين، هذه المخاوف دفعتهم إلى القبول بشراكة العسكريين، ويقولون هي شراكة لا مفر منها، ويرى آخرون أن السياسة هي من ربطت العسكريين بخيوطها المتشابكة فأصبحوا عاملا حاسما في الاقتصاد والسياسة، إلا أن أكثر ما يخشاه السودانيون ان تتحول الاختلافات بين المدنيين والعسكريين إلى سبب لجر بلادهم نحو هاوية الانهيار، لذا طالبوا بضرورة تمتين العلاقة بدلاً عن أي فصل يرون انه تعسفي وقد يعصف بحكومة الفترة الانتقالية كلها.

الإعلان السياسي الأخير

ويقول الناطق الرسمي للمجلس المركزي لقوى الحرية والتغيير جعفر حسن لـ«القدس العربي» إن «توقيع الإعلان السياسي الأخير كان ضروريا لمعالجة التصدعات داخل الحاضنة السياسية نتيجة لاختلافات الرؤى خاصة في قضايا الانتقال» وذكر ان أبرز قضايا الاختلاف تتعلق بالاقتصاد، فضلا عن تطورات السلام كقضية محورية شهدت تباينات، وزاد بأن خروج الحزب الشيوعي وبعض الأحزاب الصغيرة كان هو الآخر من المؤثرات على راهن الحاضنة السياسية. ونوه الناطق الرسمي للتحالف الحاكم في السودان بأن الشراكة قامت على طرفين، تمكنا من الاتفاق والوصول إلى الوثيقة الدستورية وهو ما أحدث التوازن بين القوى المدنية والمكون العسكري، حيث كانت الأولى تعبر عن الشارع، والمكون لديه السلاح، وبذلك يرى حسن انه لا يمكن لأحد ان يقصي الآخر. وشدد الناطق باسم الحرية والتغيير على ان تراجع أي طرف في الشراكة يسمح لتمدد الطرف الآخر، ما يدفعه للاعتراف بحدوث تراجع للقوى المدنية بسبب التشظي الذي شهدته. ولفت إلى ان ذلك ما أثر على أداء الحكومة، ودفع رئيس الوزراء دكتور عبدالله حمدوك لتقديم مبادرته «الطريق للأمام».

وأكد حسن على سعيهم المتواصل لتوحيد قوى الحرية والتغيير منذ بداية التفاوض في جوبا واستمر بل أكثر خلال الثلاثة أشهر الماضية التي تم فيها حسم قضايا هيكلة الحرية ومستويات الإدارة وعاد للتحالف مكتب تنفيذي ومجلس مركزي ولجان متخصصة وتحول من تنظيم أفقي «مقاوم» إلى هياكل رأسية. ورأى انه الوضع الذي يمكن عبره تجاوز العيوب التنظيمية، وشدد على ان وحدة القوى الثورية المدنية تمثل ضماناً لتحقيق الانتقال وهو ما يدفعهم لضم آخرين خارج التحالف، فضلا عن كونه يبعث برسالة للعالم بوحدة الهدف، و«الأهم أن المواطن سيدرك سعينا لإزالة الإحباط» ويرى حسن أن وحدة قوى الثورة ستجعل الحكومة أكثر صلابة ومتانة، وأن حاضنتها تشكل لها الحماية والسند وتستطيع تنفيذ أجندة الانتقال بصورة أفضل، وستنتفي المنازعات والمشاكسات.

ويضيف ان الإعلان السياسي ليس جديدا بل هو نفسه الذي قام بإسقاط البشير انما اضيفت إليه لتصبح سبعة عشر بندا، وقال إن الإضافات سببها الممارسات السياسية التي كانت تحتاج إلى مراجعات.

وقال الناطق الرسمي إن البنود التي تمت تأتي على رأسها قضايا الانتقال والتحول المدني وتفكيك نظام الإنقاذ والسلام والعدالة الانتقالية، وقال إن التحالف رآى ان البنود تمثل أهدافا لخدمة الانتقال.

ويرى جعفر أن الإعلان السياسي المطور إحدى عبقريات الشعب السوداني الذي صنع الثورة وسيضع حدا للتدهور، وقال إن الإعلان سيمكن القوى المدنية للعودة بالإمساك بزمام المبادرة.

تصحيح المسار

وسبق وأن أكد المجلس المركزي للحرية والتغيير في ايار/مايو هذا العام، على أن الحرية والتغيير عقدت العزم على قيام مؤتمرها من أجل تصحيح المسار، واعترف بالأخطاء التي صاحبت أداءها ما يستوجب إعادة الهيكلة. ونوه في تصريحات رسمية بأن خروج أي فصيل من مكونات الحرية والتغيير، يحدث اختلالاً، ويضعف الموقف، وشدد المركزي على أن قوة الحرية والتغيير في استمرار وحدتها.

يقول الخبير الأمني والمحلل الاستراتيجي الدكتور أمين اسماعيل مجذوب في تصريح خاص لـ«القدس العربي» إن الإعلان السياسي الجديد لن يقوى ويسير لأنه قائم على انقاض القوى المكونة للحرية والتغيير. مشيرا إلى خروج تجمع المهنيين ولجان المقاومة وهم الأكثر تأثيرا في الشارع السوداني. ونبه مجذوب إلى ان فترة رئاسة المكون العسكري شارفت على الانتهاء وفقا للإعلان الدستوري الموقع في 2019. وقال إن هناك عاملا خارجيا يظل حاسما وهو التشديد على الوصول بمرحلة الانتقال إلى انتخابات. ويرى ان التحالف الجديد ينوي إطالة عمر الفترة الانتقالية

وفي ديباجة الإعلان السياسي الذي جرت مراسم الاحتفال به 8 ايلول/سبتمبر الجاري أن الأطراف الموقعة بذلت جُهداً متصلا وحوارا تميّز بالوضوح والشفافية، وتناول الحوار تجربة الحرية والتغيير، والفترة الأولى من الحكم الانتقالي بالتقييم، وبنظرة نقدية لما تم، ولمستقبل الانتقال، وأكد الإعلان على توصل الأطراف إلى أن أهم الدروس المستفادة لإنجاح الانتقال تكمُن في وحدة قوى الثورة والتغيير، وإصلاح منظومة الحرية والتغيير، ودعم الحكومة الانتقالية بلا تردد، وأشار إلى أن تفتيت قوى الثورة والتغيير وعدم توحدها هو المدخل لقوى الردة، والفلول.

إلا أن المحلل السياسي أنور سليمان يرى ان المشكلة لا تكمن في اختلاف القوى المدنية بقدر ما هي في عدم استعداد تلك القوى وجاهزيتها للتعامل مع التطورات السياسية التي جلبها التغيير. ويشير سليمان إلى ان معظم تلك القوى المدنية وقياداتها لا تزال بذات شخصيات وعقلية ما قبل 1989.

وقال سليمان في تصريح لـ«القدس العربي»: «بالفعل تغيرت أمور كثيرة لكن أحزابا ومنظمات البيوتات لم يتغير فيها شيء ولا تبدي أدنى مرونة للتغيير، وان البعض يظن ان المشكلة في تغول القوة العسكرية في حين ان الأزمة في حقيقتها عجز القوى السياسية عن أداء واجبها».

واشار إلى ان هذا العجز لا يختلف سواء كانت تلك القوى مختلفة أو مؤتلفة! وطالما انها لم ولا تريد ان ترتقي لمستوى التغيير في القرن الحادي والعشرين وتريد ان تعمل بذات عقلية القرن التاسع عشر، فانها ستختلف مجددا بعد اتفاقها هذا لأن بنيتها تدعم الخلاف وهي تنتعش في أجواء الانقسامات والانشطارات ولا تنتعش في ظل أجواء صحية لأنها تواجه بالتحديات العملية التي هي غير مجهزة لها إنما مهيئة للتحديات النظرية في ظل وضع قابل لكل نظرية!

إصلاحات راديكالية

لذلك فإن التوقيع على إعلان سياسي جديد ليس له قيمة في ذاته (التوقيع)، وتوافق أكبر كتلة ليس له معنى أو مغزى كبير، لأن العبرة بالخواتيم وقبل ذلك بصمود المتوافقين، أما التحديات السياسية والعقبات والمحكات العملية.. فتاريخ العمل السياسي والتحالفات السياسية والعمل الجبهوي في السودان يعلمنا ان انفراط عقد أي تحالف هو مسألة وقت ليس إلا؛ وانها لا تصمد إلا في أوضاع الجمود والتصلب السياسي، لكن ومع أول حراك فإن المواقف تفترق.

حدوث اختراق في هذا الوضع رهين فقط بقيام القوى السياسية والمنظمات المدنية بإجراء إصلاحات راديكالية لا تستثني الوجوه ولا الآليات ولا قواعد العمل وبدون ذلك ستدور عضويتها حولها كثيران السواقي وكجمال العصارة ومن دون أي خلاصة أو منفعة!

وبالنسبة للقيادي في تجمع المهنيين السودانيين محمد ناجي الأصم، فإن الإعلان السياسي يعد خطوة في سبيل عودة القوى المدنية إلى المشهد وذلك من خلال العودة إلى الملفات التي تعتبر من صميم عمل القوى المدنية والتي تم الابتعاد عنها مؤخرا ابان فترة التشظي التي طالت تلك القوى السياسية والفراغ الناجم عن ذلك.

وقال الأصم لـ«القدس العربي» إن الإعلان السياسي سيساهم بصورة في تحسين التقدم في ملفات الانتقال بتسريع وتيرة الاتفاق السياسي والعمل على حشد ومخاطبة الجماهير بصوت واحد وموحد.

ويرى قادة تحالف قوى الحرية والتغيير أن الاختلافات في وجهات النظر ضرورية، وتعبّر عن محمولات فكرية مختلفة، لذا هي طبيعية. إلا أن نفس القادة لم تنقطع رسائلهم بضرورة أن يستعيد المكون العريض زمام المبادرة مرة أخرى، وأن يعود أكثر هيبة وقدرة على مواجهة تحديات فترة الانتقال. وحتى الأعضاء السابقين في التحالف، قالوا إن عودتهم ممكنة، لكنهم وضعوا شروطاً، يرون أنها قد تصحح من مسار قوى الحرية والتغيير.

وكان الحزب الشيوعي أعلن عن خروجه من كل التحالفات السياسية التي جمعته قبل سقوط النظام السابق، وبرر خروجه بما اسماه انحراف الحرية والتغيير عن مسارات البرنامج المعلن في كانون الثاني/يناير 2019 وبرزت مطالبات بعودته إلى الحاضنة أبرزها الدعوة التي وجهها حزب الأمة إلى الشيوعي، وبالنسبة للحزب الشيوعي وحسب ناطقه الرسمي، فإن قضيته ليست في الهيكلة أو عقد مؤتمر عام لانتخاب مجلس مركزي، إنما تنفيذ ما تم الاتفاق عليه قبل سقوط النظام السابق.

وقال الناطق الرسمي باسم الحزب الشيوعي فتحي الفضل لـ«القدس العربي» إن الإعلان السياسي الأخير هو بمثابة لملمة ما تبقى من الحرية والتغيير وقد يكون مدخلا لتحالف جديد بين الأحزاب الموقعة على الإعلان. ويرى الفضل ان الإعلان السياسي لن يكون مخرجا لسيطرة العسكريين داخل حكومة الفترة الانتقالية، وشدد على ان المكون العسكري باسط سيطرة الكاملة على كل مفاصل حكومة الفترة الانتقالية، وان القوى المدنية عاجزة وخاضعة، وأشار إلى للإملاءات التي حدثت بين قيادات في الحرية والتغيير مع قيادات إماراتية. مشيرا إلى انها هي التي سمحت بسيطرة العسكريين على الحكم والإمساك بملف العلاقات الخارجية والذي نتجت عنه المباحثات مع الإسرائيليين. وقطع الفضل بان الملف الاقتصادي ظل تحت قبضة العسكريين وبموافقة وإذعان الجانب المدني ولن تتم أي محاولات لفك هذه القبضة.

ميديا

«حرب معنويات» بين الفلسطينيين والاحتلال على شبكات التواصل بعد عملية «نفق الحرية»

لندن – «القدس العربي»:

أشعلت عملية «نفق الحرية» التي تمكن بفضلها ستة أسرى فلسطينيين من تحرير أنفسهم من قيود سجن جلبوع الإسرائيلي، أشعلت صراعاً إعلامياً على شبكات التواصل الاجتماعي بين رواية الاحتلال والرواية الفلسطينية، كما نبهت إلى الحجم الكبير للشائعات التي يطلقها الإسرائيليون والتي يتورط في تداولها كثير من الفلسطينيين.

واستنفر الفلسطينيون على شبكات التواصل الاجتماعي وعبر مواقع الإنترنت من أجل تفنيد بعض الادعاءات الإسرائيلية التي رأى فيها البعض محاولة لضرب الروح المعنوية في أوساط الفلسطينيين بمن فيهم الأسرى أنفسهم الذين ارتفعت الآمال في أوساطهم بعد عملية «نفق الحرية» والذين عادت قضيتهم إلى الواجهة مجدداً بعد أنباء الهروب الذي نفذه الأسرى الستة في سجن جلبوع.

وبدا الصراع الإعلامي في ذروته بعد أن أعلنت قوات الاحتلال الإسرائيلي أنها تمكنت من إعادة اعتقال اثنين من الأسرى المحررين في مدينة الناصرة العربية داخل الأراضي المحتلة عام 1948 وبعدها بساعات قليلة أعلنت الوصول إلى اثنين آخرين في المدينة نفسها وأعادت اعتقالهما، فيما كانت موجة تعليقات وشائعات قد اشتعلت على شبكات التواصل الاجتماعي.

وتداول الفلسطينيون شائعة إسرائيلية مفادها أن عائلة فلسطينية من الناصرة هي التي أبلغت الشرطة الإسرائيلية بمكان الأسرى، وهو ما تبين سريعاً بأنه غير صحيح، فضلاً عن أنه لم يرد في رواية رسمية إسرائيلية وإنما تم بثه عبر وسائل إعلام عبرية وحسابات مجهولة على شبكات التواصل. أما الشائعة الأخرى التي انتشرت على شبكات التواصل فهي صورة لشرطي إسرائيلي يقول أصحاب الشائعة إنه «عربي درزي» وإنه الذي نفذ عملية الاعتقال، وهو ما تبين أيضاً أنه غير صحيح، لا بل تبين أن الشخص في الصورة اسمه مختلف عن الاسم المزعوم، أي أن صاحب الشائعة لا يعرف اسم الشرطي أصلاً.

أما الشائعة الأخطر التي تمكن الفلسطينيون من اكتشافها فهي أن الصورة للشاب الفلسطيني عماد الدين يونس جبارين، وهو ابن مدينة أم الفحم، وقد اعتقل عقب تظاهرة تضامنية مع الأسرى على مدخل مدينته.

وأضافت الشبكة المتخصصة: «الخبر الذي تضمن اسم وصورة قيل إنها لشرطي درزي يخدم في صفوف قوات الاحتلال، هو أيضا خبر غير دقيق والاسم في الخبر مختلف تماما عن الاسم المكتوب على سترة الشرطي في الصورة المرفقة مع الخبر». كما انتشر فيديو «قيل إنه لحرق منزل الذي بلّغ عن الشابين، مع حديث عن إلقاء قنابل وإطلاق رصاص، وهو ما نفاه نشطاء من الناصرة لتيقن».

ولفتت الشبكة أيضا إلى انتشار مقطع فيديو «قيل إنه للحظة هجوم قوات الاحتلال على الشابين واعتقالهما، ولكنه في الحقيقة غير صحيح حيث نشر موقع الجرمق الإخباري المختص بأخبار الداخل المحتل الفيديو مع خبر اعتقال شاب في أم الفحم، في حين خبر اعتقال الأسيرين اللذين انتزعا حريتهما كان يتحدث عن منطقة في الناصرة» بحسب المنصة.

وأضافت: «انتشرت أخبار تفيد بأن عائلة فلسطينية من مدينة الناصرة قد بلّغت عن الأسيرين المحررين، وأنهما كانا في وضع سيئ بلا مأوى ولا طعام ولا شراب، وهذه رواية لا يوجد تأكيد لها ولا يمكن التحقق من صحتها من الإعلام العبري، كما أنها تُخالف المنطق؛ حيث إن هيئة الشابين لا تُوحي بأنهما على الحال الذي وُصفا به».

كما فندت «تيقن» خبرا يفيد بأن مصدرا في الشاباك قد صرّح بأن المعلومة الذهبية التي دلت على الأسيرين، كانت عند اكتشاف اتصال بينهما مع قيادي كبير في غزة، وهذا الخبر لم يعثر فريق الترجمة العربية في «تيقن» على أي مصدر له.

ونوهت الشبكة إلى أن الفلسطينيين في الداخل المحتل «نظموا فعاليات جماهيرية داعمة للأسرى الستة وباقي الأسرى في سجون الاحتلال، وقُبيل دقائق من اعتقال الأسيرين كانت أراضي الداخل المحتل تشهد 3 فعاليات جماهيرية على الأقل في حيفا وأم الفحم وعكا لنصرة الأسرى».

وختمت الشبكة بالقول؛ إن «الإعلام العبري حين يتناقل روايات معينة لا يعني ذلك أنها روايات حقيقية، والحقيقة الوحيدة الثابتة في هذه الحكاية، أن الأسرى الستة حققوا إنجازاً يفوق التصور البشري، وانتزعوا حريتهم بعد أن حفروا باطن الأرض».

حرب على المعنويات

ويقول ناشطون فلسطينيون؛ إن الاحتلال يتعمد بث أكاذيب لاستغلال مشهد اعتقال الأسيرين، ومحاولة تشويه مشهد إذلالهما لأجهزته الأمنية والعسكرية، وذلك في محاولة لضرب المعنويات المرتفعة في أوساط الفلسطينيين.

وقال الأسير المحرر أمير مخول في تدوينة على «فيسبوك»: «صورة مؤلمة. حرب على معنوياتنا – حرب على معنويات الشعب. لن تنحفر صورة في الوجدان الفلسطيني ولا في الإخفاق الإسرائيلي، كما هي صورة فتحة نفق الحرية، المسعى الإسرائيلي الحالي هو احتلال معنويات شعبنا الفلسطيني، وزرع الشك والشقّ بين مكوناته في الداخل وفي الضفة والقطاع. لكن المعنويات والإرادة هي ملك أصحابها فقط. لا يمكن للأسرى حين خططوا تحرير أنفسهم إلا وأخذوا بالحسبان كل الاحتمالات وفي مقدمتها الحريّة وبذات المدى الشهادة، وكذلك إلقاء القبض عليهم أحياء».

وكتب الناشط عمار قنديل من الناصرة: «ما في أي نية تصديق رواية الشرطة بهاي البساطة، هي محاولة لتسخيف الحدث قدام الفشل، ومحاولة لتصغير البطولة قدام العجز! عملاء وجواسيس وهبل موجودين بكل محل، بالناصرة وغير الناصرة، فش اشي بتخبي، كله بين. السخف طبعاً ربط الموضوع بالبلد، أو بالسياسة الداخلية وتاريخ البلد. وفي حال كانت رواية الشرطة صحيحة، وزر الإخبارية يتقع على صاحبها، لا حارته، لا بلده ولا عيلته! من مصلحة الشرطة زرع صورة عمالة من جهة وذل للأسرى من جهة، لا تكونوا أسرى لفخ الشرطة. الحرية لأسرى الحرية».

وكتبت المرابطة هنادي الحلواني: «نعم، ألقي القبض على أربعة من أبطالنا، ولكنّ هذا لا يغيّر من بسالة المشهد وعظمة البطولة المكتنفة فيه! المشهدُ الحقيقي هو أن هناك ستة من الغُزّل خرقوا منظومة أمن لكيانٍ يرى نفسه الدولة الأقوى، وترى في جيشها جيشاً لا يقهر. ستة من الأبطال أثبتوا أن هذه القوّة التي تروّج لنفسها الخرافات ما هي إلا قوّة كرتونيّة هشّة تكسر بإرادة مناضلٍ واحد. ستة من أبطالنا علّموا الاحتلال درساً لن ينساه، وعلّمونا ألف درس في النضال، والبسالة، واليقين، والمقاومة. لا تجعلوا الاحتلال يزحزح عظمة هذه الصورة ويكسر جلال هذا المشهد. واحتفوا بأبطالكم».

أما الناشط أسامة برهم فكتب يقول: «روايتان يتم تسويقهما؛ الأولى: كانا جائعين، وحيدين، وأبلغ عنهما شخص عربي. العبرة المطلوبة: لا تهرب من سجنك، ستموت جوعا ووحدة وخيانة، لن تجد لك ملجأ كزنزانتك. الثانية: لم يبلغ أحد عن زكريا وصديقه، بل هناك وحدة تعقب مميزة ترصد حجم الحذاء وشكله وتطارد علبة السجائر الفارغة الملقاة في أرض بور. العبرة المطلوبة: إعادة الهيبة لأجهزة أحرجها النفق وهزمتها الملاعق، وتذكير كل واحد منا أننا تحت المجهر، حتى لو كنا بلا هواتف ذكية، وتسويق لجهاز استخباراتي جديد وتحذير للذين بالأسر وخارج الأسر. باختصار، هزمهم الستة على الأرض وهزمونا بالإعلام الموجه، ونحن ننقل الرواية من دون وعي. ربنا معهم».

وكتب الناشط أحمد المغربين: «ليس صحيحاً أنهم استجاروا بعائلة عربية فسلمتهم، وليس صحيحاً أن عربياً أبلغ عنهم.. الرواية الإسرائيلية الكاذبة ليست سوى محاولة لتفتيت الشعب الفلسطيني وبث الفتنة بعد (هبة رمضان) التي وحّدت الفلسطينيين في كل مكان لأول مرة». وأضاف: «هدفان لرواية الاحتلال الكاذبة؛ أولاً، إظهار فلسطيني الـ48 على أنهم مؤيدون لدولة الاحتلال ورافضون للمقاومة، وثانياً، التمويه على الطريقة الحقيقية المستخدمة في الوصول لهؤلاء الأسرى الاثنين حتى لا يتنبه الأربعة الباقون».

وكتب الصحافي الفلسطيني محمود أبوطاقية: «الجميع منتصر؛ وعلى رأسهم أبطال الليلة، إلا ذلك صاحب الوعي المهتز، والذي رغم مرور السنوات والتجارب ما زال ينطق بلسان افخاي ومنطقه».

أما الصحافي عز الدين أحمد غفرد: «لا لتهويل حجم الألم باعتقال أبطال نفق الحرية ولا لتهوين إنجاز كسر عين الاحتلال ومنظومته الأمنية.. الحرب سجال ومعركة الحرية طويلة».

وغرد الناشط يوسف بكر: «القبض على جميع الأسرى الستة أمر متوقع وغير مستبعد نتيجة عوامل عديدة تتعلق بالجغرافيا والديموغرافيا ووجود الاحتلال على الأرض الفلسطينية.. الأهم من ذلك حفظ صورة الأحرار في أذهاننا».

اتساع دائرة الاعتقالات والمضايقات ضد الصحافيين في الجزائر

لندن – «القدس العربي»:

اتسعت دائرة الاعتقالات التي تستهدف الصحافيين في الجزائر، كما زادت وتيرة المضايقات التي يتعرضون لها من قبل أجهزة الأمن، حيث واصلت قوات الأمن اعتقال المزيد منهم خلال الأيام الماضية وتوجيه مزيد من الاتهامات لإعلاميين وصحافيين على الرغم من الانتقادات الدولية.

وخلال الأسبوع الماضي اعتقلت قوات الأمن الجزائرية اثنين من الصحافيين، أحدهما تم توجيه اتهامات له بينما لا تزال ظروف اعتقال الثاني غامضة.

وبحسب المعلومات التي جمعتها «القدس العربي» فقد أمرت محكمة جزائرية بوضع الصحافي حسن بوراس رهن الحبس الاحتياطي، بعد أن اتهمته بـ«الانتماء إلى منظمة إرهابية وتمجيد الإرهاب والتآمر ضد أمن الدولة بهدف تغيير نظام الحكم»، بحسب ما قال أحد محاميه.

والصحافي بوراس أودع الحبس بعدما استمع إليه قاضي تحقيق في محكمة سيدي محمد بالجزائر العاصمة، كما أنه يُحاكم أيضا بتهمة «استخدام وسائل تقنية وإعلامية لتجنيد أفراد ضد سلطة الدولة» حسب المحامي.

وكانت السلطات الجزائرية اعتقلت بوراس في 6 أيلول/سبتمبر الماضي وفتشت منزله لأسباب مجهولة، حسبما أعلنت الرابطة الجزائرية لحقوق الإنسان التي ينتمي إليها.

وكان حكم أيضا على بوراس في 2016 بالسجن لمدة عام لإدانته بتهم «المشاركة في إهانة قاض والمشاركة في إهانة رجال القوة العمومية والمشاركة في إهانة هيئة نظامية».

وفي وقت لاحق، اعتقلت قوات الأمن الصحافي الجزائري محمد مولوج الذي يعمل في جريدة «ليبرتي» الناطقة بالفرنسية بعد أن قامت بتفتيش منزله والعبث في محتوياته.

وأفادت «الرابطة الجزائرية للدفاع عن حقوق الإنسان» أنه «تم توقيف الصحافي محمد مولوج العامل في يومية ليبرتي مع تفتيش بيته الأحد في الجزائر العاصمة. ما زال موقوفاً تحت النظر».

وبينما لم يصدر أي تعليق عن الصحيفة التي يعمل فيها منذ نحو 10 سنوات، أكد زميله الصحافي علي بوخلاف خبر التوقيف، لكن من دون توضيحات أكثر.

ونقلت وكالة الصحافة الفرنسية عن بوخلاف قوله، إنه سبق لمولوج البالغ 42 سنة أن «تعرّض قبل عدة سنوات لمشكلات مع الأجهزة الأمنية التي حرمته جواز سفره لعدة أشهر. كذلك اعتُقل عدة مرات».

والشهر الماضي، أصدرت محكمة جزائرية حكماً بالسجن لمدة عام كامل مع وقف تنفيذ أربعة أشهر، والأخذ في الاعتبار المدة التي قضاها، ليتبقى له أربعة أشهر عليه قضاؤها خلف القضبان، حيث كانت السلطات الجزائرية قد ألقت القبض تمنراست في جنوب الجزائر بحسب ما نشرت صحيفة «ليبرتي» التي يعمل كراش مراسلاً لها.

وأفادت «ليبرتي» بأن محكمة تمنراست قضت بسجن رابح كراش لمدة عام مع وقف التنفيذ أربعة أشهر، والأخذ في الاعتبار المدة التي قضاها، ليتبقى له أربعة أشهر عليه قضاؤها خلف القضبان، حيث كانت السلطات الجزائرية قد ألقت القبض عليه في نيسان/أبريل الماضي.

وأدانت المحكمة كراش بتهم «إنشاء وإدارة حساب إلكتروني مخصص لنشر معلومات وأخبار من شأنها إثارة التمييز والكراهية في المجتمع» و«الترويج العمدي لأخبار وأنباء كاذبة أو مغرضة بين الجمهور» و«العمل بأي وسيلة كانت على المساس بسلامة وحدة الوطن».

وأودع كراش الحبس في 19 نيسان/أبريل الماضي احتجاج للطوارق، استنكروا فيه مصادرة أراضيهم لصالح ولايتي جانت وإليزي اللتين أنشئتا حديثاً في ظل تقسيم إداري جديد.

يذكر أن الجزائر تحتل المرتبة 146 من أصل 180 بلداً بحسب التصنيف العالمي لحرية الصحافة الصادر عن منظمة «مراسلون بلا حدود» للعام الحالي 2021.

عشر منظمات حقوقية تستنكر إحالة كاتب مصري لـ«أمن الدولة» بسبب مقال

لندن – «القدس العربي»:

أحالت نيابة أمن الدولة في مصر الكاتب والباحث باتريك جورج زكي إلى المحاكمة أمام محكمة طوارئ عسكرية بسبب مقال رأي كتبه قبل عامين، وهو ما دفع عشر منظمات حقوقية إلى إصدار بيان تستنكر فيه هذه المحاكمة وتدعو إلى التراجع عنها من أساسها.

وباتريك جورج زكي هو باحث وكاتب في المبادرة المصرية للحقوق الشخصية، حيث مثل يوم الثلاثاء الماضي أمام محكمة جنح أمن الدولة (طوارئ) قسم ثاني المنصورة، بموجب المادتين 80 (د) و102 مكرر من قانون العقوبات. ووفقًا لما صرحت به نيابة أمن الدولة، فإن الاتهام يستند إلى مقال بعنوان «تهجير وقتل وتضييق: حصيلة أسبوع في يوميات أقباط مصر» نشره باتريك في تموز/يوليو 2019 على موقع «درج» الصحافي. ويتناول المقال أسبوعاً في حياته كمسيحي مصري يتلقى أخبارا تخص أوضاع المسيحيين المصريين كشأن خاص وعام في آن واحد.

وقالت المنظمات العشر الموقعة على بيان الادانة، والذي تلقت «القدس العربي» نسخة منه، «إن إحالة باتريك للمحاكمة أمام محكمة استثنائية لا يجوز الطعن على أحكامها، وبتهمة نشر مقال صحافي يحكي فيه وقائع حياته كمصري مسيحي، تأتي بعد 19 شهر من الحبس الاحتياطي بلا مبرر قانوني وبلا تحقيقات، هو تأكيد أن السبب الوحيد لحرمانه من حريته منذ القبض عليه في شباط/فبراير 2020 هو ممارسته المشروعة لحرية التعبير عن رأيه دفاعاً عن حقوقه وحقوق كل المصريين، وخاصة الأقباط منهم، في المساواة والمواطنة الكاملة».

وأضافت: «إن المنظمات الموقعة تدين هذا الاعتداء الجديد على باتريك جورج زكي، وتراه اعتداءً على حقوق المصريين جميعاً في التعبير وحقوق المسيحيين في مصر خاصة في المطالبة بحقهم في المساواة قانونيًا ومجتمعيًا، إعمالًا لحقهم الأصيل في المواطنة».

وقالت المنظمات العشر: «لا تغيب عن أحد المفارقة الفجة في صدور قرار محاكمة باتريك الاستثنائية في اليوم التالي مباشرة لإطلاق استراتيجية الدولة لحقوق الإنسان، في احتفالية تحدث فيها رئيس الجمهورية بإسهاب عن حرية الدين والمعتقد وحرية الرأي والتعبير والحق في المساواة».

علوم وتكنولوجيا

فحص دم خارق يكشف 50 نوعاً من السرطان

لندن ـ «القدس العربي»:

بـدأت هيئة الصحة الوطنية «NHS» التابعة للحكومة في بريطانيا الأسبوع الماضي أكبر تجربة في العالم لاختبار الدم وهو اختبار من شأنه الكشف عن أكثر من 50 نوعاً من السرطان، وهو ما يمكن أن يشكل ثورة حقيقية في مجال الكشف المبكر عن المرض الخبيث.

ويحمل الاختبار الجديد اسم «غاليري الرئيسي» وهـو من إنتـاج شركة غريل التي قالت إنـه يمكن استخدامه في اكتشاف أكثر من 50 نوعا من السرطان قبل ظهور الأعراض. ويفحص اختبار غاليري الحمض النووي «دي. إن.إيـه» في دم المريض لتحديد ما إذا كان مصدر أي منه خلايا مصابة بالسرطان. ويؤدي التشخيص المبكر لمرض السرطان لزيادة معدلات الشفاء بشكل كبير.

وقالت هيئة الصحة الوطنية إنها تريد 140 ألف متطوع في إنكلترا لترى مدى كفاءة الاختبار كجزء من تجربة مراقبة عشوائية. وسيتم على الفور فحص عينات الدم لنصف المشاركين باختبار جاليري.

وقـال بيتر ساسيني أستاذ الوقاية من أمراض السرطان في جامعة كينغز كوليدج لندن: «نحتاج لدراسة اختبار غاليري بدقة لمعرفة ما إذا كان يخفض عدد الإصابات بالسرطان التي يتم تشخيصها في مرحلة متأخرة بصورة كبيرة».

وأضاف: «يمكن أن يُحدث الاختبار تغييرا هائلا في الاكتشاف المبكر للسرطان ونحن متحمسون لكوننا الرواد في هذا البحث المهم».

ويُعد سرطان الرئة حتى الآن هو السبب الأكثر شيوعا للوفاة بمرض السرطان في المملكة المتحدة حيث يقف وراء خُمس الوفيات بسبب السرطان. وقالت هيئة الصحة الوطنية إن سرطان الرئة والأمعاء والبروستاتا والثدي مسؤول عن 45 في المئة من الوفيات الناتجة عن مرض السرطان في المملكة المتحدة.

وقالت شركة إلومينا الأمريكية الشهر الماضي إنها أكملت الاستحواذ على غريل بصفقة قيمتها 7.1 مليار دولار. وقالت إلومينا إنها ستُشغل غريل على نحو منفصل عن شركتها الحالية.

ويبذل العلماء والأطباء جهودا مضنية من أجل التوصل إلى طريقة للكشف المبكر عن السرطان، وهو ما يزيد من فرص العلاج بشكل كبير، حيث تنخفض فرص التعافي بعد انتشار الأورام السرطانية في جسم المريض.

وكان علماء في نيوزيلندا نجحوا في العام 2019 باستحداث عمليات فحص متطورة يمكنها أن توفر كشفاً أسهل وأسرع وأبكر عن الأورام السرطانية، حيث تمكنوا من استخدام الأشعة السينية الملونة الحديثة التي تفحص جسم الإنسان للوصول إلى تفاصيل دقيقة ومذهلة.

وطور العلماء النيوزيلنديون تقنية جديدة ستساعد يوما ما الأطباء على متابعة الأورام القاتلة باستخدام ظلال محددة لرسم أجزاء مختلفة من الجسم، حسب ما أوردت جريدة «صن» البريطانية في تقرير لها.

وتأتي الأشعة السينية النموذجية بلون رمادي داكن وغامض، ولكن التقنية الجديدة تكشف الرئتين بلون أحمر والعظام بالأبيض، في حين تكون الأورام السرطانية أو الأمراض الأخرى بلون أخضر أو وردي أو أصفر.

وقال البروفيسور أنتوني بتلر، وهو أحد العلماء الذين يعملون في المختبر النيوزيلندي الذي يحمل اسم «Mars Bioimaging» إن الهدف هو تسهيل عملية الفهم بالنسبة للناس قدر الإمكان.

وتعمل التقنية المعقدة للغاية عن طريق قياس لون، أو طاقة، الأشعة السينية بعد مرورها عبر الجسم، في مستويات طاقة مختلفة مع تعيين كل لون، ومطابقته بعد ذلك لأجزاء الجسم المختلفة. وقال البروفيسور فيل بتلر، الرئيس التنفيذي للمختبر: «نقوم بالكثير من عمليات المعالجة على الكمبيوتر للحصول على صورة ثلاثية الأبعاد لماهية المواد».

علماء يحققون خطوة مهمة في اتجاه الوصول لعلاج الشيخوخة

لندن ـ «القدس العربي»:

تمكن علماء متخصصون من تحقيق اختراق كبير في مجال البحث عن علاج للشيخوخة التي لطالما أعجزت العلم والإنسان، كما وضعوا أيديهم على أول الطريق في مجال الحفاظ على الشباب وإعادة أعضاء الإنسان إلى العمل من دون أن تعاني من الهرم وأعراض الشيخوخة.

وقد يساعد الاكتشاف العلمي الجديد على الحفاظ على «الشباب» وتأخير العوامل الخارجية المرتبطة بالكبر بالسن، بحسب ما أوردت وسائل إعلام غربية.

وخلال بحثهم في الآليات البيولوجية وراء تدهور العظام، توصل العلماء لاكتشاف يمكن أن يساعد في معالجة الحالات المرتبطة بالعمر مثل هشاشة العظام، من خلال تجديد الخلايا الجذعية التي تعتبر أساسية في هذه العملية.

وتوضح الدراسة المنشورة حديثا كيف تؤثر بعض التغييرات على أداء هذه الخلايا الجذعية مع تقدم العمر، ولكنها توضح أيضا كيف يمكن استخدام «أسيتات الصوديوم» لإعادة قدرتها على دفع تطوير مادة عظمية جديدة.

ومن الوظائف الطبيعية للشيخوخة أن أجزاء من جسم الإنسان لا تعمل بالشكل الذي كانت عليه من قبل، وينطبق الشيء نفسه على الخلايا الجذعية الوسيطة في نخاع العظام لدينا.

ومع ذلك، فإن قدرتهم على القيام بذلك تتدهور مع تقدمنا في السن.

وقام العلماء بعزل الخلايا الجذعية الوسيطة، والتي تعرف بخلايا الشيخوخة، من النخاع العظمي للفئران وعلاجها بمحلول مغذي يحتوي على أسيتات الصوديوم، وهي مادة مضافة غذائية شائعة.

وحوّل هذا العلاج الأسيتات إلى لبنة بنائية ترتبط بالإنزيمات بعد ذلك بالهيستونات، مما زاد من الوصول إلى الجينات وعزز نشاطها.

وبذلك يكون العلماء قد توصلوا لاكتشاف ثوري، وهو استخدام الصوديوم لإبطاء شيخوخة العظام، وتقوية بنية الشخص حتى عمر متأخر.

وهذه ليست المرة الأولى التي ينشغل الأطباء في البحث عن علاج للشيخوخة وطريقة للحفاظ على الشباب، حيث سبق أن تمكن فريق علمي في كوريا الجنوبية العام الماضي من اكتشاف إنزيم جديد مضاد للشيخوخة من شأنه أن يطيل عمر الإنسان ويكافح الأمراض المرتبطة بالشيخوخة، وتمت تجربته بنجاح في المختبرات.

وقام الفريق التابع للمعهد الكوري المتقدم للعلوم والتكنولوجيا «KAIST» بتعديل إنزيم مضاد للشيخوخة بنجاح وتجربته على الديدان المخبرية.

وتحكم الباحثون بعمر هذه الديدان المخبرية عن طريق زيادة أو إنقاص نسبة هذه الإنزيمات في أجسامها، ما يمثلا تطورا كبيرا من شأنه أن يفتح آفاقا واسعة في مجال تصنيع العقاقير المؤخرة لأعراض وأمراض الشيخوخة.

ويسمح الإنزيم الذي تم تعديله من قبل الباحثين للديدان المستديرة بتحويل السكر إلى طاقة عندما تنخفض الطاقة الخلوية، واستطاع الفريق إيجاد طريقة للسيطرة عليه.

وبحسب البحث المنشور في مجلة «سيانس أدفانسز» العلمية المتخصصة، فقد نجح العلماء في زيادة أعمار الديدان المستديرة في المختبرات، وهي ديدان خيطية طويلة يتم استخدامها بشكل شائع في الاختبارات المعملية، حيث نجحوا في إطالة أعمارها بعد القيام بعدة تعديلات على البروتينات المشاركة في إنتاج الطاقة في الخلايا.

ثغرة خطيرة في أهم وأشهر برامج «مايكروسوفت»

لندن ـ «القدس العربي»:

اعترفت شركة مايكروسوفت بوجود ثغرة أمنية في برامج الطباعة الشهيرة التي تنتجها «أوفيس» وطلبت من المستخدمين الحذر من هذه الثغرة التي يمكن أن يتم التسلل عبرها إليهم.

وحـذرت الشـركة مـن أن المهاجمين يستغلون بنشاط ثغرة أمنية في تنفيذ التعليمات البرمجية عن بعد باستخدام ملفات «أوفيس 365» وملفات «أوفيس 2019» الضارة عبر «ويندوز 10».

ويكمن الخلل في «MSHTML» وهو محرك عرض المتصفح الـذي تستخدمه أيضاً مستندات أوفيس.

وتؤثر الثغرة الأمنية المعروفة باسم «CVE-2021-40444» في خـوادم متعددة لويندوز، حيث قالت الشركة إنـها تـدرك الهجمات المستهدفة التي تحاول استغلال الثغرة الأمنية من خلال إرسال مستندات أوفيس المعدة خصيصاً للضحايا المحتملين.

وقالت الشركة: «يمكن للمهاجم أن يصنع عنصر تحكم (ActiveX) ضاراً ليتم استخدامه بواسطة مستند أوفيس الذي يستضيف محرك عرض المستعرض. ويضطر المـهاجـم بعد ذلـك إلـى إقناع المستخدم بفتح المستند الضار.

ومع ذلك، يتم إحباط الهجوم إذا كان أوفـيس يعمل بالتكوين الافـتـراضـي، حيث يتم فتح المسـتـنـدات مـن الويب فـي وضـع «Protected View» أو «Application Guard».

ويعتبر وضع «Protected View» بمثابة وضع للقراءة فقط يتم خلاله تعطيل معظم وظائف التحرير، بينما يقوم الوضع الآخر بعزل المستندات غير الموثوق بها، ويمنعها من الوصول إلى موارد الشركة أو الإنترنت أو الملفات الأخرى الموجودة على النظام.

وينسب الفضل إلى الباحثين من عدة شركات للأمن السيبراني في العثور على الثغرة والإبلاغ عنها.

وقـالـت شـركـة «EXPMON» في تغريدة إنها اكتشفت الثغرة الأمنية بعد اكتشاف هجوم معقد للغاية يستهدف مستخدمي أوفيس.

وأعـاد الباحثون في الشركة إنتاج الهجوم عبر أحدث إصدار من «Office 2019» و«Office 365» عبر نظام التشغيل ويندوز 10.

واستخدم المهاجمون ملف «DOCX» وعند فتحه حمل المستند محرك إنترنت إكسبلورار لعرض صفحة ويب بعيدة من جهة التهديد.

ويتم بعد ذلك تنزيل البرامج الضارة باستخدام عنصر تحكم ActiveX محدد في صفحة الويب. كما يتم تنفيذ التهديد باستخدام خدعة تسمى تنفيذ ملف Cpl المشار إليها في إرشادات مايكروسوفت.

ونظراً لعدم توفر تحديث أمني في الوقت الحالي، قدمت الشركة حلاً بديلاً وهـو تعطيل تثبيت كافة عناصر تحكم «ActiveX» في إنترنت إكسبلورار.

التغير المناخي يهدد ملايين البشر وهذا ما سيحدث بحلول العام 2050

لندن ـ «القدس العربي»:

يُشكل التغير المناخي واحداً من التحديات الكبيرة التي تواجه البشرية خلال السنوات المقبلة، كما يُشكل مصدر قلق بالغ للكثير من الحكومات وصانعي القرار بسبب التأثيرات السلبية المتوقعة والتي يُمكن أن تؤدي إلى أن يفقد أعداد كبيرة من الناس حياتهم، كما يمكن أن يؤدي إلى تغيرات كبيرة في الكرة الأرضية.

وأطلق تقرير جديد صادر عن البنك الدولي تحذيراً بالغ الخطورة بشأن التحولات المناخية في العالم، حيث قال إن هذه التحولات التي يشهدها المناخ قد تجبر 216 مليون شخص على مغادرة منازلهم، أو الانتقال من مكان إلى آخر داخل بلادهم بحلول العام 2050 للهروب من الفيضانات وندرة المياه وتراجع إنتاج المحاصيل.

ودعا التقرير الدولي إلى اتخاذ إجراءات فورية لمكافحة تغير المناخ من أجل تجنب الكارثة التي يتوقع أن تحل بالعالم خلال السنوات المقبلة، وذلك بحسب ما نقلت جريدة «دايلي ميل» البريطانية في تقرير اطلعت عليه «القدس العربي».

ووضع التقرير نموذجاً لتأثير ارتفاع منسوب مياه البحر وندرة المياه وانخفاض إنتاجية المحاصيل في ست مناطق، وخلص إلى أن «النقاط الساخنة» للهجرة المناخية ستظهر في أقرب وقت بحلول عام 2030. وقال الباحثون إن أفقر مناطق العالم ستكون الأكثر تضررا، حيث أظهر التقرير أن منطقة أفريقيا وحدها ستضم 86 مليون مهاجر داخلي، و19 مليون آخرين في شمال أفريقيا. كما ستكون منطقة جنوب آسيا موطناً لـ40 مليون مهاجر داخلي، و49 مليوناً آخرين في شرق آسيا والمحيط الهادئ.

وقال التقرير إن مثل هذه التحركات ستضع ضغوطا كبيرة على كل من مناطق الإرسال والاستقبال، مما يؤدي إلى إجهاد المدن والمراكز الحضرية وتعريض مكاسب التنمية للخطر.

وبحسب التقرير فعلى سبيل المثال، يهدد ارتفاع مستوى سطح البحر إنتاج الأرز وتربية الأحياء المائية ومصايد الأسماك، مما قد يخلق بؤرة هجرة خارجية ساخنة في دلتا نهر ميكونغ المنخفضة في فيتنام.

لكن دلتا النهر الأحمر ومنطقة الساحل الأوسط، حيث من المحتمل أن يفر هؤلاء الناس، يواجهون تهديداتهم الخاصة المختلفة، بما في ذلك العواصف الشديدة.

وقال البنك الدولي إن الصراعات والأزمات الصحية والاقتصادية مثل تلك التي أطلقها جائحة كورونا يمكن أن تؤدي إلى تفاقم الوضع.

وقد يكون هذا المهاجرين بسبب المناخ أعلى بكثير لأن التقرير لا يغطي معظم البلدان ذات الدخل المرتفع أو دول الشرق الأوسط أو الدول الجزرية الصغيرة أو الأشخاص الذين يهاجرون إلى بلدان جديدة.

وتشير خريطة الذكاء الاصطناعي التي طورها باحثون في جامعة جنوب كاليفورنيا في عام 2020 إلى أنه في الولايات المتحدة، سيُجبر ما يقرب من 13 مليون أمريكي على الانتقال داخلياً بحلول نهاية القرن الحادي والعشرين.

وسينتقل سكان العديد من المناطق الداخلية من المناطق الساحلية إلى المدن غير الساحلية مثل أتلانتا وهيوستن ودالاس ودنفر ولاس فيجاس.

وكانت دراسة أجريت في أيار/مايو الماضي أظهرت أن تغير المناخ مسؤول عن 37 في المئة من الوفيات الناجمة عن الحرارة على كوكب الأرض كل عام.

وهـذه حـالات وفـاة مرتبطة بالحرارة يمكن في الواقع منعها، حيث قالت آنا فيدسو كابيريرا، عالمة الأوبئة في معهد الطب الاجتماعي والوقائي بجامعة برن «إنه شيء نتسبب فيه بشكل مباشر».

ويقـول الباحثون إن هـذه الخسائر ليست سوى شريحة صغيرة من الخسائر الإجمالية للمناخ في وفيات البشر، حيث يموت المزيد من الناس بسبب الطقس المتطرف الآخـر الـذي تضخمه الاحترار العـالمي، مثل الأعاصـيـر والفيضانات وحرائق الغابات والجفاف.

وقـال كانا كوماري ريغو، أخصائي البيئة الرئيسي بالبنك الدولي والمؤلف المشـارك للتقرير الجـديـد، إن الأرض «محبوسة بالفعل» في قـدر معين من الاحتباس الحراري وأن الهجرة المناخية كـانـت حقيقة حالية وليست مشكلة مستقبلية.

وأضاف ريغو: «علينا خفض أو خفض غازات الدفيئة لتحقيق هدف باريس ، لأن هذه التأثيرات المناخية ستتصاعد وتزيد من حجم الهجرة بسبب المناخ».

ووفـقـاً لصحيفة «نـيـويـورك تايمز» فبدون تغييرات كبيرة سيكون ما يقرب من 20 في المئة من العالم «منطقة ساخنة بالكاد صالحة للعيش بحلول عام 2070».

ويـقـول ريـغـود والمـؤلـفـون الآخـرون إن النتائج التي توصلوا إليها يجب أن يُنظر إليها على أنها دعـوة تنبيه عاجلة للحكومات الإقليمية والوطنية للعمل الآن على الحد من غازات الاحتباس الحراري ، وسد فجوات التنمية ، واستعادة النظم البيئية.

وقالوا إن القيام بذلك يمكن أن يقلل عدد الهجرة هذا بنسبة 80 في المئة إلى 44 مليون شخص.

اقتصاد

عقد نفطي وغازي كبير بين العراق وفرنسا

بغداد ـ «القدس العربي»:

أثار توقيع عقد نفطي وغازي كبير بين العراق وفرنسا قبل أيام، لغطا واسعا في الأوساط الشعبية والسياسية والاقتصادية، بين الترحيب به كونه يسد بعض احتياجات العراق من الطاقة وبين من انتقده لأسباب سياسية، فيما رأى الكثيرون أن فيه فائدة للطرفين.

ويبدو أن نتائج مشاركة فرنسا في مؤتمر بغداد للتعاون الإقليمي الذي عقد مؤخرا، بدأت تظهر سريعا عبر مجموعة مشاريع واستثمارات في مناطق مختلفة من العراق. فقد وقعت وزارة النفط العراقية، الأحد الماضي، عقداً مع مجموعة «توتال إينيرجيز» الفرنسية للاستثمار في مجال الغاز والنفط وفي استغلال الطاقة الشمسية، تبلغ قيمته 27 مليار دولار، للمساهمة في مواجهة أزمة نقص الطاقة المزمنة في العراق. ووقع العقد في مؤتمر صحافي في بغداد، وزير النفط العراقي إحسان عبد الجبار إسماعيل، والمدير التنفيذي للشركة الفرنسية، باتريك بويانيه.

وأعلن الوزير العراقي ان القيمة الإجمالية لهذا العقد الضخم تبلغ 27 مليار دولار، مبينا أنه «أكبر استثمار لشركة غربية في العراق، والتحدي الآن هو تنفيذ المشاريع». وأوضح إسماعيل أن «ثلث أموال الاستثمار ستصرف خلال السبع سنوات المقبلة» مؤكدا ان تكلفة الغاز المستخرج من المشروع الفرنسي يساوي 20 في المئة من سعر الغاز الإيراني. ونوه الوزير إلى «أن دولة العراق لديها أزمة كبيرة في استثمار الغاز والطاقة الشمسية» وأن «هذه المشاريع تعد أكبر مشاريع البنى التحتية التي وقعتها الوزارة خلال العشرين سنة الماضية، وستحدد ملامح الطاقة في البلاد للسنوات المقبلة».

المدير التنفيذي للمجموعة الفرنسية باتريك بويانيه، أكد أن «قيمة رأس المال الأولية التي سيتمّ استثمارها هي 10 مليارات دولار وتصل إلى 27 ملياراً من الأرباح والفوائد المترتبة من المشاريع».

ونقل البيان عن بويانيه قوله إن «هذه الاتفاقات تجسد عودتنا إلى العراق من الباب العريض، البلد الذي ولدت فيه شركتنا عام 1924» وان فرنسا عادت باستثمارات تناهز قيمتها 10 مليارات دولار.

وكان بويانيه قد كتب في تغريدة في كانون الثاني/ يناير الماضي «سعيد لأني في البصرة حيث زرت حقول غاز ونفط» مضيفاً أن «خفض احتراق الغاز ورفع إنتاجه هي أولوية للعراق كما لتوتال. لنعمل معاً».

بنود العقد

وينص العقد على ان تستثمر المجموعة في منشآت «لاستعادة الغاز المشتعل في 3 حقول نفطية» من أجل توليد الكهرباء (السعة الأولية 1.5 غيغاوات، ثم 3 غيغاوات) وبناء محطة للطاقة الشمسية بسعة غيغاوات واحدة لإمداد منطقة البصرة.

والمشاريع الأربعة في العقد هي، تطوير حقل أرطاوي النفطي ومضاعفة إنتاجه بمرة ونصف تقريبا، وإنشاء مجمع غاز أرطاوي بسعة 600 مليون قدم مربع قياسي (مقمق) ومحطة لتجهيز ماء البحر بحجم 7.5 مليون برميل ماء يوميا، ومحطة توليد كهربائية بالطاقة الشمسية تبلغ قدرتها 1000 ميغاواط ، وبكلفة أقل بنسبة 45 في المئة من كلفة إنتاج الطاقة من محطات الطاقة الحالية، وفق بيان لرئاسة الوزراء العراقية.

والمشروع الآخر هو «استثمار الغاز من الحقول التي تقع خارج شركة غاز البصرة، بمجموع كلي يصل إلى 600 مليون قدم مكعب قياسي باليوم» يساهم في تقليل استيراد الغاز. وأكدت المصادر إن «العراق لن يدفع أي شي، فهذه تكاليف مستردة، بعد تشغيل المشاريع».

ومعروف ان المجموعة الفرنسية التي كانت تسمّى «توتال» تعد واحدة من أكبر خمس شركات للطاقة في العالم، وأعادت تسمية نفسها بـ«توتال إينيرجيز» في إشارة إلى تنويعها في الاستثمار بمصادر طاقة نظيفة. وهي موجودة في العراق منذ عام 1920 في استكشاف واستخراج المنتجات النفطية مع إسهامات في الإنتاج في حقول حلفايا في ميسان جنوباً، كما تستثمر أيضاً في حقول سرسنك وحرير وسفين في إقليم كردستان، إضافة إلى تصدير سلع وخدمات إلى العراق.

وقد ساهمت زيارة الرئيس الفرنسي مانويل ماكرون إلى العراق مؤخرا للمشاركة في مؤتمر للتعاون الإقليمي وقيامه بجولات في بغداد وأربيل والموصل، في التسريع بتوقيع العقد النفطي الجديد مع الحكومة العراقية، حيث أكد ماكرون خلال الزيارة عزم بلاده الاستثمار وتنفيذ المشاريع وإعادة الإعمار في العراق.

وتحتضن الأراضي العراقية، احتياطات هائلة من الغاز والنفط، وهو ثاني منتج للنفط بحسب منظمة الدول المصدرة للنفط أوبك، لكنه يواجه أزمة طاقة كهربائية حادة مزمنة، حيث تشهد البلاد انقطاعات متكررة للكهرباء لا سيما خلال الصيف الحارق حين تتجاوز الحرارة 50 درجة.

وينتج العراق حاليا 16 ألف ميغاواط من الكهرباء، فيما حاجته تقدر بـ24 ألف ميغاواط والتي تصل إلى 30 ألفاً في فصل الصيف، ويقوم العراق حاليا بسد النقص باستيراد الكهرباء والغاز من إيران. فيما تتوقع الأمم المتحدة ان عدد سكان العراق قد يتضاعف بحلول عام 2050 ما يعني ازدياد استهلاكه للطاقة.

ويعتمد العراق حاليا بشدة على جارته إيران التي يؤمن منها ثلث احتياجاته من الغاز والكهرباء، إلا ان إيران تعمد إلى قطع امدادات الكهرباء والغاز عن العراق بين آونة وأخرى لأسباب فنية أو سياسية، ما يؤدي إلى نقص حاد مزمن في الطاقة الكهربائية والغاز الذي يشغل محطات توليد الكهرباء.

ويقدر الاحتياطي الطبيعي من الغاز بـ132 ترليون قدم مكعب، وهو يحتل المرتبة 11 عالميا بالنسبة لاحتياطيات الغاز، لكنه يقوم بإحراق ما يعادل 62 في المئة من إنتاجه من الغاز، حيث يشير البنك الدولي إلى ان العراق يحتل المرتبة الثانية في العالم في إهدار الغاز المصاحب لاستخراج النفط، نتيجة سوء إدارة الثروة النفطية وإهدار ثروة من الغاز تقدر قيمتها بمليارات الدولارات، وذلك لأسباب سياسية منها رغبة حكومات بغداد، المقربة من طهران، مساعدة إيران من خلال استيراد الغاز منها ودفع عوائد تقدر بملايين الدولارات سنويا، والتي تساهم في تخفيف العقوبات الدولية عليها.

بين الترحيب والرفض

المؤيدون للعقد الفرنسي اعتبروه أحد الحلول لأزمة الطاقة المزمنة إضافة إلى انه يندرج ضمن محاولات فك قيود إيران على الاقتصاد العراقي.

وقد حرصت الحكومة العراقية على إبراز فوائد التعجيل في إنجازها، والعمل على زيادة مساحة الاستثمار في هذا المجال» مشيرا إلى أهمية العقود المبرمة مع شركة توتال العالمية، التي تشكل إضافة كبيرة في صناعة الطاقة في العراق، ومن أجل الحفاظ على البيئة النظيفة.

وفي المقابل، كانت ردود أفعال إيران وحلفاءها في العراق من قوى شيعية وميليشيات، غير مرحبة بنتائج زيارة ماكرون إلى العراق ومحاولة تنفيذ مشاريع ستلحق الضرر بمصالح إيران ونفوذها. إذ شنت وسائل الإعلام الإيرانية حملة انتقادات للدور الفرنسي في العراق وعدته امتدادا لدور الولايات المتحدة وحلف الناتو.

بل ان زعيم ميليشيا بدر المقربة من إيران هادي العامري، انتقد تصريحات الرئيس الفرنسي باستمرار بقاء القوات الفرنسية في العراق حتى بعد الانسحاب الأمريكي، محذرا «ستُخرج قواتك من العراق لأن القرار ليس قرارك» رغم ان وجود القوات الفرنسية والتحالف الدولي، يتم بموافقة حكومة بغداد، ويساهم في محاربة تنظيم «داعش».

وهاجم نواب الكتلة الشيعية الاتفاق بحجة ان هذا العقد يشبه جولات تراخيص استثمار النفط المشبوهة ويستغرق مدة طويلة (25 سنة) وهذا يعني «أن شركة توتال إينيرجيز ستبقى تحصل على أرباح طائلة طيلة مدة العقد» متهمين «جهات فاسدة في وزارة النفط بالاستفادة أيضاً من هذا العقد». فيما شنت أحزاب ولائية، حملة في مواقع التواصل الاجتماعي ووسائل الإعلام، بأن حكومة الكاظمي حكومة تصريف أعمال ولا يحق لها توقيع عقد بقيمة 27 مليار دولار لتطوير المواقع النفطية في البلاد.

ويرى المراقبون ان العقد الفرنسي لا يخرج عن إطار جهود عراقية وأمريكية ودولية للبحث عن بدائل تغني العراق عن الاعتماد على الطاقة الإيرانية، وتندرج ضمن ذلك تحركات حكومة مصطفى الكاظمي، لعقد اتفاقيات الربط الكهربائي للعراق بدول الخليج العربي والأردن ومصر وتركيا، بمباركة أمريكية.

من المؤكد ان مساعي فرنسا لسد فراغ الانسحاب الأمريكي من العراق لن تكون رحلة يسيرة، بسبب عدم ترحيب إيران والقوى الحليفة لها المتحكمة بالحكومة، بالتحرك الفرنسي أو أي تواجد أجنبي منافس للنفوذ الإيراني في العراق، في وقت تحرص فيه طهران على استمرار اعتماد العراق عليها، باعتباره بابا لتوفير موارد مالية كبيرة تعينها في ضائقتها الاقتصادية الخانقة، إضافة إلى اعتباره جانبا أساسيا في المشروع الإيراني لربط اقتصاد البلدين.

رهان الأمم المتحدة 2030: الاقتصاد الأخضر والتنمية المستدامة

فؤاد الصباغ

يمثل الاقتصاد الأخضر اليوم البديل الحيوي للاقتصاد التقليدي والعمود الفقري للتنمية المستدامة بحيث يسهل الحركة في الأسواق العالمية وينشط المبادلات التجارية اليومية. ويعتمد هذا النوع من الاقتصاد بالأساس على الطاقات المتجددة والتي في مجملها تمثل الثروة الحقيقية للبلدان غير النفطية وذلك بأقل تكلفة وبمردودية إنتاجية عالية. كما تسمح التقنيات الحديثة في مجال التكنولوجيات والتجديد بتفعيل دور الابتكار في مجال المشاريع التنموية ذات الجودة العالية من خلال استعمال الأنظمة التي تحد من التلوث البيئي وتخلق سوقا إنتاجية كبرى. إن الاقتصاد الأخضر يعد من أبرز الركائز الداعمة لمختلف الأنشطة الاقتصادية والتي تساهم في تقليص نسبة الإنبعاثات الحرارية والمعروفة بالاحتباس الحراري. ومنذ قمة كيوتو العالمية أصبح الشغل الشاغل للحكومات العالمية البحث والتجديد لإيجاد بدائل تحد من التلوث البيئي وتخلق نوعية جديدة من الاقتصاد الصناعي الذي يكون مساهما جديا في المشاركة للحد من الاحتباس الحراري العالمي. إن الدول المتقدمة في معظمها أصبحت تولي اهتماما بالغا للاقتصاد الأخضر وذلك من خلال المؤتمرات والقمم العالمية المتتالية منذ قمة ريو دي جانيرو في البرازيل سنة 1992 الذي قصد الحد من نسبة التلوث والإحتباس الحراري وأيضا الحوافز المالية الهامة من قبل بعض المنظمات العالمية ومن أهمها منظمة الأمم المتحدة وذلك للتشجيع على بعث مشاريع صديقة للبيئة. ففي هذا الإطار نذكر برامج الابتكار في الطاقات المتجددة مثل الطاقة المائية والحرارية والشمسية والهوائية والتي تعد في مجملها العنصر الهام الذي يساهم إيجابيا في تقليص نسبة التلوث البيئية العالمية وخلق مناخ استثماري جديد بديل عن الطاقات التقليدية مثل الغاز والنفط. فعلى سبيل المثال تعتبر فرنسا الدولة الأكثر تطورا في هذا المجال البحثي والتجديدي في الاقتصاد الأخضر، إذ اعتمدت مؤخرا على بنية جديدة في منظومتها الاقتصادية التي تولي اهتماما كبيرا للمشاريع صديقة البيئة، نذكر منها مشاريع رسكلة النفايات وإعادة تدويرها ومنها مخلفات استعمال الإطارات المطاطية عبر تحويلها إلى مواد أولية. أيضا رسكلة الأوراق المدرسية والإدارية والقوارير البلاستيكية وعلب المشروبات الغازية والزجاجات البلورية. أما أهمها فهو تحويل القمامة إلى مواد طبيعية وسماد عضوي يستعمل لتسميد الأراضي الزراعية والأهم من كل ذلك تحويل تلك النفايات وبعض النباتات والبذور إلى بيترول طبيعي يعرف بالبيوديزال. بالتالي يعتبر الاقتصاد الأخضر المستقبل الأنجع عالميا نظرا لجمعه بين جميع مواصفات المردودية المالية و الربحية و أيضا التوفيق بين الاستثمار الناجح و الحفاظ علي بيئة خضراء.

ويمثل التعاون الدولي بين دول شمال وجنوب المتوسط إنجازا مهما من أجل تعزيز الشراكة الأورومتوسطية وخلق فضاء صناعي متطور يعتمد بالأساس على الطاقات المتجددة والتي تساهم بدورها إيجابيا في تقليص نسبة الاحتباس الحراري ومن جانب آخر تساعد على تحقيق سوق للمنافسة الاقتصادية تجلب مداخيل مالية إضافية هامة لميزانية الدول المشاركة في برنامج دعم الاقتصاد الأخضر. أيضا يساهم هذا الاقتصاد في دعم المجال الفلاحي من خلال بيئة خالية من السموم تحمي التربة من الإنجراف وتستغل فيها النفايات كمواد عضوية للتسميد.

إن التقدم في هذا المجال يتطلب العمل على نشر الوعي لدى المواطنين من أجل جمع الفضلات المنزلية مثل القوارير الزجاجية والبلاستيكية والمعدنية أو البطاريات الإلكترونية أو قمامة الخضروات وفرزها وتوزيعها ثم بيعها بمقابل مالي رمزي لبعض الشركات المختصة في الغرض والتي تقوم بتدويرها وإعادة إنتاجها. بالتالي تتحول تلك الشركات من مستهلك للمواد الأولية للإنتاج إلى مستهلك للفضلات المنزلية وإعادة رسكلتها و تدويرها وإنتاج منها منتجات جديدة ذات قيمة مضافة عالية الجودة ترفع من القدرة التنافسية في الأسواق المحلية أو العالمية. أما في المجال الإلكتروني فقد إزدهرت خلال العشرية الماضية صناعة سيارات التسلا مما يعزز بالنتيجة من تواجد التكنولوجيا النظيفة لحماية البيئة وتقليص نسب التلوث الهوائي. عموما يساهم الاقتصاد الأخضر بصفة ناجعة في تحقيق نسب نمو اقتصادية محترمة ويخلق فرص عمل وأيضا يحقق أهداف التنمية المستدامة لسنة 2030 بطريقة فعالة وذات مردودية إنتاجية عالية ويضمن بيئة خضراء نظيفة وخالية من إنبعاثات سموم الغازات. فالأمم المتحدة أصبح اليوم شغلها الشاغل هو خلق توازن بيئي وصناعي يحد من التلوث البيئي ويقلص من نسبة الإحتباس الحراري والتغير المناخي مع المحافظة على الثروة الصناعية واستمرارية الإنتاجية التصاعدية. إذ يعتبر هذا الرهان أولوية لها من خلال نشرها لشعار التنمية المستدامة 2030 والتسويق والترويج له دوليا حتى يكون الاقتصاد الأخضر البديل الحيوي للتقليدي والمحفز الرئيسي للتنمية المستدامة.

مدن وآثار

سوق أهراس الجزائرية مدينة أنجبت عظماء في تاريخ الدين والأدب العالمي وشريان ثورة التحرير

الجزائر – «القدس العربي»: رضا شنوف

مسقط رأس القديس أوغستين، وصاحب أول رواية في التاريخ أبوليوس المادوري، وماكسيموس العالم بقواعد اللغة اللاتينية، وأيضا رأى فيها النور الكاتب الطاهر وطار والفنان مصطفى كاتب والمغني الرمز عيسى الجرموني وأحد أبرز وجوه المسرح الجزائري الفنان مصطفى كاتب، وآوت القاعدة الشرقية القلب النابض للثورة التحريرية، أنها سوق أهراس واحدة من المدن الجزائرية التي ساهمت عبر أبنائها في كتابة وصناعة ملاحم تاريخية منذ عهد القادة النوميديين كتكفاريناس وسيفاكس وماسينيسا وصولا إلى تاريخ الجزائر الحديث.

سوق الرأس

تقع مدينة سوق أهراس في أقصى الشرق الجزائري، فهي محافظة حدودية مع تونس، يحدها من الشمال محافظتا عنابة والطارف ومن الغرب كل من قالة وأم البواقي ومن الشرق الجمهورية التونسية وجنوبا محافظة تبسة. وتبعد عن العاصمة الجزائر حوالي 630 كيلومترا.

تختلف المصادر والروايات حول أصل تسمية المحافظة بالاسم الذي تحمله حاليا، فتذهب مراجع إلى أنها تجمع بين الكلمة العربية «سوق» والأمازيغية «أهرس» والتي تعني الأسود، وحسب هذه المصادر فإن المنطقة المعروفة بغاباتها الكثيفة وجبالها الشامخة كانت تسكنها الحيوانات المفترسة من أسود وفهود ودببة، وكان آخر أسد شوهد في المنطقة في سنوات 1893. في حين تقول مراجع أخرى بأن أصل تسميتها هو سوق الرأس، لأنها كانت تشهد سوقا لبيع رؤوس الحيوانات المفترسة بعد تحنيطها.

وتقول مصادر تاريخية بان الاسم الأول لسوق أهراس هو «ثاغوست» والذي يعني «الكيس» باللغة الأمازيغية ويطلق عليها الاسم بحكم موقعها الجغرافي، حيث تتواجد محاطة بثلاثة جبال، وتأخذ شكل الكيس، وهي المدينة النوميدية التي بنيت على أطلالها مدينة سوق أهراس الحالية.

وتقع سوق أهراس في منطقة الأوراس التي تتمركز فيها قبائل الشاوية الأمازيغية على غرار النمامشة والحراكتة، ويتكلم سكانها اللهجة الشاوية التي تعتبر أحد فروع اللغة الأمازيغية كالتارقية والمزابية والقبائلية والشنوية.

في قلب الأحداث التاريخية

الموقع الاستراتيجي لمدينة سوق أهراس ومؤهلاتها الطبيعية حيث تجمع بين الثروة الغابية والأراضي الفلاحية الخصبة وكثرة منابعها المائية ووديانها، جعلها موطنا للإنسان منذ ما قبل التاريخ، حيث ما زالت تحتفظ بمنحوتات ورسوم صخرية على غرار «كاف المصورة» أو «كاف الرجم» تعود إلى حوالي 7 آلاف سنة قبل الميلاد، تقع في منطقة الزوابي على بعد 10 كلم من دائرة سدراتة، ولاية سوق أهراس.

ونظرا لأهمية هذه المدينة فقد كانت حاضرة في كتب المؤرخين والجغرافيين، حيث ذكرها المؤرخ الكبير بليني الأكبر في كتبه، والجغرافي اليوناني بطليموس في الجغرافيا «بطليموس» كما وجدت في دليل سترابو وخريطة أنطونيوس وهي خريطة للطرقات الرّومانيّة تنسب إلى الإمبراطور ثيودوسيوس الأول.

هذا الموقع جعلها أيضا في قلب الأحداث السياسية والعسكرية الكبرى التي عاشتها المنطقة منذ عهد القادة النوميديين، حيث كانت في قلب الحرب بين القرطاجيين والرومان، وكانت من أبرز المقاطعات في عهد الملوك النوميديين غايا وسيفاكس وبعدهما تحت حكم المملكة النوميدية الموحدة في عهد ماسينيسا بعد تحالفه مع الرومان ضد قرطاج في القرن الثالث ما قبل الميلاد، وكانت أندلعت معركة زاما الشهيرة في منطقة نارا قارة في ضواحي الحدادة في سوق أهراس حاليا، بين الرومان والقرطاجيين حوالي 202 ق.م انتصر فيها ماسينيسا وروما على القرطاجيين بقيادة حنبعل وحليفه سيفاكس، ما مكن ماسينيسا من إنشاء مملكة نوميديا الموحدة.

وكانت المدينة إلى جانب موقعها الاستراتيجي خزانا مهما لروما التي كانت تصلها خيرات «ثاقوست» أو سوق أهراس من منتجات زراعية وثروات مختلفة.

ومر على حكم سوق أهراس أيضا الوندال والبيزنطيون، ثم عاشت تاريخ الفتوحات الإسلامية وصولا إلى الحكم العثماني وبعده فترة الاستعمار كما باقي مناطق من الجزائر.

وأنجبت سوق أهراس العديد من الشخصيات التاريخية العالمية الدينية والأدبية والعسكرية، فهي مسقط رأس القائد النوميدي تاكفريناس الذي يعد من العسكريين الذين تمردوا على روما بعدما خدموا في جيشها، لكنهم ثاروا ضدها بسبب الظلم الذي عاشه أبناء جلدتهم على يد الرومان، فأسس جيشا نظاميا مشابها للجيش الروماني وخاضا حروبا ضد روما قبل أن يسقط قتيلا بعد ان فقد العديد من أفراد عائلته في ساحات المعارك ضد روما.

ولا تزال مدينة سوق أهراس تحتفظ بآثار سانت أوغستين، وإلى حد الآن تعيش شجرة الزيتون التي كان يتعبد تحتها الفيلسوف أوغستين، وتتواجد وسط المدينة، وحسب بعض الروايات فإن أوغستين كان يجلس تحت هذه الشجرة لأوقات طويلة للتعبد وللتأمل وكتابة مذكراته ومؤلفاته، ويقدر عمر هذه الزيتونة بأكثر من 2900 سنة، وتم اكتشافها من طرف أولى البعثات الفرنسية الاستكشافية إلى المنطقة سنة 1843.

وكانت الجزائر قد أنتجت فيلما يحكي تاريخ سانت أوغستين سنة 2017 تحت عنوان «أوغسطينوس.. ابن دموعها» بالتعاون مع تونس وبإخراج مصري.

مدينة الأدب والأدباء

سوق أهراس التي أنجبت سانت أوغستين وتاكفريناس أنجبت أيضا بوليوس لوكيوس سنة 125 ميلادي من عائلة مرموقة وهو فيلسوف وبلاغي، صاحب أول رواية في التاريخ وهي «الحمار الذهبي» وتعرف باسم «التحولات» و«المتقمصات»، وكان يطلق على نفسه اسم «ابوليوس المادوري الأفلاطوني» ويسمى «افولاي» بالأمازيغية، وأصل المادوري لأنه ولد في مدينة مادور أو مداوروش حاليا التابعة لسوق أهراس والتي عرفت أول جامعة ومكتبة في شمال أفريقيا.

ولبوليوس عدة مؤلفات أخرى منها «الدفاع» ويعد المرجع في الفصاحة القضائية اللاتينية، ومصدر السيرة الذاتية الخاصة به، ونظرية «أفلاطون» و«شيطان سقراط» وعمل ثالث مفقود «حول العالم». وفي المجموع لديه 18 كتابا بين رواية وقصة وتعاليم أفلاطونية وحكم وعلوم في الطبيعة والفلك والفلسفة والموسيقى.

ليس بوبليوس الوحيد من أنجبته المدينة من الأدباء، بل أيضا أحمد التيفاشي الذي عرف كشاعر وعالم اجتماع وقانون ومعادن ولد عام 1184 في عهد دولة الموحدين، كما أنجبت العديد من الأدباء في عصرنا الحالي على غرار الكاتب الراحل الطاهر وطار الذي ترك الكثير من الأعمال التي ميزت الأدب الجزائري كـ «اللاز» و«الهارب» و«الشهداء يعودون هذا الأسبوع» إضافة إلى الفنان المسرحي مصطفى كاتب أحد أعمدة المسرح الجزائري.

ويعد عيسى الجرموني من أشهر مغني الطابع الشاوي، ويلقب بعميد الأغنية الشاوية، وهو أول مغني عربي يغني على مسرح الأولمبيا في فرنسا، إلى جانب وبقار حدة التي تعد من أبرز الفنانين في الجزائر.

القاعدة الشرقية

تعد محافظة سوق أهراس من بين المحافظات التي سجلت فيها أكبر المعارك في تاريخ الثورة الجزائرية، ورشحها قادة الثورة بفضل موقعها وجبالها لاحتضان «القاعدة الشرقية» التاريخية سنة 1957 التي أنشئت لمواجهة خطي شارل وموريس اللذان وضعتهما فرنسا الاستعمارية لوأد الثورة الجزائرية، وكانت مركزا لتنظيم عمل جيش التحرير وبوابة لتجميع ثم توزيع الأسلحة الآتية من الحدود الشرقية المفتوحة على المشرق العربي، فكانت تشكل قلب وشريان الثورة الجزائرية، بحكم أنها أصبحت الجسر الرئيسي والعمق الاستراتيجي الذي يمتد إلى مسافة 120 كلم لتزويد ولايات الداخل التاريخية وبفضلها تم إسقاط محاولات فرنسا لفصل الثورة عن الشعب.

ومن أبرز الشخصيات التي تواجدت في القاعدة كان الطاهر زبيري الذي قاد أول عملية انقلاب ضد حكم الرئيس الراحل هواري بومدين والشريف امساعدية أحد أبرز الشخصيات السياسية في جزائر ما بعد الاستقلال.

وشهدت سوق أهراس أحد أكبر المعارك في تاريخ الثورة الجزائرية ضد قوات الجيش الفرنسي، واطلق عليها اسم «معركة سوق أهراس الكبرى» شهر نيسان/ابريل 1958 دامت حوالي أسبوع على قطر يتعدى 50 كيلومترا ما بين سوق أهراس وصولا إلى قالة، فقدت خلالها الجزائر 639 شهيدا، في حين قتل 300 من جنود الجيش الفرنسي وجرح 700 آخرين.

رياضة

صفعة للغطرسة ورسائل للرأسمالية في الجولة الأولى لدوري أبطال أوروبا!

لندن – «القدس العربي»:
عادل منصور

أوفت الجولة الافتتاحية لدور مجموعات دوري أبطال أوروبا، بكل الوعود، وبكم لا بأس له من الوجبات الكروية الدسمة في سهرتي الثلاثاء والأربعاء، ما بين قمم كلاسيكية بنكهة الزمن الجميل، ومعارك حامية الوطيس، بدت من الوهلة الأولى من منظور العقل والمنطق أنها ستكون مواجهات من طرف واحد أو على أقل تقدير غير متكافئة، لكن على أرض الواقع حملت مفاجآت فاقت كل التوقعات، والعكس لمواجهات أخرى، كان يُعتقد أنها ستكون أكثر تنافسية داخل المستطيل الأخضر.

صفعة للغطرسة

كما كان متوقعا، حظيت موقعة برشلونة ضد بايرن ميونيخ بنصيب الأسد من حيث المشاهدات والزخم الإعلامي، للحساسية الشديدة بين الناديين، باعتبارها المواجهة الأولى منذ ما تعرف بـ«فضيحة القرن»، التي خسرها البلوغرانا أمام غريمه البافاري 8–2 في ربع نهائي النسخة قبل الأخيرة، وأيضا للبروباغاندا التي تعمد المدرب الهولندي رونالد كومان إثارتها قبل المواجهة، بتصريحات غير موفقة، التي فسرها البعض من النقاد والمتابعين، أنها تحمل الكثير من الغطرسة، بقوله «لولا وجودي لما كان هناك مشروع لبرشلونة»، ناهيك عن جرعة الإحباط الكفيلة بهدم جبل شامخ، باعتراف لا تشوبه شائبة أن «البارسا ما زال أمامه عامان للوقوف على قدم المساواة مع أصحاب المشاريع الكبرى»، وأسوأ من هذا وذاك، التصعيد غير المبرر لحربه الباردة مع الرئيس جوان لابورتا، بقوله «يتحدث كثيرا»، ردا على تصريحات الأخير، التي حاول خلالها تبرئة نفسه من اختيارات الصفقات الجديدة، آخرها الصفقة اللغز لوك دي يونغ، مؤكدا أن الصفقات الجديدة تمت بتوصية من المدرب وليس أي شخص آخر، لتأتي العواقب بالصورة الكارثية التي بدا عليها الفريق أمام دابته السوداء، حيث ظهر برشلونة بنسخة أقل مما كان عليها في ليلة الانحناء العظيم أمام البايرن، وتجلى ذلك في مبالغة المدرب بأفكاره الدفاعية، كان هدفه من المباراة هو الخروج بأقل عدد ممكن من الأهداف، بصورة كربونية لما فعله المدرب الجنوب أفريقي بيتسو موسيماني في مباراة الأهلي والبايرن في نصف نهائي كأس العالم للأندية، وهذا كان منطقيا للتفاوت والفوارق الشاسعة في كل شيء بين الناديين، لكن بالنسبة لكيان بحجم وهيبة برشلونة، بدا الأمر وكأنه إهانة وجريمة مكتملة الأركان في حق الملايين من عشاق النادي في مختلف أنحاء العالم، وقبلهم عشرات الآلاف التعساء، الذين اشتروا التذاكر المحدودة، لدعم الفريق من مدرجات «كامب نو»، أملا في العودة إلى منازلهم والهامات مرفوعة ردا على الجرح الغائر، لكن في الأخير، استفاقوا على كابوس، كاد ينتهي بمشاهد لا تتناسب مع أصحاب القلوب الضعيفة والأمراض المزمنة.

خيبة نجوم برشلونة واضحة عقب الهزيمة أمام البايرن

نسف هوية

بصرف النظر عن عدم التكافؤ الواضح بين الفريقين، وتدخل عامل التوفيق الذي تسبب بشكل أو بآخر في انتهاء المباراة بثلاثية نظيفة، فأكثر ما صدم المشجعين وحطم آمالهم، حالة الخوف والذعر التي ظلت مسيطرة على اللاعبين طوال المباراة، بطريقة لا تتماشى مع الصورة والشخصية المعروفة عن برشلونة، كفريق وضع حجر أساس سمعته العالمية على أسلوبه الأنيق «تيكي تاكا»، الذي يرتكز على اللعب الهجومي وتمرير الكرة من قدم إلى قدم بشكل عمودي نحو المرمى، بينما في أمسية الثلاثاء، ربما كان أكثر جبنا من كل خصوم بايرن ميونيخ الملحين والقاريين، والدليل على ذلك، الراحة التي تحصل عليها مانويل نوير على مدار 90 دقيقة، بعدم التعرض ولو لاختبار حقيقي، على عكس المباريات التي خاضها في الآونة الأخيرة، بما في ذلك المباريات التي حسمها الفريق إما بشق الأنفس أو بسهولة من حيث النتيجة، كالانتصار الرباعي على لايبزيغ وتجاوز كولن بنتيجة 3–2 في حملة الدفاع عن لقب البوندسليغا للمرة العاشرة توالبا. كلاهما لعب بجرأة وكما يقولون «الند بالند»، لكن عامل الخبرة والتمرس على الانتصارات صنع الفارق في النهاية، وحتى لو عدنا بالذاكرة قليلا، سنلاحظ أن ضحية البايرن المفضلة، والحديث عن آرسنال، لم يكن يلعب بهكذا يأس واستسلام منذ الدقيقة الأولى، بل كان يظهر بثوب الفريق الكبير، المطالب دوما بمناطحة العظماء، حتى لو كانت الضريبة الهزيمة بالخمسة في آخر 3 مواجهات مباشرة.

مع ذلك، كان الفريق اللندني يتعرض لأبشع حملات النقد والسخرية، سواء من المحللين عبر الشاشات أو من المشجعين في العالم الافتراضي، وعلى ما يبدو، أن البارسا دخل للتو هذه المرحلة، لظهوره في اختبار الثلاثاء، بصورة أبعد ما يكون بها عن «فئة الصفوة»، كأن الهيبة أُنتزعت من الفريق بعد رحيل ميسي، أو على أقل تقدير، سيحتاج النادي سلسلة من القرارات التراكمية المستقبلية، ليعود إلى سابق عهده، كعملاق يهابه الكبير قبل الصغير في كل بقاع الأرض، وليس ذاك الفريق الفقير في كل النواحي، بما في ذلك ضعف الجودة المتاحة للمدرب، متمثلة في أسماء لم تعد قادرة على حمل ساقيها داخل المستطيل الأخضر، أو بمعنى أكثر لطفا، عدد من اللاعبين غير المؤهلين للعب مرتين كل ثلاثة أيام، إما بحكم التقدم في السن، أو لانخفاض مستوى الطموح أو لتراجع المعدلات البدنية، مثل مهندس الأمس القريب سيرجيو بوسكيتس، الذي أثبتت التجارب، أنه بات يمثل ثغرة في وسط البلوغرانا، وبالمثل الشاب الذي هرم في سنواته في صراعه مع لعنة الانتكاسات سيرجيو روبرتو، وقبلهما قائد الدفاع جيرارد بيكي وأسماء أخرى لم تعد قادرة على دفع الكيان إلى الأمام، هذا بخلاف، ضعف الرؤية الفنية للمدرب، التي تظهر بوضوح في إدارته للمباريات الكبيرة، باستثناء العرض المقنع مع باريس سان جيرمان في إياب ثمن نهائي دوري الأبطال الموسم الماضي، أما غير ذلك، فكل اختباراته الحقيقية ضد الكبار عليها الكثير من علامات الاستفهام، على غرار كوارثه أمام زين الدين زيدان في مباراتي الكلاسيكو الموسم الماضي. وبالمثل، كان واضحا أنه لم يحضر اللاعبين نفسيا وذهنيا لمعركة البايرن، والأكثر تعقيدا قراءته المتواضعة للمباراة، بتعديل أسلوبه باللعب بثلاثة لاعبين في خط الدفاع، معتقدا أن طريقة الضغط المتقدم على كيميتش وليون غوريتسكا، ستجبر ناغلزمان على اللعب بحذر، لتفادي افتكاك الكرة في وسط ملعبه، لكن لأنه اعتمد على إستراتيجية فاضحة للفوارق بين السرعات والمعدلات البدنية، دفع ضريبة باهظة الثمن، بالسيرك المجاني الذي افتتحه المدرب الثلاثيني، متسلحا بأقل عدد من اللاعبين، لتصدير كل أنواع الذعر الكروي للدفاع الكتالوني الهش، وشاهدنا كيف حول ليروي ساني وجمال موسيالا الجانبين الأيسر والأيمن إلى شوارع مستباحة في أي وقت لتهديد مواطنهما المغلوب على أمره تير شتيغن، ويمكن القول، إنه من حسن حظ كومان وبرشلونة، أن الفريق البافاري ارتدى عباءة برشلونة غواردیولا، بمبالغة في الاستعراض وما يُعرف بالإهانة الكروية داخل منطقة الجزاء، وإلا لانتهى اللقاء بفضيحة أخرى على مستوى النتيجة.

رسائل للرأسمالية

وفي الوقت الذي يقاتل فيه رئيس ريال مدريد فلورنتينو بيريز وحليفاه جوان لابورتا وأندريا أنييلي رئيس يوفنتوس، لتسليم مفاتيح كرة القدم للرأسمالية والمؤسسات التي تجيد لعبة تضخيم واستغلال الأموال، من خلال مشروع «السوبرليغ»، القائم على فكرة «البقاء للأغنياء وأصحاب التاريخ ولا عزاء للكادحين والفقراء»، جاء الرد من أحد المستضعفين في الأرض، وهو يانغ بويز السويسري، بعد نجاحه في تفجير كبرى مفاجآت الجولة الأولى، بإسقاط مانشستر يونايتد بهدفين مقابل هدف، في وجود الأسطورة كريستيانو رونالدو والثنائي الآخر الجديد جادون سانشو ورافابيل فاران، كثاني مرة يتجرع فيها الدون من مرارة الهزيمة على نفس الملعب «سويس وانكدورف»، بعد السقوط مع يوفنتوس بنفس النتيجة في ختام مجموعات نسخة 2018–2019. وبالنظر إلى أسباب الهزيمة المحرجة لليونايتد، سنجد منها هدايا أولي غونار سولشاير لنظيره الألماني فاغنر، الذي بدوره أحسن استغلال الهدايا، بإعطاء لاعبيه تعليمات واضحة بالضغط وتكثيف الغارات على الضيف الخجول، بعد عودة المدرب النرويجي إلى «المربع صفر»، بتكرار الأخطاء التي أضاعت منه مباريات ونقاط بالجملة، بالتعجل في استبدال أفضل لاعبيه وأسلحته القادرة على صناعة الفارق إذا تعقدت الأمور، ثم بعد ذلك الوقوع في خطيئة معالجة الخطأ بخطأ آخر، حين يجري تغييرات بلا معنى، مثل اعتماده على أنطوني مارسيال في الدقيقة قبل الأخيرة أمام يانغ بويز، وقبلها أراح دوني فان دي بيك بين الشوطين، وتبعه كريستيانو رونالدو، وكان ذلك والنتيجة 1–1، كإشارة واضحة لصديق يورغن كلوب الصدوق، أن اليونايتد لا يطمع في العودة إلى شمال إنكلترا بأكثر من نقطة، بحجة تأثر الفريق بطرد آرون بيساكا في أول نصف ساعة، فجاء العقاب الرادع، باستقبال هدف معبر عن أحداث الشوط الثاني بالذات، ليضع الفريق الإنكليزي نفسه في موقف لا يُحسد عليه، قبل الاصطدام بمعذبه في نهائي اليوروبا ليغ فياريال والحصان الأسود في النسختين الماضيتين أتالانتا في المباريات الأربع المقبلة في المجموعة الخامسة الحديدية بعد تعادلهما بهدفين لمثلهما في نفس التوقيت، فهل ستؤثر نتيجة هذه المباراة على فرص مانشستر يونايتد في تجنب الخروج المبكر من الأبطال للموسم الثاني على التوالي؟

ثلاثي سان جيرمان (من اليمين) ميسي ومبابي ونيمار كان مخيباً

المعادلة المعقدة

شملت مفاجآت الجولة الافتتاحية، سقوط باريس سان جيرمان في فخ التعادل أمام مضيفه كلوب بروج البلجيكي، في المباراة التي جمعتهما على ملعب «جان برايدال»، وانتهت بهدف في كل شبكة، على عكس أغلب التوقعات، بأن العملاق الفرنسي سيعود من البلد المجاور بمهرجان أهداف، لتسلحه بالثلاثي الناري ليونيل ميسي ونيمار جونيور وكيليان مبابي إلى جانب باقي «السوبر ستارز». لكن على أرض الواقع، بدا وكأن ماوريسيو بوتشيتينو وفريقه أمام مهمة معقدة، لأسباب تتعلق بعدم اكتمال التفاهم والانسجام بين النجوم الجدد والقدامى في المشروع، وفي مقدمتهم ثلاثي الهجوم، دليلا على أن امتلاك النجوم لا يعني بالضرورة أن الفوز في المتناول، بل هناك معادلة صعبة سيتعين على البوش حلها، وتتلخص في إيجاد الطريقة المثالية، التي من شأنها أن تساعد هؤلاء النجوم على اللعب كفريق، أو بالأحرى لإخراج أفضل ما لديهم لخدمة المنظومة الجماعية، كما فعلها لويس إنريكي في نسخة 2014–2015، بابتكار إستراتيجية لتفجير طاقة الثلاثي «MSN» نيمار وميسي ولويس سواريز، أصحاب الفضل الأكبر في الثلاثية التاريخية في ذاك الموسم. وإذا سارت الأمور كما يخطط لها المدرب الأرجنتيني، فسيكون توهج «بي إس جي» مجرد مسألة وقت، أما إذا تأثر بالضغط الإعلامي والجماهيري، ففي الغالب سيعاني الأمرين لتحقيق الهدف المنشود والمطلوب منه، وهذا ما سيجيب عليه أداء ونتائج فريق الأحلام في الجولات المقبلة في البطولات.

صراع ليفربول وميلان أعادت ذكريات الزمن الجميل

الأفضل والأكثر غرابة

بالنظر إلى أجمل وأفضل سهرات الجولة، فلا خلاف أبدا على أنها كانت الأمسية الكلاسيكية التي جمعت ليفربول بغريمه الإيطالي ميلان، بذكريات ريمونتادا نهائي اسطنبول 2005 والثأر في نهائي أثينا 2007، وهذا كان واضحا في الحدة والتنافسية بين الفريقين، على عكس ما كان متوقعا، بأن الروزونيري سيتأثر بغيابه الطويل عن البطولة، لكن بمجرد أن أطلق الحكم صافرة بداية معركة «أنفيلد»، ظهر الوجه الحقيقي لميلان، كفريق لا يهاب أحد سواء على ملعبه أو في الخارج، لما لديه من باع وهيبة في هذه الكأس، التي يحمل لقبها سبع مرات، كثاني أكثر العمالقة تتويجا بها بعد الريال صاحب الـ13 لقبا، وهذه الروح انعكست على فريق المدرب ستيفانو بيولي، في رد فعلهم القوية في نهاية الشوط، بقلب النتيجة على أصحاب الأرض بالتقدم بهدفين مقابل هدف، بعد استقبال هدف بالنيران الصديقة في أول تسع دقائق، بجانب ركلة الجزاء التي أهدرها محمد صلاح في الدقيقة 14، ومثل هذه التحديات لا يقوم بها إلا الكبار. وبالمثل، قام ليفربول برد الصاع صاعين، بتسجيل هدفين في الشوط الثاني، ليخطف الريدز النقاط الثلاث والفوز المعنوي المهم، استكمالا لصحوة يورغن كلوب ورجاله، بعد حملة 2020–2021 البائسة. أما رجل الجولة، فهو الاكتشاف الإيفواري سباستيان هالر، الذي عادل رقم أسطورة هولندا مأركو فان باستن، بتسجيل أربعة أهداف في ظهوره الأول في دوري الأبطال عام 1992، وقد فعلها يافع أياكس الحالي، بدك شباك سيورتنغ لشبونة 4 مرات في السهرة التي انتهت بفوز كبير الإيريديفيسي بخماسية مقابل هدف، ويأتي خلفه الظاهرة إيرلنغ هالاند، الذي قاد فريقه بوروسيا دورتموند للفوز على بشكتاش بهدفين مقابل هدف، منها هدف العادة، ليتساوى مع روبرت ليفاندوسكي، كأكثر لاعبين تسجيلا للأهداف بدون مساعدة ركلات الجزاء منذ سبتمبر/أيلول قبل الماضي، غير أنه كان هدفه الشخصي رقم 21 من أصل مشاركته في 17 مباراة في المسابقة، كأقل عدد من المباريات يصل من خلاله أي لاعب لـ20 هدفا أو أكثر في أعرق بطولات القارة العجوز.

بالنسبة لغرائب الجولة، ستأتي نتيجة مباراة الإنتر ضد ريال مدريد، التي كان من الممكن أن ينتهي شوطها الأول بأكثر من هدفين لولا تألق وإبداع الحارس تيبو كورتوا في مباراته الخاصة مع لاوتارو مارتينز وإيدن دجيكو. وبوجه عام، كانت في أغلب فتراتها مباراة من طرف واحد، لكن في الأخير، نجح الريال في سرقة النقاط الثلاث، بجملة متفق عليها بين الوافد الجديد كامافينغا والبديل الآخر رودريغو، أسفرت عن هدف لا يعوض في الدقيقة 90، ورغم ذلك، تضاعف قلق وخوف جماهير الميرينغي على مستقبل الفريق ووضعه في نهاية الموسم، بسبب الأداء الدفاعي غير المطمئن، والذي لا يعطي مؤشرات أن اللوس بلانكوس سيذهب بعيدا في البطولات التي ينافس عليها، وخصوصا ذات الأذنين. فيما عدا ذلك، لم تكن هناك غرائب أو مفاجآت، باستثناء حفاظ بيب غوارديولا على عادته المفضلة، بدهس ضحايا بلا شفقة أو رحمة إذا أتيحت له الفرصة، وذلك بفضل الانتصار الكاسح والعريض الذي حققه مانشستر سيتي على حساب لايبزيغ بسداسية مقابل ثلاثة أهداف، قبل زيارة «حديقة الأمراء» لمواجهة ليونيل ميسي ورفاقه في الجولة الثانية لمباريات مجموعة الموت، التي ازدادت تعقيدا بتعادل الفريق الباريسي مع المرشح الأضعف والأقل فرصا، على الورق، في المنافسة على المراكز المؤهلة لمراحل خروج المغلوب، فهل تكون مؤشرات لمزيد من الإثارة والتشويق في هذه المجموعة؟ أم مجرد حمى البداية وفي الأخير ستنحسر المنافسة بين السكاي بلوز وبي إس جي على المركزين الأول والثاني؟ دعونا ننتظر ما سيحدث في الجولات المقبلة.

ماذا يعيق كريستيانو رونالدو

رونالدو مع مدرب يونايتد سولشاير

لندن – «القدس العربي»:

أطفال وجميلات وشباب وطاعنون في العمر، هاموا على وجوههم بعشرات الآلاف في البقعة الحمراء لمدينة مانشستر في عطلة نهاية الأسبوع الماضي، متحدين على قلب رجل واحد بالقميص رقم 7 الأكثر مبيعا في أوروبا هذا الصيف، كأفضل استقبال للأسطورة الحية كريستيانو رونالدو، في ظهوره الأول مع مانشستر يونايتد بعد 12 عاما من لوعة الفراق، ليرد حفاوة استقباله، بالفخامة والأناقة المعروفة عنه، بتسجيل هدفين من أصل أربعة فاز بها الفريق على نيوكاسل في قلب «أولد ترافورد»، قبل أن يضيف ثالث أهدافه الشخصية والأول في بطولته المفضلة دوري أبطال أوروبا، في ليلة السقوط المفاجئ أمام يانغ بويز، مجسدا مقولة أبو الطيب المتنبي «الخيل والليل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم».

رجل التحولات

لأنه من فئة البشر الخارقين، لم يكتف بتحول أو اثنين في مسيرته، لقدرته العجيبة على مواكبة الزمن والتكيف مع المتغيرات التي تُحيط به، وهذا لا يرجع فقط لاستثماره الباهظ في جسده، بالامتناع عن الكثير من ملذات الحياة القصيرة، خاصة في حقبة الثلاثينات، ربيع العمر، حيث يقضي جُل وقته في إخراج ما بداخله من طاقة في التدريبات العنيفة سواء في مقر النادي أو صالته الرياضية المنزلية، الجهزة بمعدات تفوق صالات أعظم أندية القارة، مثل جهاز «ألتير جي»، الذي يساعده في الاستشفاء والحفاظ على وزنه، جنبا إلى جنب مع النظام الغذائي العجيب، بتناول 6 أو 7 وجبات يوميا تحت إشراف متخصصين، لضمان الحفاظ على طاقته وقوة عضلاته، حتى مع اقترابه من كسر حاجز الـ37 عاما، بل هناك أسباب أخرى، قادته للتعمير في الملاعب وبهذه النسخة المرعبة، كلاعب يتعامل مع سنه على أنه مجرد رقم، منها ذكاؤه في تطويع معدلاته البدنية بما يتماشى مع مرحلته العمرية، والدليل، النسخ المختلفة التي أبهر بها الملايين على مدار عقدين، بداية بالصورة العالقة في الأذهان بذاك الفتى اليافع، الذي خطفه مانشستر يونايتد من آرسنال في الأمتار الأخيرة، ليفوق توقعات أكثر المتفائلين من عشاق الشياطين الحمر، لتعويض رحيل الأيقونة ديفيد بيكهام بعد ذهابه إلى ريال مدريد في 2003.

ويتذكر عشاق البريميرليغ عندما كان يُبث عبر فضائية «ART» الرياضية حتى أواخر العقد الأول للألفية الجديدة، نسخة كريستيانو في بداياته مع الشهرة الطاغية، كلاعب أوروبي بجينات السامبا البرازيلي، متسلحا بسرعته المهولة وقدرته على المراوغة وبعثرة المدافعين بالطرق التي تخطف «آهات» وقلوب المشجعين، أشبه بالجناح المثالي في عصره، حيث كانت مهمته الأولى هي الاختراق من الجانبين، إما لإرسال العرضيات لجلاد الجلادين رود فان نيستلروي، وإما كمفتاح لعب لإيصال الكرة للظهير في أبعد مكان على الطرف أو بقرار فردي من العمق، وهذا يفسر أسباب قلة أهدافه في بداية مشواره، مقارنة بالثنائي الفضائي المستقبلي كيليان مبابي وإيرلنغ هالاند، كلاهما أكثر حظا منه باللعب في مركز الرقم 9 في وقت مبكر جدا، لكن مع الوقت، استسلم شيخ المدربين فيرغسون لفكرة هدر هذه الطاقة في أماكن بلا قيمة في الملعب، في ما كانت أشبه بالنسخة الثانية لرونالدو، بعد تحوله إلى رقم 7 في الطريقة الحديثة آنذاك، موسم 2007–2008، ليكافئ الأب الروحي بنهاية سينمائية، أسفرت عن 42 هدفا في مختلف المسابقات، كانت سببا في الاحتفاظ بلقب البريميرليغ للمرة الثانية على التوالي، والأهم تحقيق دوري أبطال أوروبا للمرة الثانية في عهد السير، بقهر تشلسي في نهائي موسكو الشهير. ومنذ تلك اللحظة، بدأ التحول التدريجي في أسلوب وعقلية النجم الكبير، من لاعب يميل إلى اللعب الفردي إلى سفاح يعيش على احتفالاته بهز شباك الخصوم، وهذا ما أجبر ريال مدريد على العودة لطلبه مرة أخرى، ليسير على نفس النهج في ما تبقى من عقد العشرينات، إلى أن قدم له زين الدين زيدان قبلة الحياة، بتعديل مركزه، بطريقة تحترم عمره وفي نفس الوقت تساعده على الصمود في هرم النجاح لأطول وقت ممكن.

وصفة زيدان

بالطبع الجزائري الأصل/الفرنسية الهوية، لم يخترع الذرة، فقط سبقته «الكاريزما» التي رسمها لنفسه طوال مسيرته العظيمة كلاعب، وأيضا في تحضره ورقيه مع الدون وباقي الرفقاء، بحكم تعامله المسبق معهم كساعد أيمن لكارلو أنشيلوتي في موسم كسر عقدة «العاشرة» على حساب أتلتيكو مدريد في نهائي لشبونة 2014، عكس سلفه رافا بنيتيز، الذي لم يكن على وفاق مع الأسطورة، لمبالغته في الأمور والنواحي التكتيكية، التي تُجبر الجميع على التحرك في أمتار معينة داخل المستطيل الأخضر، وكأنهم قطع شطرنجية. ومع الوقت، أثبتت التجارب، أن هذا النوع من المدربين، دائما ما يصطدم مع جموحه ورغباته الزائدة أمام المرمى، والحديث مثلا عن ماكس اليغري، الذي أقيل من منصبه في القيادة الفنية ليوفنتوس، لاعتراض رونالدو على أفكاره، كما وثقت الكاميرات لحظة تذمر الدون على طريقة وأسلوب لعب السيدة العجوز في ليلة الانحناء العظيم أمام شباب أياكس أمستردام مارس/آذار 2019، يكفي أنه سجل مع اليغري 28 هدفا في 43 مباراة على مدار الموسم، أقل من معدل أهدافه على مدار تسع سنوات بين جدران «سانتياغو بيرنابيو»، حتى مع الإيطالي الآخر ماوريسيو ساري، لم يكن بنفس الحدة في أغلب أوقات الموسم، لمشاكله مع المدرب المدخن، اعتراضا على توظيفه في مركز المهاجم الثاني، وأحيانا جناح أيسر متقدم، لرؤية ساري الفنية، باللعب بمهاجمه المفضل غونزالو هيغواين في مركز رقم 9، وربما هذا التحدي، هو ما أثار غضب الدون، لينهي الموسم بأفضل سجل تهديفي في سنواته الثلاث مع سلطان الكالتشيو، منها اللوحة الفنية الفريدة من نوعها، بذاك الارتقاء العجيب أمام سامبدوريا. أما المدربون الذين يجيدون التوازن بين طمعه المشروع مع هوس تسجيل الأهداف وتحطيم الأرقام وبين مصلحة الفريق، فنادرا ما يخذلهم في نهاية الموسم، بدليل مكافأته لزيزو، بعد الوصول لمرحلة بناء خطط الريال الهجومية على فكرة إيصال الكرة بين أقدام كريستيانو أو على رأسه داخل مربع العمليات، بخلاف رفاهية تجنب الأدوار الدفاعية، حفاظا على طاقته ولياقته حتى الدقيقة الأخيرة، بحكم تقدمه في السن، مسجلا 112 هدفا، كانت سببا في سيطرة الفريق على ذات الأذنين 3 مرات توالياً، بالإضافة إلى لقب الليغا رقم 33 وأربعة ألقاب أخرى قارية ومحلية حققها زيدان في ولايته الأولى في «فالديبيباس» قبل رحيل الهداف التاريخي، كثالث أفضل سجل تهديفي تحت قيادة مدرب بالتساوي مع ميستر كارليتو، بعد اليكس فيرغسون، سجل معه 118 هدفا على مدار 6 سنوات، والأول جوزيه مورينيو، الذي كان في قمة حظه، بقيادة مواطنه وهو في أوج سنوات صراعه مع غريمه الأزلي ليونيل ميسي بين عامي 2010 و2013، التي سجل خلالها 168 هدفا، بواقع 53 هدفا في الموسم الأول و60 و55 هدفا في آخر موسمين.

فرصة سولشاير

يبقى القاسم المشترك بين أكثر المدربين نجاحا مع كريستيانو، أنهم ليسوا أصحاب مدارس وفلسفات مقدسة تتعارض مع متطلبات ومصلحة النجم الكبير، بمن فيهم مدرب المنتخب البرتغالي فيرناندو سانتوس، الذي يطبق وصفة زيدان كما ينبغي، بالتعامل مع رونالدو كملك خارج الملعب وداخله، وليس كما قال اليغري وساري من قبل «جزء من منظومة جماعية». وبالنسبة للمدرب النرويجي أولي غونار سولشاير، فيمكن القول، إنه يملك أغلب الأدوات والخصائص اللازمة لانجذار الأيقونة وظهوره بنفس النسخة التي كان عليها مع زيزو، منها الاحترام والثقة المتبادلة، منذ أن كانا في خدمة الكيان، قبل انتهاء رحلة أولي مع الفريق كلاعب في 2007، إلى جانب أن الرجل ذا الوجه الطفولي، يحمل «DNA» الشياطين الحمر، كأحد النجوم اللامعة في حقبة أليكس فيرغسون الذهبية. أبعد من ذلك، يصنفه البعض، ضمن فئة الأساطير، لتأثيره الكبير على نتائج وتغيير مسار ألقاب عظيمة في تاريخ النادي، لعل أبرزها هدف قتل معنويات بايرن ميونيخ في الوقت بدل الضائع في نهائي «كامب نو» 1999. وبصرف النظر عن الانتقادات التي يتعرض لها المدرب الاسكندينافي من مشجعي اليونايتد، اعتراضا على سوء إدارته في بعض المباريات، وإصراره على تكرار أخطاء الماضي، آخرها تبديل رونالدو أمام يانغ بويز في سهرة منتصف الأسبوع في دوري الأبطال، التي كبدت الفريق هزيمة قد تكون سببا في تعقيد مهمة الذهاب بعيدا في المسابقة. لكن بشهادة الجميع، هو يحظى باحترام الصغير والكبير داخل النادي، ولا يشعر بتهديد محتمل لإقالته، على الأقل في الوقت الراهن، لصعوبة التضحية به بعد الوصول للمرحلة الأخيرة في المشروع بضم صفقات أخرى بوزن الذهب بجانب رونالدو، والإشارة إلى رافاييل فاران وجادون سانشو، وهذا يعكس التشابه الكبير مع زيدان، الذي يعرف كيف تدار الأمور داخل النادي، بحكم جيناته المدريدية، غير أنهما من أبناء نفس الجيل والثقافة الكروية، ليسا كبيب غوارديولا وتوماس توخيل وألبغري وباقي المدربين المتشددين لأفكارهم الجماعية على حساب النجاح الفردي، كما روى الغزال الأسمر تيري هنري في واقعة عن غواردیولا «قام بتوبيخي بعد الهدف لأنني لم أنفذ تعليماته»، فما بالك لو قام وأعطى اللاعبين تعليمات كتفا بكتف مع المدرب، كما فعلها كثيرا مع زيزو وسانتوس وللمرة الأولى مع سولشاير في سهرة يانغ بويز الحزينة.

وتشمل الخصائص المشتركة بين سولشاير وزيدان، نجاح كل مدرب عندما يتعرض لضغط أو تهديد بالإقالة، ونتذكر ما حدث مع المدرب الفرنسي في ولايته الثانية، عندما تردد في أكثر من مناسبة، أن فلورنتينو بيريز ينوي إقالة المدرب بسبب تراجع المستوى والنتائج، وفي كل مرة، كان يعود أقوى من أي وقت مضى، لدرجة أن صحيفة «ماركا»، لقبته بالقط ذي السبع أرواح، ونفس الأمر تكرر مع سولشاير أكثر من مرة، آخرها ريمونتادا ما بعد جائحة كورونا الأولى، وغيرها من الأمور المشتركة بينهما، ليبقى السؤال: هل سيواصل سولشاير مسلسل تكرار أخطائه وتدخلاته الكارثية؟ أم سيتبع نهج زيدان مع رونالدو وتكون النهاية سعيدة للاثنين بعد سنوات العجاف عن الألقاب؟

خلدون الشيخ

باريس سان جيرمان بين الواقعية والخيال!

كانت المرة الأولى التي يشارك فيها الثلاثي «الرهيب» ليونيل ميسي ونيمار وكيليان مبابي معاً في مباراة واحدة مع باريس سان جيرمان، وربما كانت المرة الاولى هذا الموسم التي نتحدث فيها عن خيبة الاداء وهزالة العرض في المباراة التي تعادل فيها النادي الفرنسي أمام كلوب بروج البلجيكي في دوري أبطال اوروبا.

رغم البداية النارية للفريق في الدوري الفرنسي بتحقيق خمسة انتصارات متتالية في الجولات الخمس الاولى، الا ان الوحيد الذي لعب بشكل ثابت كان مبابي الذي سجل 5 أهداف خلالها، لكن مع عودة نيمار وميسي إلى التشكيلة، سيصارع المدرب ماوريسيو بوتشيتينو من أجل تثبيت فكره وفلسفته القائمة على بذل الجهد الكبير والدائم والضغط العالي على المنافسين، والتي قادته إلى تحقيق نتائج لافتة في السابق مع فريقه الاخير توتنهام، محققاً انجازات بلا ألقاب، بينها الوصول إلى المباراة النهائية لدوري ابطال أوروبا في 2019، وأيضا الحلول وصيفا لبطل الدوري الانكليزي في 2016، والفارق الكبير انه نجح في تحقيق ذلك، مع فريق من لاعبين مغمورين وغير مصقولين، شكلهم بنفسه وصنع منهم نجوماً من العيار الثقيل بمرور الوقت، لكن ضمن فلسفة ومنهجية واضحة قائمة على الجهد الكبير، فهل هذا ما نتوقعه من الثلاثي الهجومي ميسي ونيمار ومبابي؟

صحيح أنه من المبكر الحكم على نجاح هذه التشكيلة الحالية في سان جيرمان التي تعج بالنجوم والمواهب الكبيرة، أو فشلها، عقب مباراة مخيبة واحدة، لكن السؤال كان مطروحا بقوة لكن لم يسمعه أحد في باريس من صخب الاحتفالات بضم أبرز أيقونة عرفتها كرة القدم، بالاضافة إلى قدوم أساطير ومواهب على غرار سيرخيو راموس وأشرف حكيمي وجانلويجي دوناروما وجورجينيو فينالدوم، ما جعل الجميع يعتبر ان هذه الخلطة من النجوم، ستشكل الحل السحري لمذاق عظيم لطبخة لم تستو بعد، بل لم يفكر كثيرون في نجاعة وتفاهم وتجانس هذه المجموعة، وان كانت خطوط الفريق تملك التوازن الكافي لجعله قوة حقيقية مخيفة مثلما تفترض الاسماء على الورق.

أتحدث عن التجانس بين النجوم الجدد وبين كوكبة المواهب الموجودة أصلاً في الفريق، لأن هذا هو العامل المهم لخلق روح الفريق، ففي حين أن لا خلاف ولا نقاش على العلاقة المميزة بين الصديقين الدوديين ميسي ونيمار، والتي تعود علاقتهما معاً منذ أيام لعبهما معاً في برشلونة، وظل الغزل بينها يعد رحيل نيمار إلى سان جيرمان في 2017، بمطالبة النجم بضم الآخر إلى فريقه كلما سنحت فرصة للحديث عن ذلك، لكن العنصر الثالث والمهم في هذه العلاقة المفترض انها ستشكل «مثلثاً» مرعباً، هو مبابي وعلاقته الغامضة مع ميسي، بل باتت تتجلى بوضوح مع مرور الوقت أنها علاقة مضطربة والتي قد نكتشف في النهاية أنها مسمومة.

عندما أعلن باريس سان جيرمان عن ضم ميسي، والذي حظي باستقبال الملوك، وكان كل العاصمة الباريسية كانت تزف عريسها، كان مبابي آخر من رحب بقدوم النجم الارجنتيني إلى النادي، والتي فسرها البعض بأنه كان منهمكاً ومشغول البال بقصة انتقاله إلى ريال مدريد، والتي فشلت رغم محاولات النادي الملكي تقديم أكثر من عرض مغر للنادي الباريسي دون جدوى، رغم الرغبة الجامحة لدى مبابي للانتقال إلى مدريد واللعب للفريق الذي عشقه منذ صغره، بل اعترف انه في سن الرابعة عشرة كان متيماً بكريستيانو رونالدو ويعلق صوره «بوستراته» في غرفة نومه، أي ان عشقه وأمنيته وحلمه اللعب بقميص الريال. وعندما نفكر بعمق أكثر، بل بتفكير ابن الثانية والعشرين، فان العدو اللدود لقدوته ومثله الأعلى كان ميسي نفسه، الذي أصبح اليوم زميلاً له في الفريق، بل هو السبب الذي يستخدمه رئيس النادي ناصر الخليفي لاقناع مبابي بالبقاء على اعتبار انه جلب الأفضل في العالم للفريق كي يصبح منافساً شرساً، وهو ما يناقض قناعة مبابي، على غرار كل مشجعي الريال الذين يرون ان كريستيانو هو الأفضل في العالم.

رغم أن هذه تبقى مجرد فكرة، لكنها تبقى أقرب إلى الحقيقة والواقع، خصوصاً عندما نرى طريقة تعامل مبابي مع ميسي خلال الحصص التدريبية، من بين الصور والفيديوات المنشورة، ونرى نوعاً من العنجهية والغطرسة والبغض يتعامل بها مبابي مع النجم الأرجنتيني، لكن في المقابل عندما ينضم مبابي إلى معسكر المنتخب الفرنسي فانه يستمع بلطف وعناية لكل حرف يقوله هداف الريال كريم بنزيمة كأنه طالب نجيب، أيضا بحسب الصورة والفيديوات المنشورة، بالاضافة إلى احتفالاته المبهجة والخاصة مع أشرف حكيمي كلما سجل هدفاً لأنه يذكره بالريال، كون النجم المغربي كان لاعباً معه.

ربما قد يأتي الوقت ويتمنى سان جيرمان لو باع مبابي ووافق على عروض الريال، ليس لضمان عدم فقدانه مجانا، بل ربما لضمان وجود التجانس والتفاهم والاستقرار في الفريق الأكثر شهرة وعجا بالنجوم، وللخط الهجومي الأكثر شهرة، ليكتشف ان هناك فارقا بين حلم في الخيال وواقع ملموس.

@khaldounElcheik

مغمور مولدافيا فريق انفصالي وغامض

لندن – «القدس العربي»:

استهل شيريف تيراسبول المولدافي مشاركته الأولى في دور مجموعات دوري أبطال أوروبا بالفوز على ضيفه شاختار دانيتسك الأوكراني 0/2، ضمن المجموعة الرابعة في أبرز مفاجآت المرحلة الأولى الاسبوع الماضي قبل أن يحل ضيفاً على ريال مدريد المتوج بلقب المسابقة القارية 13 مرة (رقم قياسي) داخل الشهر الجاري.

ويسكتشف الريال والإنتر الإيطالي فريقاً لا مثيل له في دور المجموعات، وافداً جديداً يمثّل إقليم ترانسنيستريا الانفصالي الغامض. ويمثل شيريف عاصمة إقليم انفصالي موال لروسيا يبلغ عدد سكانه 470 ألف نسمة، أعلن انفصاله عن باقي مولدافيا اثر حرب أهلية قصيرة بعد تفكك الاتحاد السوفياتي عام 1991، وهو أحد أكثر الدول الأوروبية غير المعترف بها. ومنذ الوقت، يحمي جنود روس إقليم ترانسنديستريا، وهو مستقل بحكم الواقع رغم عدم الاعتراف به من أي دولة في العالم. ورياضياً، وكي تكون قادرة على الانتساب إلى الاتحاد الأوروبي لكرة القدم (يويفا)، تخوض مدينة تيراسبول البالغ عدد سكانها 100 ألف نسمة، الدوري المولدافي. مسابقة أحرزها شيريف 19 مرة في آخر 21 نسخة!

والعداء بين ترانسنديستريا ومولدافيا ليس أقل من العداء بين شيريف تيراسبول والأندية المولدافية الأخرى نتيجة احتكاره للقب الدوري المحلي. ويقول يوري فيرنيدوب المدرب الأوكراني لشيريف: «يقول الناس إن الرياضة ليست سياسة»، لكن في الواقع «الرياضة هي سياسة». ويفخر مشجعو تيراسبول إن «الدولة» البالغة مساحتها نحو 4 آلاف كلم مربع، سيلاقي لاعبوها أبرز نجوم الكرة العالميين، على غرار الفرنسي كريم بنزيمة هداف ريال أو الأرجنتيني لاوتارو مارتينيز مهاجم الإنتر. ويلاحظ إيغور تروتشينسكي (61 عاماً)، مشجع شيريف منذ تأسيسه عام 1997، أنه «سيكتشف المزيد من الناس أن هذا البلد غير المعترف فيه موجود». وعلى الطرف المقابل من دينيستر، النهر الفاصل مع باقي مولدافيا، تبدو الحماسة أقل. ويؤكد الصحافي الرياضي كريستيان جاردان: «لا أرى سبباً لأكون سعيداً». ويتابع: «يمثل هذا النادي جيباً انفصالياً يموّل نفسه من خلال الفساد، والاتجار غير المشروع والاقتصاد غير الرسمي، ما يتسبّب بالحاق ضرر كبير بالموازنة ومصالح جمهورية مولدافيا».

وينتمي الفريق لمجموعة شيريف التي تضمّ محلات السوبرماركت ومحطات الوقود وشبكة الهاتف المحمول ومزارع سمك الحفش ومصنع تقطير الكونياك المحلي. أسّسها اثنان من قدامى رجال الشرطة، أحدهما رئيس النادي الحالي فيكتور غوشان. وتسيطر الشركة الأم لشيريف تيراسبول على الجزء الأكبر من اقتصاد ترانسنديستريا وتلعب دور صانع الرؤساء على الصعيد السياسي. وشيَّدت المجموعة للنادي مجمّعاً رياضياً بلغت تكلفته 200 مليون دولار، يضمّ ملعبين يتّسعان إلى 13 ألفاً و9 آلاف متفرّج توالياً، قصراً رياضياً و16 ملعباً للتدريب. ويقول الحارس الاحتياطي المخضرم سيرغي باشنكو (38 عاماً) المولود في تيراسبول ويحمل ألوان النادي منذ طفولته، إن مسابقة دوري الأبطال كانت دوماً «حلم رئيسنا». لكن شيريف تيراسبول الذي شارك سابقاً في الدوري الأوروبي (يوروبا ليغ)، يبقى مغموراً على الصعيد القاري، وتُقدّر قيمة كامل لاعبيه بـ11.8 مليون يورو فقط (نحو 14 مليون دولار)، بحسب موقع ترانسفيرماركت الاختصاصي، وهو رقم هزيل مقارنة مع قيمة لاعبي ريال مدريد البالغة 783.5 مليون يورو أو حتى 183.8 مليون يورو لشاختار. وضمّنت تشكيلته الأساسية الأخيرة في الدوري المحلي لاعبين من البرازيل واليونان وغانا وغينيا وكولومبيا وحتى لوكسمبورغ. لكنها خالية تقريباً من اللاعبين المولدافيين!

على أي حال، فإن المغامرة في دوري الأبطال «قصة خيالية» بالنسبة للمدرب الذي سيقود الفريق الصغير في ملاعب تاريخية على غرار «سان سيرو» في ميلانو أو «سانتياغو بيرنابيو» في مدريد. ويقرّ فيرنيدوب (55 عاماً): «بصراحة، لم أكن أتوقع ذلك». وبالنسبة للمشجع تروشتشينسكي، لا تهمّ النتائج كثيراً، بل يهمّ التواجد في هكذا مسابقة عريقة، مضيفاً: «نعمل لهذا الهدف منذ عشرين سنة. في غضون عشر سنوات، قد نتوصّل إلى التأهل من دور المجموعات». وعلى الصعيد السياسي، يأمل المدرب الأوكراني الذي يمزّق بلده أيضاً صراع مع انفصاليين موالين لروسيا، أن تغذي مغامرة شيريف الأخوّة بين الأعداء الملداف «على الأرجح ستوحّد مولدافيا وترانسنديستريا». أما الاتحاد المولدافي للعبة، فعبّر عن فرحته الغامرة بتأهل شيريف إلى دور المجموعات «شيريف يوروفانتاستيك (رائع قارياً)».

على الساحة القارية!

جماهير شيريف تعيش قصة خيالية

مجتمع

انقطاع المازوت عن مستشفيات لبنان الضربة القاضية!

عبد معروف

بعد انهيار العملة الوطنية، وفقدان البنزين والأدوية والارتفاع الجنوني بأسعار المواد الغذائية والاستهلاكية، وصل الانهيار لقطاع الكهرباء، وغرقت المدن والقرى بالعتمة الشاملة. العتّمة التي لطالما كانت هاجساً مؤرقاً للمواطنين، تحوّلت إلى واقع مرير، بعد أن توقفت مؤسسة الكهرباء التابعة للدولة عن العمل، وأطفأت المولدات الخاصة بسبب فقدان الوقود «الديزل» من الأسواق.

وتعتبر أزمة الكهرباء المزمنة في لبنان معضلة مركبة من مزيج فساد وهدر ومنافسة سياسية وخلل ديموغرافي وأخيرا انهيار أمني.

ويشبه قطاع الكهرباء القطاعات الحيوية كافة، التي تديرها الدولة، والتي أصابها الترهل ونخرها الفساد. ويشهد القطاع نقصاً مزمناً في التغذية ويعتمد على الدعم الحكومي ويتكبّد خسائر فنية وغير فنية تتراوح نسبتها التقديرية بين 36 و40 في المئة، حسب الدراسات التي صدرت عن وزارة الطاقة ومؤسسة كهرباء لبنان.

ولسد الفجوة بين الإمداد والطلب على الكهرباء، أُجبر الأهالي على دفع اشتراكات مكلفة للحصول على الكهرباء من مولدات خاصة تخرج عن السيطرة ومراقبة الحكومة، ويملكها أفراد يقومون بتوزيع الكهرباء على المنازل والمؤسسات، تعوض سياسة التقنين القاسية التي تتبعها الدولة مقابل مبالغ كبيرة.

وفي هذا السياق، اعتبر المواطن حسين الملاح أن التقنين القاسي لقطاع الكهرباء ينعكس سلبا على الاقتصاد وعلى الشعب اللبناني، وأضاف «صرفت الدولة مبالغ طائلة على الكهرباء منذ 1990 قدرت بـ43 مليار دولار، من دون جدوى».

وأكد أن عجز الموازنة وديون لبنان تتراكم بسبب الكهرباء و«المواطن يدفع فاتورتين، واحدة للدولة وثانية لأصحاب المولدات» وتابع «المضحك المبكي أننا موعودون بعتمة كاملة».

يتميز قطاع الكهرباء عن باقي القطاعات في لبنان بكلفته الهائلة، وخسائره الكبيرة التي بلغت أرقاماً قياسية بالنسبة لبلد صغير، حيث تجاوز الـ43 مليار دولار، وكان من أبرز الأسباب في أزماته الاقتصادية الحالية، وهذا كله من دون أي حلول جذرية أو مستدامة.

وقد ازدادت الأزمة قسوة خلال الأشهر القليلة الماضية، لأن انهيار الكهرباء، لم تتأثر به الإنارة أو تشغيل المكيفات أو حتى تشغيل البرّادات خلال فصل الصيف، فحسب بل تعني توقّف توزيع المياه، وإطفاء آلات الأوكسجين في المستشفيات وإطفاء غرف العمليات، لعدم قدرة أي مولّد خاص على تزويد المستشفيات 24 ساعة يومياً.

«حياة قاسية نعيشها» قال نايف النمري (70 عاما) لـ«القدس العربي» وأضاف وهو يقف أمام منزله في بلدة الشويفات قرب بيروت «أنا مريض، خرجت من البيت بسبب شدة الحرارة وأحتاج لدواء أبحث عنه منذ أكثر منذ أسبوعين ولم أجده حتى الآن، نعاني في النهار والليل. نعيش بدون كهرباء والأدوية مفقودة من الصيدليات، والأسعار جنونية، حياة قاسية وصعبة» وختم قائلا: «كيف يطلبون منا العيش. نصرخ ولا نجد من يغيثنا».

لا تختلف حال المواطنين في كافة المناطق، فالكهرباء تغيب بشكل شبه كلّي عن بيروت وطرابلس وصيدا وصور والبقاع وجنوب لبنان، والمعاناة واحدة. ففي جنوب بيروت قرب مدينة الدامور يعيش أهالي بلدة حارة الناعمة، بظلام دامس منذ أيام طويلة، معظم المحلات التجارية أقفلت أبوابها بسبب تلف المواد الغذائية التي تحتاج لثلاجات لحفاظ الألبان والأجبان واللحوم والمواد الأخرى، وبعض المحلات أقفلت أبوابها بسبب الفوضى العارمة بأسعار المواد الغذائية بعد فقدان العملة قيمتها الشرائية وتخبط الأسعار.

يقول وليد مزهر ويعمل مدرسا في البلدة: «أزمات كثيرة أصبحنا نعاني منها، نتعذب ونعاني القهر والذل، ولا يبدو أن هناك معالجات في الأفق، بل يريدون منا التعايش مع الأزمة ومع الحرمان والقهر، نصطف بطوابير الذل لتعبئة سياراتنا بمادة البنزين أن وجد في محطات الوقود، ونمضي أوقاتا طويلة أيضا نبحث عن أدوية وحليب لأطفالنا، تتلف الأطعمة والمواد الغذائية بدون ثلاجات وبرادات».

وقال لـ«القدس العربي» والتعب يرتسم على تقاسيم وجهه: «على ما يبدو، لا يعملون لإيجاد الحلول، بل يريدون أن يعتاد الناس العتمة كما تعوّدوا شحّ البنزين والغاز المنزلي».

وفي صيدا أوضاع الكهرباء أسوأ حالا من المناطق الأخرى في لبنان، حيث شهدت المدينة انقطاعًا شاملا للكهرباء عن معظم أحيائها بعد إطفاء غالبية المولّدات، وأعلن العديد من أصحاب مولدات الكهرباء توقفهم عن العمل، بعدما تفاقمت أزمة شح المازوت وأدت إلى عدم قدرتهم على تأمين التيار الكهربائي لعدد كبير من أحياء المدينة وبلدات جوارها.

وإذ اسف أصحاب المولدات في بيان اتخاذهم هذا القرار، ناشدوا الحكومة متمنين مساعدتهم للحصول على الكمية الكافية من المازوت ليتمكنوا من «إيعاد شبح العتمة عن أهالي المدينة والجوار وتأمين الحد الأدنى من ساعات التغذية لا سيما في هذه المرحلة الصعبة التي تداخلت فيها الأزمات الاقتصادية والمعيشية والصحية بأعلى درجاتها».

الخطر يهدد المرضى

وأعرب مدراء المستشفيات في المدن اللبنانية عن قلقهم بسبب الخطر الذي يهدد حياة المرضى بعد انقطاع الكهرباء وإطفاء المولدات الخاصة.

وأكد المدير العام لمستشفى بهمن في الضاحية الجنوبية من بيروت علي كريّم أنّ «المستشفى أمامه وقت قصير جدا، فخزّان المازوت الأساسي قد نفد مخزونه، لكنّ الخزّانات الصغيرة ما تزال تحتوي على كميّة من المازوت قرب مولّدات الكهرباء، وإذا لم نتمكّن من تأمين المازوت لتغذية المولد الكهربائي فسنكون أمام كارثة حقيقية».

ولفت إلى أنّه تواصل مع نقيب المستشفيات الخاصّة سليمان هارون، كما أجرى اتّصالاته بكلّ المعنيّين، وأبلغهم بأنّ الأمور باتت خطيرة، فـ«القصة مش مزحة». وأكّد كريّم أنّ «هناك سعياً لتأمين المازوت، وقد أخذنا وعوداً بذلك اليوم» آسفاً لما وصل إليه حال القطاع الصحيّ في لبنان، قائلاً: «نحن لا نطلب أموالاً ولا حتى مساعدة، ما نريده المازوت كي لا يموت المرضى».

وأكد نقيب المستشفيات في لبنان سليمان هارون تبلّغه «نفاد المازوت من مستشفيات قرطباوي وبهمن والحياة، فيما ينتظر المرضى ومنهم على أجهزة التنفس». وقال: «حتى اللّحظة ما من حلول في الأفق على الرغم من المساعي، ويجري البحث في نقل المرضى إلى مستشفيات أخرى ما لم يتوفّر المازوت». أمّا في باقي المستشفيات، فيؤكد النقيب أنّ المخزون «لا يكفي لأكثر من أيام قليلة».

يُذكر أن المستشفيات أطلقت صرختها، محذّرةً من نفاد كميّات المازوت لديها التي يصعب إيجادها في الأسواق نتيجة الاحتكار والسوق السوداء، ما يهدّد القطاع الصحي بكارثة، في الوقت الذي يشهد لبنان انتكاسة كبيرة في مواجهته لانتشار فيروس كورونا المستجدّ وعودة الارتفاع في أعدّاد الإصابات.

دجاج بالطماطم والأرضي شوكي

المكوّنات

4 قطع صدور دجاج
ملعقة صغيرة ملح
ملعقة صغيرة فلفل
2 ملعقة كبيرة زيت زيتون
نصف بصلة مفرومة
4 فصوص ثوم مفروم
كيلو طماطم مفرومة
نصف كيلو أرضي شوكي
ملعقة صغيرة ملح
ربع كوب زيتون مفروم
نصف كوب جبن فيتا مفتتة
2 ملعقة كبيرة ريحان مفروم

طريقة التحضير

نتبّل الدجاج بالملح والفلفل، ونضع الزيت في مقلاة على النار، ونضيف الدجاج ونقلبه حتى يتحمر ويستوي.

نرفع الدجاج من المقلاة ونضعه جانباً. ثم نضيف البصل للزيت ونقلبه حتى يذبل.

نضيف الثوم، والطماطم، والأرضي شوكي والملح، ونقلّب الخليط لمدة 10 دقائق.

نرفعه عن النار ونضعه في طبق، ونضيف فوقه قطع الدجاج ونفتت فوقه الجبنة، والزيتون والريحان.

نقدّم الطبق ساخناً مع الباستا.

يمكنكم المساهمة في طبق الاسبوع بارسال وصفاتكم الخاصة إلى ايميل:
recipe@alquds.co.uk

تناول الفاكهة صباحا هل هو مفيد؟

تعود الكثيرون على تناول الفاكهة بعد وجبة الغذاء أو مساءً قبل النوم. لكن يبدو أن هذه العادة غير صحية تماماً وتؤدي إلى مشاكل في الهضم. ويرى بعض خبراء الصحة أن أنسب وقت لتناول الفواكه هو في الصباح وعلى معدة فارغة، ما السبب؟

وتعد الفاكهة جزءاً أساسياً في نظام التغذية الصحي، ولكن ينبغي على المرء مراعاة بعض الأمور للاستفادة منها بشكل تام. بالطبع تحتوي الفواكه على سكر الفاكهة الطبيعي وكميته معتدلة، إلا أنه يجب عدم الإفراط في تناولها. وفي الواقع، يتم هضم الفواكه في الجسم بطرق مختلفة، وذلك وفقاً لكون المعدة خالية أم ممتلئة، ولهذا السبب، يُنصح بتناول الفواكه في الصباح إن أمكن.

فعند تناول الفاكهة على معدة فارغة، يقوم الجهاز الهضمي بتفكيك السكر الموجود فيها بسرعة، وبالتالي يمكن الاستفادة بشكل أفضل من المواد الغذائية الموجود في الفاكهة، مثل الألياف وفيتامين «C» كما تحتوي الفواكه على مواد مضادة للأكسدة يمكن أن تقلل من الالتهابات في الجسم. علاوة على ذلك، فإن تناول الفاكهة على معدة فارغة يساعد على الاستفادة بأكبر قدر ممكن منها.

والجدير بالذكر أن تناول الفاكهة مع أطعمة أخرى يؤدي إلى تباطؤ عملية الهضم، والسبب هو انشغال الإنزيمات الهضمية بالقيام بوظائف أخرى، ما يعني بقاء الفواكه لفترة أطول من اللازم في الجسم وبدء تخمرها، وهو ما يؤدي إلى تعفنها في الأمعاء، محدثة عسراً في الهضم وانتفاخ البطن ومشاكل في جهاز الهضم على المدى الطويل.

وربما يكون تناول الفواكه مع وجبة الفطور أمراً غير معتاد لدى البعض، ولذا ينصح خبراء التغذية بالتعود على تناولها مع الفطور بشكل تدريجي، كتناول عصير الفاكهة. وفيما يلي بعض الأفكار لوجبة فطور مؤلفة من الفواكه تساعدنا في الحصول على أكبر قدر ممكن من الطاقة والإحساس بالشبع لساعات طويلة.

سلطة التوت البري: يعد التوت من الفواكه التي تحتوي على كميات عالية من مضادات الأكسدة، ما يجعل تناوله مناسباً في وجبة الفطور، فضلاً عن أن سعراتها الحرارية منخفضة جداً. لذا ينصح بمزج حبات التوت مع قليل من الفراولة وإضافة قليل من اللوز أو الزبادي. عصير الفواكه الأخضر: من يفضل أن يبدأ اليوم بتناول العصير، يمكنه تناول عصير الفاكهة الخضراء، الذي يتألف من حليب اللوز مع قليل من الكرنب والموز وبضعة حبات من التوت.

الحمل

من الصعب التركيز وانت تفكر بالراحة

الثور

لا تدع الذكريات الأليمة تسيطر على أفكارك

الجوزاء

تتعرض للخداع والاستغلال من أحد الزملاء

السرطان

تتوصل لتحقيق المشروع الذي انتظرته طويلاً

الاسد

هدوء وتوازن صحي ينتظرانك هذا اليوم

العذراء

تصبح حراً في اتخاذ قرارات عملية مناسبة

الميزان

حياتك العاطفية بحاجة إلى بعض التجديد

العقرب

مجال عمل جديد تريد خوضه

القوس

أنت معرض لتوتر في الأعصاب

الجدي

يلتف حولك الأصدقاء وتشعر أنك محبوب

الدلو

لا داعي للخوف لأن الحظ حليفك

الحوت

كن أكثر حذرا في التعامل مع زملاء العمل

جديد الطب

دراسة علمية: مشاكل العيون تزيد فرص الإصابة بالخرف والأمراض العقلية

لندن ـ «القدس العربي»:

أظهرت دراسة علمية حديثة أن المشاكل الصحية في العين تزيد بشكل كبير من خطر الإصابة بالخرف في وقت لاحق من العمر.

وقال باحثون إن المرضى الذين يعانون من تدهور في الرؤية هم أكثر عرضة لضعف القدرة على التذكر أو التفكير أو اتخاذ القرارات، بحسب الدراسة التي نشرت نتائجها جريدة «دايلي ميل» البريطانية.

وقام الباحثون في هذه الدراسة بتحليل بيانات 12364 بالغاً تتراوح أعمارهم بين 55 و73 عاماً ووجدوا أن خطر الإصابة بالخرف كان أعلى بنسبة 26 في المئة لدى المصابين بالضمور البقعي المرتبط بالعمر.

أما الذين يعانون من إعتام عدسة العين فتزيد لديهم احتمالات الإصابة بالخرف بنسبة 11 في المئة، وترتفع هذه النسبة إلى 61 في المئة لمن يعانون من أمراض العيون المرتبطة بالسكري.

وقال الباحثون، من أكاديمية «قوانغدونغ» للعلوم الطبية في الصين إنهم لا يستطيعون تحديد الأسباب ولا الروابط بين مشاكل العيون والإصابة بالخرف، إلا أنهم انتهوا إلى التأكيد بأن مشاكل العين لديها ارتباط بعوامل الخطر المعروفة للخرف مثل أمراض القلب.

وكشفت النتائج أيضاً أن أولئك الذين عانوا من مرض السكري وأمراض القلب والسكتة الدماغية والاكتئاب – المعروفة باسم الأمراض الجهازية – كانوا أكثر عرضة للإصابة بالخرف.

وكان الخطر أكبر إذا كان الناس يعانون أيضاً من مشاكل في عيونهم المعروفة أيضاً باسم «حالة العيون».

وقال الباحثون: «إن الضمور البقعي المرتبط بالعمر وإعتام عدسة العين وأمراض العين المرتبطة بالسكري – وليس الغلوكوما – مرتبطة بزيادة خطر الإصابة بالخرف».

وأضافوا إن «الأفراد الذين يعانون من حالات عينية وجهازية هم أكثر عرضة للإصابة بالخرف مقارنة بأولئك الذين يعانون من أمراض العيون أو الجهازية فقط».

وقال الباحثون إن دراستهم كانت قائمة على الملاحظة وبالتالي لا يمكنهم تحديد أسباب ارتباط الإصابة بحالة العين بزيادة خطر الإصابة بالخرف.

ومع ذلك، يمكن أن تكون أمراض العين مرتبطة بعوامل الخطر المعروفة للخرف بما في ذلك مرض السكري وأمراض القلب والسكتة الدماغية وارتفاع ضغط الدم والاكتئاب.

وتقول الدراسة إن تدهور البصر قد يؤدي أيضاً إلى نشاط أقل داخل أجزاء معينة من الدماغ، وقد يجعل الأشخاص أقل قدرة على التعرف على وجوه الأصدقاء والعائلة، وقد يعني أنهم غير قادرين على أن يكونوا مستقلين. يشار إلى أنه في بريطانيا يؤثر مرض «إعتام عدسة العين» على حوالي نصف الأشخاص الذين تزيد أعمارهم عن 65 عاماً، بينما يصاب ما يقرب من 40 ألف شخص كل عام بالتقكس البقعي المرتبط بالعمر.

ويقول العلماء إن الإجهاد المطول يزيد من مخاطر الإصابة بارتفاع ضغط الدم ومشاكل القلب بنسبة تصل إلى 90 في المئة. وقال الدكتور كوسوكي إينو، من جامعة كيوتو في اليابان، إن النتائج التي تم التوصل إليها تشير إلى أن اختبار هرمونات التوتر قد يكون مفيداً في درء المرض.

علماء ألمان يحللون آلية طريقتين لعلاج التهاب الجلد التأتبي

في الرابع عشر من أيلول/سبتمبر من كل عام يتم الاحتفال باليوم العالمي للتهاب الجلد التأتبي، وهو المرض الذي يعاني منه نحو 3.5 مليون شخص بينهم نحو 1.3 مليون طفل في ألمانيا. وهو مرض معروف باسم «الإكزيما التأتبية» وهو من أكثر أمراض الجلد شيوعا كما أنه ليس له علاج حتى الآن، غير أن هناك شكلين جديدين للعلاج ظهرا حديثا ويمكن لهما أن يخففا من حدة أعراض هذا الداء ولاسيما للحالات المتوسطة والشديدة. وقدم علماء ألمان تحليلا لآلية عمل هاتين الطريقتين الجديدتين.

وتتمثل أعراض المرض في إصابة البشرة بالجفاف الشديد وإحمرار الجلد مصحوبين بتقشير وشعور لا يطاق بالحكة، ويظهر هذا الداء في سن مبكرة ويتحسن وضعه عند معظم المرضى في مرحلة لاحقة، وثمة سلسلة من العوامل المحفزة التي تهيئ الظروف للإصابة بهذا المرض، منها ما يتعلق بالمناخ حيث تساعد قلة الرطوبة في الهواء على جفاف الجلد يصحبه شعور بالحكة، ويسهل على البكتريا والفيروسات والفطريات اختراق الجلد مع الحك.

وفي النهاية، يؤدي هذا إلى الإصابة بالحساسية حيث يكثف نظام المناعة من رد فعله بإنتاج الأجسام المضادة حتى في مواجهة مسببات الحساسية غير الضارة. وتؤجج الأجسام المضادة بدورها من عملية الالتهاب عن طريق تحفيز خلايا مناعية أخرى لإفراز مواد تساعد على الالتهاب، ويلخص بيتر السنر مدير مستشفى الأمراض الجلدية التابعة لمستشفى بنا الجامعي شرقي ألمانيا هذه الحالة قائلا: «هذا يؤدي إلى حلقة مفرغة من الحكة والهرش تعتمد من ناحية على اضطراب الحاجز الواقي للجلد ومن ناحية أخرى على اضطراب الجهاز المناعي». وأضاف السنر الذي يعمل أيضا متحدثا باسم الجمعية الألمانية للأمراض الجلدية «دي دي جي» أن هذا الاستعداد للإصابة بمرض التهاب الجلد التأتبي منتشر على نحو واسع في ألمانيا «فنحو ثلث من هم هنا في بلادنا لديهم مثل هذا الاستعداد للإصابة بالمرض».

وأوضح طبيب الأمراض الجلدية أن «التهاب الجلد التأتبي الخفيف المصحوب بشعور حكة وجفاف يمكن علاجه في الغالب بشكل جيد بطريقة علاج أساسية تعتمد على استخدام كريم عناية بسيط، يحتوي والمأخوذ من طب زراعة الأعضاء». وذكر السنر أن كلا العلاجين يحرزان نجاحات جيدة في مواجهة المرض غير أنهما مرتبطان بآثار جانبية بعضها قوي «ودائما ما كنا نتمنى توافر وسائل لها تأثير مباشر على عمليات الالتهاب».

وأوضح أن هذا بالضبط ما توفره الطريقتان الجديدتان للعلاج والتي تعتمد إحداهما على أجسام مضادة من نوع خاص والأخرى على ما يعرف بالجزئيات الصغيرة. ومن بين الأدوية التي يشلمها العلاج بالأجسام المضادة والمعروف أيضا باسم «بيولوجيكا» دواء «دوبيلومب» الذي تم التصريح باستخدامه منذ ايلول/سبتمبر 2017 لعلاج البالغين ومنذ تشرين الثاني/نوفمبر 2020 لعلاج الأطفال على اليوريا أو الغلسرين، وكذلك عن طريق الأشعة فوق البنفسجية». وفي المقابل، تحتاج الحالات الأكثر شدة إلى علاج منهجي فعال داخليا «وقد كان هناك خياران فقط للعلاج قبل ما يتراوح بين عامين وثلاثة أعوام، الخيار الأول يعتمد على استخدام الكورتيزون الداخلي، والخيار الثاني يعتمد على استخدام السيكلوسبورين المثبط للمناعة اعتبارا من سن ست سنوات، الذين يعانون حالات متوسطة إلى شديدة. وتعمل المادة الفعالة في هذا الدواء على منع عنصرين أساسيين من بروتينات الاستجابة المناعية، وبالتالي تحييد تأثيراتها المساعدة على الالتهاب. وثمة دواء آخر يعتمد على طريقة الأجسام المضادة وهو ترالوكينوماب والذي تم التصريح به في الاتحاد الأوروبي في حزيران/يونيو الماضي كمستحضر دوائي.

وقال رئيس جمعية «دي دي جي» ومدير مستشفى الأمراض الجلدية والحساسية في مستشفى ماربورغ الألمانية، ميشائيل هيرتل، في بيان بمناسبة اليوم العالمي لالتهاب الجلد التأتبي إن» ميزة دوبيلومب تكمن في أنه وفر لنا خيارا يتسم بفعالية جيدة جدا بالنسبة لما يتراوح بين 60 و70 في المئة من أصحاب الحالات المرضية الشديدة».

ويكمل السنر قائلا إن أدوية بيولوجيكا التي تم التصريح بها حتى الآن يمكن احتمالها بشكل كبير «فنحو 20 في المئة من المرضى أفادوا بحدوث لسعة أو التهاب في العينين كآثار جانبية مزعجة لكنها ليست ضارة، وقد أقبل الكثيرون على تحملها بعدما اختفت الحكة المؤلمة إلى الأبد». ويقول رئيس الرابطة المهنية لأطباء الجلد الألمان رالف فون كيدروفسكي، إن أعراض الإصابة الشديدة بالمرض يمكنها في الواقع أن تقلل من استمتاع المرضى بحياتهم، فهي تؤرقهم ليلا بسبب الحكة والآلام كما أن التغييرات الملحوظة على الجلد يتم النظر إليها في بعض الأوساط الاجتماعية على أنها «مثيرة للاشمئزاز».

وأظهرت دراسات من الدنمارك والولايات المتحدة أن التهاب الجلد التأتبي عند الأطفال يتسبب في اضطرابات في التعلم وضعف النجاح الدراسي، وقال السنر إن «الالتهاب التأتبي مرض يتجاوز الجلد على نحو واسع». وأضاف أنه رغم السعادة بظهور إمكانيات جديدة للعلاج مثل بيولوجيا التي يلزم إعطاؤها عن طريق الحقن، فإن هناك شكوكا في إمكانية استخدام هذه الطريقة بالنسبة لكل المرضى «وهنا يظهر لنا الخيار الجديد الآخر للعلاج باستخدام مثبطات جانوس كينيز» مشيرا إلى أن هذه الجزئيات الصغيرة تمنع انتقال الإشارات داخل الخلية ما ينجم عنه هدوء حدة الالتهاب. وكتب السنر أن «هذه المثبطات أظهرت فعالية خاصة جدا مع تأثيرات جانبية ضئيلة» وتابع أن المادة الفعالة التي تم التصريح بها للبالغين يمكن أن يتم تناولها في صورة أقراص.

وقال إن كلتا الطريقتين – بيولوجيكا والجزئيات الصغيرة– مناسبتان بالدرجة الأولى للحالات الشديدة لمرضى الالتهاب التأتبي وتحرزان نجاحات في علاج هذه الحالات وفي بعض الحالات بسرعة شديدة، وبعض المرضى أفادوا بحدوث انخفاض هائل في الشعور بالحكة في غضون أيام قليلة حتى إنه أمكنهم الاستغراق في النوم لأول مرة منذ فترة طويلة».

ورأى السنر ان النجاح في هاتين الطريقتين يعود على وجه الخصوص إلى تحسن فهم العلماء لآليات حدوث الالتهاب، كما أن الدراسات عن هذا الموضوع في هذه الأيام لم تعد تستغرق أسابيع قليلة بل إنها صارت تتم في شكل دراسات طويلة الأمد يستغرق بعضها ما يتراوح بين ثلاثة إلى خمسة أعوام، وهو إجراء ضروري في حالة المرض الذي يعمل مساره على مدار مراحل «وصار من البديهي في العلاج حاليا زيادة الاهتمام بالعوامل النفسية والاجتماعية».

مهرجان الإسكندرية السينمائي وقفة أمام تكريم بدرخان ودريد لحام

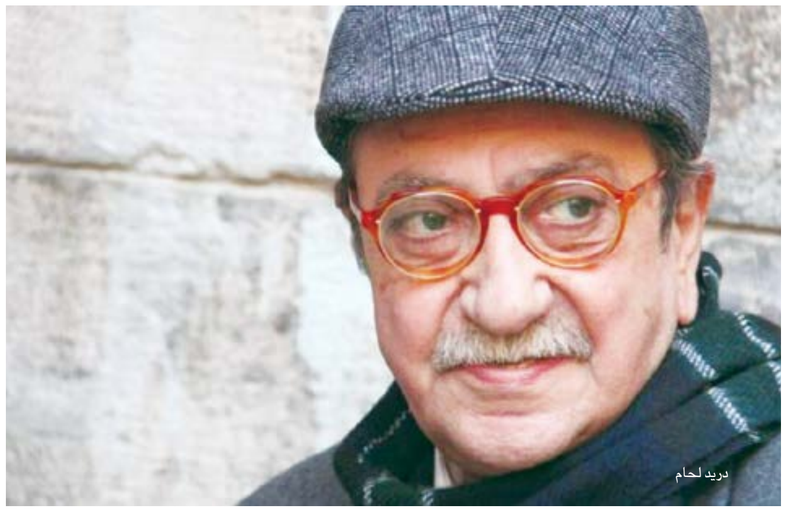

دريد لحام

كمال القاضي

الدورة السابعة والثلاثون لمهرجان الإسكندرية لأفلام دول البحر المتوسط ستنحصر فعالياتها ما بين 25 إلى 30 ايلول/سبتمبر الجاري. وقد حملت دورة هذا العام إشارة تفاؤل بإهدائها للمخرج الكبير علي بدرخان صاحب الرصيد الوفير والثمين من الأفلام السياسية الموقعة بإمضائه كـ«الجوع» و«الكرنك» و«شفيقة ومتولي» و«أهل القمة». وليس من قبيل الصدفة أن تكون الرؤية السينمائية للمخرج الكبير هي المُترجمة لأهم روايات الأديب العالمي نجيب محفوظ، ذلك لأن هناك توافقا إبداعيا وفكريا وحالة مزاجية مُشتركة بين الأديب والمخرج.

وربما فطن مهرجان الإسكندرية هذا العام إلى أهمية بدرخان كمخرج كبير بعد سنوات من النسيان أو التناسي فأراد أن يبيض وجهه بتكريم الرجل وإهداء الدورة 37 إليه وإصدار كتاب يتضمن مشواره وتفاصيل من حياته يحمل عنواناً مُغرياً بالقراءة، حيث وصفة بالثائر على الغلاف في طباعة أنيقة سيكون له بالقطع المردود الإيجابي لدى القارئ وهو استحقاق واجب لصاحب النزعة الثورية قولاً وفعلاً وربيب الإبداع السينمائي كابراً عن كابر فهو وريث أبيه المخرج الكبير أحمد بدرخان مُبدع فيلم «مصطفى كامل» الذي تناول سيرة الزعيم الوطني مصطفى كامل وقدمها على شريط السينما كوثيقة وطنية سياسية بالغة الأهمية إبان فجر السينما المصرية وعصرها الذهبي، ومن ثم فلا غرابة في أن يُوصف علي بدرخان الابن بالثائر في إطار تكريمه الذي تأخر كثيراً.

وفي ضوء اختيار المخرج الكبير ليكون واجهة مضيئة للدورة الفارقة بحضوره وتكريمه يثور السؤال المهم، لماذا جاء التكريم متأخراً كل هذه السنوات؟ وما الذي عطل القرار وأجل الإهداء لما يقرب من عشرين عاماً على الأقل طالما أن هناك اتفاقا على قيمة المُبدع وأهمية إبداعه؟ أليست هي التوازنات والحسابات الدقيقة التي جعلت الاحتفاء والاعتراف يُرجأ كل هذا الوقت فيأتي بعد طابور طويل من المُكرمين والمُكرمات الأحياء منهم والأموات؟

أتعجب من الجرأة التي يتحدث بها البعض عن تاريخ بدرخان ودورة النقابي وفضله على الحركة السينمائية المصرية وأجيالها من السينمائيين الشباب كأنهم اكتشفوا ذلك فجأة بعد أن بلغ الرجل مبلغاً من العُمر والخبرة، وأنهم طوال السنوات الماضية لم يكونوا مُدركين أنه المخرج الكبير المناضل من أجل العدالة والحرية وإرساء مبادئ الديمقراطية على حد قولهم وزعمهم بأنهم مراقبون لدوره الفني والسياسي ومثمنون له ومضطلعون بإبرازه كنوع من رد الجميل.

لا شك في أن علي بدرخان واحد من صُناع السينما المهرة وأنه بحق يعد حجر الزاوية في البناء السينمائي المصري والعربي، لكن العبرة في مسائل التكريم والإشادة والشهادة أن تكون خالصة لوجه الإبداع لا أن تتحول إلى متاجرة بإسم المُبدع وغطاءً لتجميل وتزيين الفعالية الثقافية وعربون صُلح لفض الاشتباك بين السياسة والسينما، لا سيما أن الإشارات الواردة لدلالات التكريم المستحق في اللغة الصحافية حملت هذا المعنى في مضامين بعض الكلمات والشعارات، كالحرية والديمقراطية والعدالة إلى آخرة، وهذا ما يُشكك في النوايا ويذهب بالظنون بعيداً عن اعتبارات الإنجاز والتفوق التي هي من دواعي تميز المخرج الكبير بالفعل وليست أكلشيهات محفوظة ومُتبعة في كل المناسبات ومع كل الشخصيات.

وجدير بالذكر أيضاً أن المهرجان سيمنح المخرج السوري الكبير دريد لحام وسام عروس البحر المتوسط في محاولة أخرى منه لرفع القيمة الأدبية والسينمائية لإنقاذ الدورة المقبلة من الفشل في ظل التحديات الصعبة المُتمثلة في عدم وجود دعم مالي يكفي لتغطية النشاطات حسب الشكوى الدائمة كل عام، علماً بأن المهرجان يكرم في دورته عدداً وفيراً من الفنانين ويُصدر 16 كتاباً تذكارياً في إطار الاحتفاء والاحتفال، والغريب أن المعلومات المتوفرة عن الكتب والمكرمين بالصحف والمواقع الإلكترونية أضعاف المتوافر عن عدد الأفلام المشاركة التي قيل أنها تبلغ حوالي 150 فيلماً، من بينها أفلام مصرية وعربية وأجنبية، وقد جاء فيلم «صدفة» اللبناني في مقدمتها، غير أن هناك إشارة للمشاركة السورية المُكثفة هذا العام. الغريب أن المركز الإعلامي للمهرجان الدولي المُهم لم يُعلن حتى وقت متأخر للغاية عن اسم فيلم الافتتاح وجنسيته تحسُباً لحدوث تغيير مفاجئ في الترتيبات، وهو من انعكاسات سوء التنظيم المُعتاد في كل الأعوام والذي زادت ضراوته مع التخوف من تداعيات كورونا وأزماتها المُتجددة.

الشيء الوحيد الذي حرصت عليه إدارة المهرجان هو البروبغاندا والإعلان عن الشخصيات المُكرمة والتي يبرز من بينها سلوى خطاب وخالد الصاوي وطارق التلمساني وعمر عبد العزيز، بالإضافة إلى أسماء الراحلين من المثقفين والسينمائيين الكبار، وزير الثقافة الأسبق ثروت عكاشة ومحمد رضا وكمال الشناوي وعاطف سالم ورمسيس نجيب والناقد ضياء حسني كآخر من افتقدتهم الساحة السينمائية خلال الشهور القليلة الماضية.

لم يزد المهرجان السينمائي الكبير عن كونه مناسبة ثقافية تُقام سنوياً في المدينة الساحلية العريقة ويُدعى إليها القاصي والداني لتتحول الإسكندرية إلى مضيفة كبيرة تستقبل الزوار على خلفية الطقس السينمائي السياحي الإعلاني، بينما تخرج السينما المصرية ذاتها من الكرنفال الاحتفالي بالتمثيل المُشرف إذا كان لها نصيب يُذكر من المُشاركة وتبقى كالعادة نبرة الإفلاس وطلب الدعم هي العلامة الدالة دائماً على الفقر!

علي بدرخان

حين قرر المناضلون عرض «كفر قاسم»

برهان علوية في عيون معارفه: ترك أجيالا

بيروت ـ «القدس العربي»: زهرة مرعي

في يوم بعيد عن الراهن الذي نعيشه قال برهان علوية «فلسطين هي التي أدخلتني السينما». فمنذ فيلمه الروائي الأول الذي أراده عن افعال الاستعمار الوحيد الباقي في العالم «كفرقاسم» كان رائد السينما اللبنانية والعربية البديلة مدركاً لدور السينما في الصراع مع الصهيونية. المخرج الذي يفتخر بأنه أخرج ما اختار من أفلام ووفق قناعاته، يفتخر أيضاً بعروبته وقناعاته التي بناها على أسس الحق والعدالة الإنسانية، ومن دون أن يتبجّح بذلك.

رحل برهان علوية في بلجيكا بعيداً عن بلدته أرنون الشقيف، وبعيداً عن نسيم فلسطين المحتلة. رحل لكنه أوصى بأن يرتاح جسده في مسقط رأسه وهكذا كان.

برهان علوية الذي استوطن الحزن عينيه منذ الشباب إلى الرحيل ينتمي لجيل هزّته الخيبات بعنف، ولم يساوم على الحق والحقيقة. صحيح أن آخر ما نطق به من سينما هو فيلم «خلص» سنة 2006 لكنه يدرك أن تلامذته كثر وسيكملون الطريق من بعده.

في هذا التحقيق عن برهان علوية قراءة من صديقة ومن طالب ومن قريبة.

ليلى شهيد: لم يعرف التنازلات ولم يحتمل احتضار بيروت فقرر الرحيل

علاقة وطيدة جمعت برهان علوية بليلى شهيد التي شغلت منصب سفيرة فلسطين في فرنسا. بدأت تلك العلاقة في عام 1975 وكُبُرت. تستعيد شهيد تلك الأيام وتقول لـ«القدس العربي»: إنها معرفة تعود لسنة 1975 كنت حينها رئيسة اتحاد طلبة فلسطين في فرنسا حين جاءني طلبة مناضلون ليضعونني أمام الأمر الواقع، قائلين بأن فيلم «كفرقاسم» لبرهان علوية يجب عرضه في صالات الشانزيليزية وفي كافة صالات فرنسا. كان أول فيلم عربي وعالمي يصنع عن مذبحة لم يجف دمها بعد في فلسطين. وصلت إلى «مارين كارميتس» وهو أهم الموزعين في فرنسا وصاحب صالات MK2 بناء على نصيحة من أحدهم بأنه يهوى سينما المؤلف. رغم كونه يهوديا إلاّ أنه أبدى انحيازاً للفيلم الجيد. وعندما شاهد «كفرقاسم» قرر توزيعه في كافة صالاته. في هذا الفيلم يستعيد برهان علوية فعلة الصهاينة سنة 1956 فقد أعلنوا وسط النهار منعاً للتجول في فلسطين، فيما كان العمّال الزراعيون منتشرين في الحقول، ولدى عودتهم مساء أبادهم الإحتلال بالرصاص رغم حملهم لبطاقة الهوية الإسرائيلية. وفي اليوم التالي كان الهجوم الثلاثي على مصر، ليتبين أن هدف المجزرة بث الرعب في نفوس الناس. وإلى اليوم برأي لا يزال «كفرقاسم» أهم فيلم روائي عن فلسطين.

وأضافت ليلى شهيد: فرح برهان علوية لتوزيع فيلمه من قبل أهم الموزعين. ومن حينها توطدت العلاقة بيننا. برهان سينمائي غير عادي. إنسان معجون بالثقافة العربية، وبمجتمعه اللبناني، وبالتراث الشيعي الذي نشأ عليه. لم يكن مطلقاً نسخة عن أي سينمائي غربي، ولم يكن يهتم برأي الغرب. يهتم بتقديم سينما عربية حقيقية على درجة حرفية عالية. ويهتمّ بتعزيز الذاكرة السينمائية العربية عن كافة المضطهدين، وفلسطين في الطليعة. وهكذا سجل فيلم «كفرقاسم» القفزة النوعية الأولى في تاريخ القضية الفلسطينية، وطغى حضوره على الخطابات السياسية الرنّانة جميعها. لقد سبق ونفّذ الصهاينة فيلم «إكسوديس» قبل اغتصاب فلسطين. و«إكسوديس» باخرة حملت مجموعة يهود هربوا من النازيين خلال الحرب العالمية الثانية إلى فلسطين. ويرى الصهاينة أن هذا الفيلم قدّم خدمات لدولة إسرائيل أكبر بكثير من مليون خطاب سياسي.

وتابعت: قدّم برهان علوية عملاً عظيماً لفلسطين، وتابع مشواره بأفلام عن لبنان الذي كان جرحه. في رأيي رحيله سبق الموت التدريجي الذي تمشي بيروت نحوه. بيروت كانت غرامه نظراً لموقعها في الثقافة العربية. معرفتي ببرهان تقول بأنه لم يكن يحتمل مشاهدة احتضار بيروت فاختار الرحيل.

وتعود ليلى شهيد إلى فيلم «لا يكفي أن يكون الله مع الفقراء» وتروي: كانت تربطني معرفة بالمهندس المصري الكبير حسن فتحي، حين جاء برهان ليخبرني أنه تلقى طلباً بتنفيذ فيلم عنه. هو المهندس الذي بنى أول قرية من الطين اسمها «غورنا» في الأقصر، لتكون منازل للذين يسكنون ويبنون فوق مقابر الفراعنة في وادي الملوك والملكات. كنت صلة الوصل بين حسن فتحي وبرهان علوية وتمّ انجاز الفيلم الوثائقي «لا يكفي أن يكون الله مع الفقراء» وكنت قارئة للنص بنسخته الفرنسية، فالفيلم تحدث عن هندسة بيوت الفقراء غير القادرين على شراء الإسمنت، وجاء شبيهاً بحسن فتحي وبرهان علوية الشاعر والضليع بالثقافة العربية. لهذا بدت أفلامه وكأنها من رحم الرواية، إلى جانب كونها شاعرية، فقد توجها بإحساسه السينمائي العالي.

عن طباع برهان علوية تقول ليلى شهيد: لم يكن مسايراً للمنتجين ولا للنقاد. حتى أنه كان يناقش بعض المنتجين الغربيين في مواقفهم السياسية وبخاصة من يعرف أنهم أصحاب ميول استعمارية ورأسمالية. لم تكن التنازلات واردة لديه. كان متأكداً من مواقفه لهذا برأي ترك مدرسة في الإخراج، ليس فقط على الصعيد العربي بل الغربي كذلك. ولهذا يجب أن تكون سينما برهان ضمن البرامج الدراسية. فهذا اللبناني الجنوبي العروبي والصوفي راقب بدقة تراجيديا الحالة الفلسطينية.

ولم يكن «كفرقاسم» كأول فيلم روائي له صدفة بل اختياراً واعياً، فشكل خدمة كبيرة لقضية الشعب الفلسطيني، لأنه بدّل نظرة الغرب عن فلسطين. فليطبع مع الاحتلال من يرغب من الأنظمة العربية، ويكفي فلسطين وجود مخرجين مبدعين كما برهان علوية رحمه الله.

هادي زكاك: كفرقاسم أعادنا للإنسان وجيل سينمائي آخر بوصلته فلسطين

عن برهان علوية ودور السينما في كشف مجازر الصهاينة بدءاً من فيلم «كفرقاسم» قال المخرج هادي زكاك: ليس «كفرقاسم» الفيلم الأول الذي يتحدث عن الاحتلال الإسرائيلي ومجازره، ولكن أهميته تكمن في كيفية معالجة الموضوع. سأحاول تفكيك بعض العناصر التي تجعل من فيلم برهان علوية تجربة طليعية ومميزة جداً خلال السبعينيات.

أ– مقابل سطوة الخطاب القومي والوطني في قرية «كفرقاسم» يعيدنا برهان علوية إلى الأرض لنسمع صرخة الإنسان الفلسطيني العادي الذي أضاع أفراد عائلته منذ النكبة سنة 1948 فانتشروا في الأردن وسوريا ولبنان. هناك مأساة المقيمين ومأساة الشتات فكل عائلة تمزقت حتى أن البعض لجأ إلى تغيير اسمه مثل عبدالله الذي يعمل في أحد المقاهي في تل أبيب وأصبح معروفاً باسم إيلي منعاً لإثارة حساسية الزبائن اليهود. إنها عملية إلغاء شاملة لا تنتهي مع سرقة الأرض وشرذمة المجتمع بل تجعل المواطن الأصلي يظهرعلى شكل تذكار يُباع للسوّاح وكأنه لعبة تسمح لمقتنيها أن يتسلى بشنق العربي.

ب– يتابع الفيلم استكشاف الحياة اليومية في كفرقاسم معتمداً على إيقاع فيلم وثائقي وكأن الكاميرا موجودة مع السكان الأصليين سنة 1956. تلعب بلدة الشيخ سعد في سوريا وهي قريبة من مدينة طرطوس دور قرية كفرقاسم في الفيلم. فمع احتلال أرض فلسطين، يُعاد تكوين الأراضي المسلوبة على أراض عربية أخرى سينمائياً. يتم اختيار مساحة قد تكون شبيهة بكفر قاسم ومن اللافت العسكريين عن المجزرة، الذين ستحاكمهم إسرائيل بالتوبيخ أو بالسجن قبل أن يعودوا بعد فترة قصيرة إلى عملهم. لسنا هنا أمام رسم كاريكاتوري للعسكري الإسرائيلي كما كان يحدث في أفلام الحركة، بل أمام تجسيد لأسماء حقيقية. كما يحرص الفيلم على عدم الاكتفاء بذكر عدد القتلى، بل يلجأ إلى ذكر الأسماء وأعمارهم بعيداً عن الإطار الإخباري حيث يتحوّل عدد الضحايا إلى مجرّد عملية حسابية.

ج– إذاً ينتهي الفيلم برسالة مقاومة تندرج ضمن سينما المقاومة التي تتعدّد أشكالها في السبعينيات. لكن لا شكّ أنّ «كفرقاسم» أكثر الأفلام إتقاناً من حيث تفكيك الحدث وإبراز مفاعيل الاحتلال من دون اللجوء إلى الأساليب الميلودرامية والخطابة الواعظة التي ستُستعمل غالباً لمواكبة العذاب والمجازر.

ويخلص هادي زكاك للقول: الأهمّ أنّ «كفرقاسم» أثبت أنّ الفيلم الروائي بإمكانه أن يكون وثيقة تُنافس بفعالية الفيلم الوثائقي ويقدم رجالاً ونساءً على قيد الحياة ليسوا مجرد أرقام أو صور، بل شعب يستحق الحياة الكريمة.

ماذا يقول زكاك عن اعتراف استاذه «فلسطين أخذتني إلى السينما»؟ أعتقد أنه مع بروز السينما النضالية والملتزمة والبديلة في مطلع السبعينيات، أصبحت فلسطين بوصلة للعديد من السينمائيين. وهذا ما يجعلنا نرصد عدداً من الأفلام العربية من إخراج سينمائيين لبنانيين ومصريين وسوريين وعراقيين بالإضافة إلى الفلسطينيين، الذين تناولوا الموضوع الفلسطيني في السينما الوثائقية والروائية أو من خلال المزج بينهما. ولا شك أن برهان علوية من الروّاد في هذا المجال، خاصة وأنه عرف كيف يوظّف اللغة السينمائية لتحقيق غرضه، فيما وقع البعض الآخر بلعبة البروباغندا. ومن اللافت أنني عندما أنجزت أوّل فيلم قصير لي بعد تخرجي من جامعة القديس يوسف، بيروت سنة 1998 وكان برهان علوية المشرف عليه، كان موضوعه الأساسي القضية الفلسطينية أيضاً، فشعرت بدعم كبير من مخرج كفرقاسم الذي أعتبره أباً روحياً سينمائياً لي، لتكون فلسطين مرّة جديدة البوصلة من جيل إلى آخر.

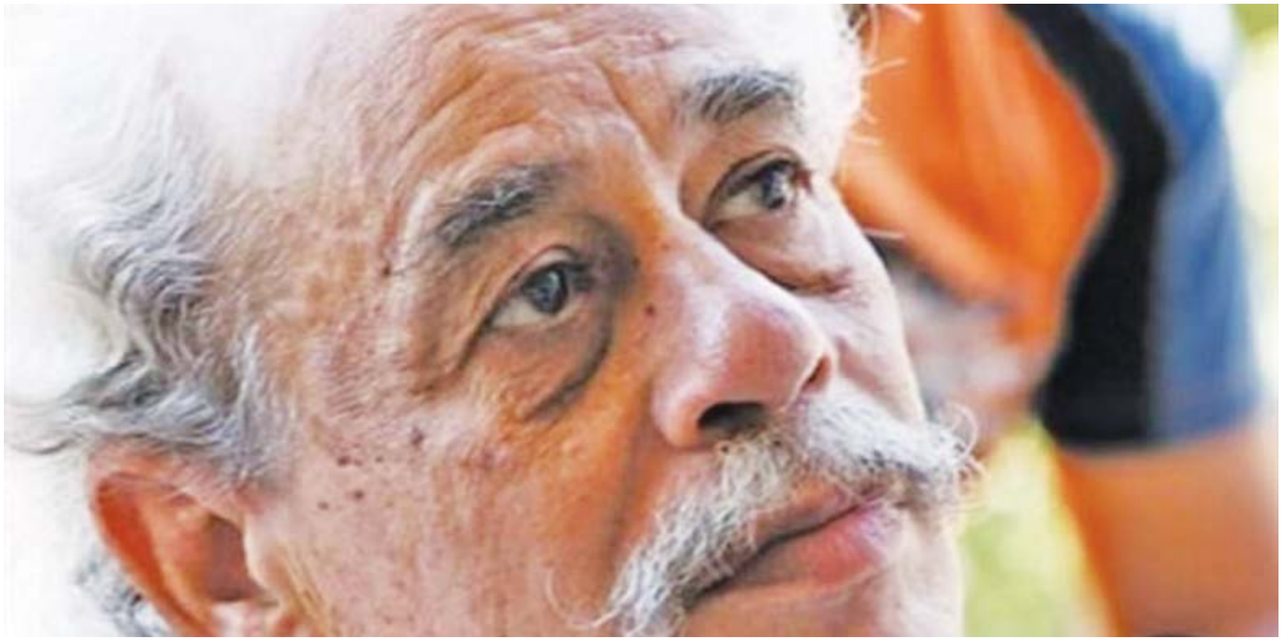

في صالات الشانزيليزيه ونجحوا

بوصلتها فلسطين ولبنان وجعه الدائم

ديما الجندي: لبنان كان هوسه وأثره بالغ في مسار حياتي

إلى شهادة عائلية وعاطفية ومهنية قالتها المخرجة والمنتجة ديما الجندي عن خالها الذي ترك أثراً بالغاً في حياتها. تقول: تعاونت مع خالي برهان علوية في إنتاج فيلم «خلص» حيث جاء الدعم من خارج العالم العربي. بعد هذا الفيلم ترك برهان لبنان الذي شكل له فيما بعد وجعاً يومياً. بمعرفتي به كخال فهو يعيش هوساً اسمه لبنان وبيروت والعائلة. هو هوس بالمعنى الإيجابي. تعبنا معاً في انهاء فيلم «خلص» الذي كان إنتاجاً ضخماً ومشتركاً بين فرنسا وبلجيكا. وعندما بلغنا منتصف التصوير قررت المنتجة البلجيكية التوقف عن الدفع وهي التي تملك القسم الأكبر من التمويل، كما أنها حصلت على دعم باسم الفيلم من دون التصريح عنه. وهكذا توقف التصوير مرتين. الفيلم كان ضخم التكاليف نظراً لكثرة الديكورات والتصوير الليلي. وهنا ألفت إلى مشهد عشاء القطط في الأسواق التجارية ومدى صعوبة تصويره.

كيف كان التعاون بين خال مخرج وإبنة اخته المنتجة؟ تقول ديما الجندي: لفتني منذ الجلسة الأولى مع مديرة الإنتاج وأنا طلبه بمعرفة كل شاردة وواردة تحصل مع فريق العمل، واللقاء بهم جميعهم. وقد اسمى هذا الإصرار هارموني فريق العمل. ففريق العمل في الفيلم السينمائي يشبه تنظيم الجيوش. وأذكر أننا عندما وضعنا خطة العمل ابلغني برهان رأيه بأن لبنان يتعرض لزلزال لا يتوقف. وأن الـ7 في المئة من العراقيل التي يتم أخذها بالإعتبار ضمن برنامج التصوير وزمنه ليست مطابقة في لبنان، فقد يتعرض التصوير لمشاكل يومية.

هل حرّض برهان علوية بشكل غير مباشر ديما الجندي للسير على دربه؟ تقول: بالأمس تحدثت مع شقيقتي الفنانة التشكيلية ريم الجندي حيث تذكرت أن خالنا ومنذ طفولتنا كان يتحدث معنا وكأننا ناضجون. تأثرنا به كثيراً وبخاصة أنا، وحين سألني لدى دراستي للبكالوريا الفرنسية عن التخصص المستقبلي، وقلت له مثلك، نصحني بأن لا أدرس الإخراج وحده. بل أن أدرس ما هو تقني وله صلة بالسينما. ووعدني بمساعدتي لدخول جامعة الإنسانس في بلجيكا والتي تخرج منها. وهو من أقنعني بدراسة مونتاج السينما وهذا ما كان سنة 1984 ومن ثم تابعت دراسة الإنتاج والإخراج.

رغم سوداوية الوضع اللبناني هل كان برهان علوية يرى نوراً ما في النفق بخاصة من جيل الشباب؟ تقول ديما الجندي: من عاداته متابعة الشباب في العائلة والسؤال عن مشاريعهم. بالتأكيد أمله كان فقط في جيل الشباب وهكذا رعى أولاده هشام الذي تخصص مدير تصوير وهو من زواجه الأول، وداوود وزين من زواجه الثاني. كان يخص والدتي إلهام علوية الجندي باتصال هاتفي كل يومين، وهما مرتبطان بعلاقة متينة. وحوارهما كان يمتد ويمتد سائلاً عن التفاصيل الصغيرة. ولم يكن يفوت تحذيراً بشأن الغذاء. يمكن القول أن برهان كان ياساً من وضع لبنان، ولم يكن يتحدث بالسياسية.

في نهاية الحوار غلب الدمع ديما الجندي على رحيل برهان في بروكسل والعائلة في بيروت «هو الخال الحبيب الذي لا يمكن اختصاره بكلمات. شخص مركب يتميز بروح النكتة الساخرة. مفكر وفيلسوف وسينمائي».

القدس العربي الأسبوعي
تأسست عام 1989
الناشر: مؤسسة «القدس العربي» للنشر والاعلان

رئيسة التحرير: سناء العالول
Editor In Chief
Sana Aloul

Al-Quds Al-Arabi Weekly Independent Newspaper

تطبع في لندن ونيويورك وفرانكفورت وتوزع في جميع انحاء العالم

المقر الرئيسي (لندن):
2nd FLOOR 26-28 HAMMERSMITH GROVE . LONDON W6 7HA England
هاتف: 8008 741 0208 44+ (6 خطوط) * فاكس: 8902 741 0208 44 +
مكتب القاهرة: 43 شارع قصر النيل ـ الطابق الأول ـ شقة رقم (2)
* هاتف/فاكس: 25282918 (202)
مكتب المغرب: 8 زنقة المرج شقة 6 حسان ـ الرباط
* هاتف/ فاكس: 23152 5377 00212
مكتب عمان: شارع الملكة رانيا مجمع عكاوي
الطابق الرابع رقم 408 * هاتف/فاكس: 5066089 (009626)

الاشتراكات:
الاشتراك السنوي 450 جنيها استرلينيا في عموم بريطانيا و750 دولارا أمريكيا للوطن العربي وخارج بريطانيا بما في ذلك اجور البريد

Head Office (London): 2nd FLOOR
26-28 HAMMERSMITH GROVE . LONDON W6 7HA England
Tel: +44 0208-741 8008 (6 Lines) Fax: + 44 0208-741 8902
Email: alquds@alquds.co.uk * www.alquds.co.uk
Cairo Office: 43 a Kasser Al Neel St. First Floor.
Flat No (2) * Tel/Fax: (202) 25282918
Morocco Office: 8 Elmerj Street Flat No.6
Hassam - Rabat - Morocco * Tel/Fax: 00212 5377 23152
Amman Office: Queen Rania St. Akkawi Complex
4th Floor/ No 408 * Tel/Fax: (009626) 5066089

Published In London. New York and Frankfurt
by Al Quds Al- Arabi Publishing LTD
Circulated in Europe. Middle East.
North Africa and North America.

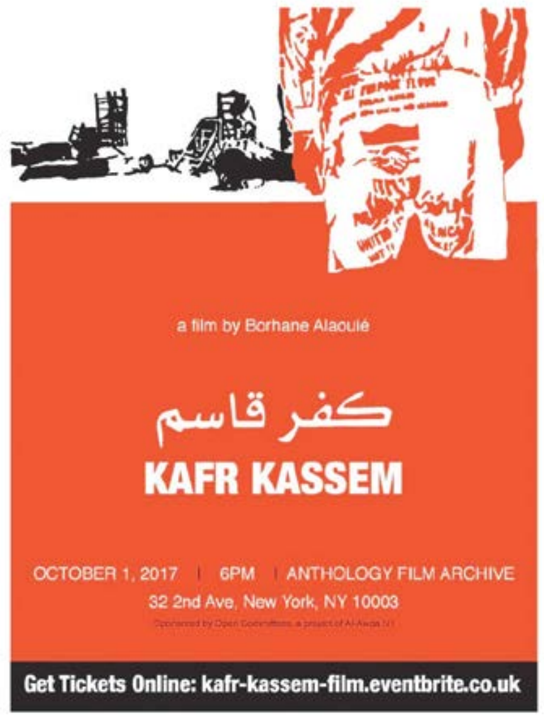

القدس العربي
AL-QUDS AL-ARABI
الاسبوعي
السنة الثالثة والثلاثون العدد 10390 الأحد 19 أيلول (سبتمبر) 2021 – 12 صفر 1443 هـ
Volume 33 - Issue 10390 Sunday 19 September 2021

ساحة ستانيسلاس: المَعلم المفضّل لدى الفرنسيين

باريس ـ «القدس العربي»: آدم جابر

من بين 14 نصبًا أو معلماً أو صرحاً تم اختيارها لتخضع لتصويت الجمهور الفرنسي؛ فازت ساحة Stanislas (ستانيسلاس) العامة بقلب مدينة نانسي الواقعة في شمال شرق فرنسا، بالمسابقة التي أطلقها برنامج «النّصب المفضل لدى الفرنسيين» الخاص بتلفزيون «فرانس3». وقد حل château de Falaise في المرتبة الثانية، تاركاً المركز الثالث لـ Tours de La Rochelle.

عـلاوة على كونها جـوهـرة سياحية؛ فساحة «ستانيسلاس» تعدّ أيضا نقطة تجمع لسكان مدينة نانسي. ففيها يتم الاحتفال بالانتصارات الانتخابية والرياضية، وهـي مكان تحركات وتكريم كبيرة. وتضـاء واجـهـات الأجنحة بشكل منتظم بألوان الأحداث الكبرى. ومنذ عام 2007 كانت هذه الساحة مسرحاً لصوت وضوء في الصيف، يجذب أكثر من ستمئة ألف مُتفرج.

تم إدراج ساحة ستانيسلاس منذ عام 1983 أي قبل 38 عاماً، ضمن التّراث العالمي لمنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة «اليونسكو». وقد تم بناء هذه الساحة الجذابة في القرن الثامن عشر، وتشتهر بأعمالها الحديدية المطلية بالذهب، وأجنحتها الأربعة ووجوهها المنخفضة.

في عام 2005 بمناسبة الذكرى السنوية الـ 250 لتأسيسها، تم تجديد «ساحة ستان» كما يسميها سكان مدينة نانسي بالكامل. ويعد تجديد الأحجار المرصوفة بالحصى، والإضـاءة المعاد تصميمها والواجهات المُجددة والبوابات المُذهَّبة، يُعد نجاحاً حقيقياً، ساعده كثيرًا افتتاح خط «القطار السّريع» الذي يجذب السياح.

وتفتخر فلورنس دوسمان، المسؤولة عن التواصل السياحي في منطقة نانسي الكبرى بـأن ساحة ستانيسلاس هي ضمن قائمة أفضل عشرة مواقع بفرنسا تستحق أن تزار، على غرار مونت سان ميشيل أو كاتدرائية ستراسبورغ.

العمدة الاشتراكي لمدينة نانسي ماتيو كلاين، أعرب عن اعتزازه باختيار ساحة ستانيسلاس لأول مرة كأفضل مَعلم في فرنسا للعام 2021 شاكراً أولئك الذين صوتوا لها.

وبمناسبة أيام التراث الأوروبـي، في نهاية هذا الأسبوع، أي يومي الثامن عشر والتاسع عشر من أيلول/سبتمبر الجاري؛ تأمل مدينة نانسي في بشرى سارة للبلدية قبل أيام قليلة من أيام التراث في 18 و19 ايلول/سبتمبر. تأمل مدينة نانسي في تحطيم الأرقام القياسية من حيث الارتياد على ساحة ستانيسلاس.

نسخة أصلية من الدستور الأمريكي تطرح في مزاد بما بين 15 و20 مليون دولار

تطرح عمّا قريب نسخة أصلية نادرة جدّا من الدستور الأمريكي الموقّع في فيلادلفيا في 17 أيلول/سبتمبر 1787 في مزاد في نيويورك بقيمة مقدّرة بين 15 و20 مليون دولار، بحسب ما أعلنت دار «سوذبيز».

وتـعـرض «سـوذبـيـز» حتّى الأحـد مجموعة خاصة مـن الوثائق الدستورية الأمريكية تعود للحقبة الثورية، ما بين 1776 و1789 من بينها الميثاق الدستوري الشهير الموقّع في فيلادلفيا من «الآباء المؤسسين» للولايات المتحدة الأمريكية، ومن بينهم جورج واشنطن وبنجمن فرانكلين وجيمس ماديسون.

وأكّد سيلبي كيفر المؤرّخ المتخصّص في المخطوطات والكتب القديمة لدى «سوذبيز» أنها نسخة «أولى مطبوعة رائعة من دستور الولايات المتحدة طُبعت على الأرجح مساء 16 أيلول/سبتمبر» 1787.

وهو مستند «نادر جدّا» إذ لم يبق منه سوى «11 نسخة معروفة» في حين طبعت «خمسمئة» نسخة على الأرجح، بحسب ما أوضح كيفر بمناسبة مرور 234 عاما على توقيع الدستور الأمريكي.

وقدّرت «سوذبيز» سعر هذه الوثيقة التي ستطرح في مزاد سيقام في أواخر تشرين الثاني/نوفمبر ما بين 15 و20 مليون دولار.

ولا يخشى كيفر أن تذهب هذه النسخة من الدستور، وهي الوحيدة التي لا تزال ملك فرد خاص هي هاوية الجمع الأمريكية دوروثي تابر غولدمان، إلى الخارج، حتى لو أنّه يظنّ أن المستند المحفوظ بحالة جيّدة جدّا سيبقى في الولايات المتحدة.

وتعرض «سوذبيز» هذه المجموعة من تاريخ الدستور الأمريكي وسط أجواء مشحونة بالتوتّر والاستقطاب في البلد.

ويبدأ النصّ الدستوري بالجملة الشهيرة «نحن، شعب الولايات المتحدة، نقوم بغية تشكيل اتحاد أكثر كمالا بالإعلان عن هذا الدستور للولايات المتحدة الأمريكية». (أ ف ب)

مزرعة أبقار عائمة فوق الماء في روتردام بغية حماية المناخ

يتوسط مشهدٌ سريالي الرافعات وسفن الحاويات في ميناء روتـردام في هولندا، هو عبارة عن مزرعة عائمة «فريدة من نوعها في العالم» تضم قطيعاً من الأبقار.

وهذه المزرعة العائمة التي تتألف من ثلاث طبقات والمصنوعة من فـولاذ وزجـاج، تمثّل «مستقبل تربية الحيوانات» في هولندا المكتظّة سكّانيًا والمعرّضة لارتفاع مستويات سطح البحر، مما جعل الأراضي الزراعية سلعة نادرة في البلد الأوروبي.

وخصصت الطبقة الثالثة من المزرعة للأبقار، أمـا الطبقة التي تحتها فمخصص لتحويل الحليب أجباناً وألباناً وزبدة. أما الدور الأول، أي الأقرب إلى سطح الماء، فهو مكان انضاج الجبن.

وتقول صاحبة المزرعة مينكي فان وينغردن (60 عامًا) إن «العالم تحت ضغط». وكانت مينكي زوجها بيتر وراء هـذا المشروع الذي يصفانه بأنه «أوّل مزرعة عائمة في العالم».

وتثير الحظيرة بأبقارها الأربعين تناقضًا صارخًا مع السفن الضخمة والدخان المنبعث من المداخن المجـاورة في مرفأ روتـردام، أكبر موانئ أوروبا، والمسؤول عن 13.5 في المئة من انبعاثات الكربون في هولندا.

وشـاءت فـان وينغردن أن تأتي وزوجها «بالريف إلـى المدينة» وأرادت تعزيز وعي المستهلك وإقامة مساحات زراعية.

واعتاد الهولنديون على استخدام التقنيات الزراعية المتقدمة، علمًا أن هولندا هي ثاني أكبر مصدر للمنتجات الزراعية في العالم بعد الـولايـات المتحدة، وذلـك بفضل التربية المكثّفة للحيوانات وشيوع البيوت البلاستيكية للزراعة.

غير أنّ هولندا باتت اليوم تدفع ثمن ذلك .

وتـعـدّ الانبعاثات مـن الأعـمـال الزراعية وخصوصاً من مزارع الألبان مشكلة حقيقية في هولندا، وهي واحدة من أكبر مصادر التلوث في أوروبا. وتولّد الأبقار انبعاثات مختلفة تحتوي على الميثان، وهو غاز يُعزّز الاحتباس الحراري.

وما يزيد حساسية تأثر هولندا بالاحترار المناخي هو أن نحو ثلث اليابسة فيها يقع تحت مستوى البحر.

وتـقـول فـان وينـغـردن «نـحـن على المـاء، وتتحرك المزرعة إذًا على أساس المدّ والجزر ونعلو وننخفض مترين. لذلك، يمكننا أن نستمرّ في الإنتاج حتّى في حال حدوث فيضان».

وتـتـغـذى أبـقـار فـان وينـغـردن الحـمـراء والبيضاء المنتمية إلى سلالة هولندية ألمانية من بقايا تُزوّد بها المزرعة، بينها عنب من بنك الغذاء، وبقايا حبوب من مصنع جعة قريب، وعشب من ملعب الغولف وملعب نادي «فينورد روتردام» المحلي لكرة القدم.

ويُحوّل روثها سماداً للحديقة ويُعقّم البول لإعادة تدويره إلى مياه شرب للأبقار، وتحيط بالحظيرة عشرات الألـواح الشمسية لإنتاج الكهرباء اللازمة لتشغيل المزرعة.

وتُحلب بعدها الماشية بواسطة روبوت وتباع الأجبان والألبان والزبدة في متجر على جانب الطريق. كذلك تـزوّد المـزرعـة مطاعم محلية منتجاتها.

ويـقـول بـرام دن بـرابـر (67 عـامًـا) وهو متقاعد وأحد المتطوّعين الأربعين في المزرعة، وهو يسكب الحليب الخام في زجاجات «لقد جذبتني الفكرة فورًا». ويضيف ممازحاً «ليس في عروقي دم، بل حليب».

وتشدّد فان وينغردن على أن فكرة المزرعة العائمة هي أيضًا «لجعل الزراعة أكثر إمتاعًا وإثارة للاهتمام» بعدما اعتقد الكثيرون أنّها وزوجها «مجنونان» لطرحهما فكرة بناء مزرعة عائمة.

غير أنّهما فـازا بالرهان، إذ ستدرّ المزرعة المداخيل عليهما نهاية العام 2021. ويبلغ سعر ليتر الحليب 1.80 يورو، مقارنة بمعدّل حوالي يـورو واحـد لشراء زجاجة حليب من متجر سوبرماركت.

ويريد الزوجان «الرائدان» بناء مزرعة قرب الأولى ويخططان أيضًا لإتمام مشروع جديد قيد التنفيذ حاليًا في سنغافورة.

وتقول فان وينغردن «يشعر المرء انه على متن سفينة سياحية». (أ ف ب)